



مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات
العلمية الخاصة بفكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وما يتعلق
به سيما علوم نهج البلاغة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * الحمد للرحمن * فإليك يوم الدين * أنا بك عبد وإنا بك
نستعين * أهذا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين

صدق الله العلي العظيم

ابواب المعرفة

مجلة ابواب المعرفة

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية الخاصة
بفكر الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وما يتعلق به سيما علوم نهج البلاغة.

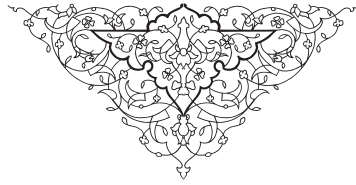


ذوالقعدة، سنة ١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م، العدد (الاول)



الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

علمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب
من العلم يفتح لي في كل باب ألف باب



الارشاد، ج ١، ص ١٨٥، نظم درر السمطين ص ١١٣، مسند احمد ج ٥ ص ٣٠



المشرف العام
السيد علي المجابري

رئيس التحرير
الاستاذ هاشم محمد الباججي

الاشراف العلمي
الاستاذ المتمرس حسن عيسى الحكيم

التصحيح اللغوي
الشيخ صالح الجصاني
الشيخ مؤمل الربيعي

العلاقات العامة والمتابعة والتوزيع
الشيخ أحمد الذهبي
الشيخ عمار الدوركي
محمد باقر رحيم الحسناوي

التنفيذ الالكتروني
أحمد هاشم

التصميم والإخراج الفني
أحمد مكي جعفر

أنوار المعرفية

مجلة دورية بحثية علمية تعنى بنشر البحوث والدراسات العلمية
الخاصة بفكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وما يتعلق به سيما علوم
نهج البلاغة.

تصدر عن:

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية
Imam Amir Al-Mu'mineen (peace be upon him)
Center for Specialized Studies and Research
مركز دراسات ونشر وشمسهاشي امام أمير المؤمنين



جمهورية العراق - النجف الاشرف

شروط النشر والكتابة

من أهم معايير القبول الأولي لنشر الابحاث في مجلة أبواب المعرفة أن يشكل البحث اضافة علمية في مجال البحث ويساهم في التنمية الفكرية والعلمية وان يكون بحثا غير تقليدي مكتمل العناصر الأساسية.

١- تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل.

٢- تُعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن اراء كاتبها، ولا تُعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز.

٣- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

عناصر البحث الأساسية :

١- عنوان البحث.

٢- معلومات عن الباحث (الدرجة العلمية، التخصص، الجامعة أو مكان العمل، المدينة، الدولة، بيانات التواصل).

٣- ملخص البحث ما لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغة العربية.

٤- المقدمة ويجب ان تتضمن على مشكلة البحث وأسئلته، أهمية البحث، اهداف البحث.

٥- أجزاء ومحتويات البحث.

٦- الخاتمة.

٧- نتائج البحث.

٨- التوصيات والمقترحات.

٩- المراجع.

تنسيقات البحث:

- ١- يرفق مع البحث ملخص للبحث لا يزيد عن ٢٥٠ كلمة باللغتين العربية، والانجليزية ان امكن.
- ٢- ترتيب العناوين الرئيسية والفرعية ترتيباً تسلسلياً على التوالي.
- ٣- ترتيب الجداول والاشكال والصور في البحث ترتيب تسلسلياً على التوالي.
- ٤- لا تتجاوز عدد صفحات البحث ٤٠ صفحة ولا تقل عن ١٠ صفحات.
- ٥- ترقيم صفحات البحث.

المحتويات

١٥	أ.ر. عباس علي الفحام	أسرار المعاني في كتاب العهد العلوي
٣٣	أ.ر. هاشم حسين ناصر المحنك	النظام الرشيق الدائري لاختيار وتعيين الموارد البشرية بين نهج البلاغة والفكر المعاصر
٨٣	أ.ر صباح عباس عنوز	الفعل الإبداعي في أحاديث الإمام علي عليه السلام بين الإنفرادات البلاغية والقضايا العلمية المختلفة
١٣١	المهندس ر. علي ناجي عطية	المعالم الدستورية في حكم علي عليه السلام
١٦٧	سماحة السيد أبي الحسن حميد المقدس الغريفي دام ظله	البُعد الثقافي لأُمير المؤمنين عليه السلام في مواجهة خصومه
٢٠٩	أ.م.ر. علي شمعني الفطاروي	الخطاب الاعلامي الانساني في مواجهة التطرف قراءة في فكر الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وتعاطيه مع الآخر
٢٢٩	م.م. هاشم محمد الباجمي	التسلسل التاريخي لمرقد الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الاشرف
٢٤٧	الشيخ أ.ر. رسول خضولو	العلاقات العامة في فكر امير المومنين عليه السلام
٢٦٩	سماحة الشيخ موسى الشيخ راضي نصار	شبهة السلطان خدابنده في محاولة نقل جسد الامام امير المؤمنين عليه السلام
٢٨٥	الاستاذ المتقاعد محمد كاظم البكاء	سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة
٣٠٣	الاستاذ المتقاعد حسن عيسى الحكيم	الابعاد الدينية والعملية والاجتماعية لمدينة النجف الاشرف في رحلة ابن بطوطة عام ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م
٣٢١	ملحق	
٣٢٣	القاضي: فاضل عباس المار	الإمام علي عليه السلام و جغرافية الجريمة
٣٢٩	المطاط علي حيدر الحسيني	اطلالة على الخط الكوفي

اضاءة

رسالة علم وايمان

رئيس التحرير

من أبعد غايات العلم والايمان.. واسمى اهدافه هو ادراك المعرفة الحققة والارتقاء للوصول الى الكمال، من خلال الاعتماد على نواحي النفس الانسانية بعد ان يستجلي غوامضها ويسبر اغوارها ويتلمس احاسيسها وخوارجها من مناجم النفس والحياة الواقعية.

فعندما يمتزج العلم والايمان ... بالأخلاق تسمو النفس الانسانية الى اقداس الخير والجمال والحق ... لان النفوس بجميع مراتبها مجبولة على الاستسلام للعلم والايمان ... ولسحر البيان ... والانقياد لصوت الجمال ... ورقة اللهجة ... ودقة المعلومة ... لتغذى من خلال التفكير والخيال ... لتصل الى عالم المعرفة.

فالعلم بلا ايمان كالرامي بلا قوس فلا يستطيع اصابة الهدف ... فلا بد من ايمان وعلم وعمل واخلاص، ليتوج بالمعرفة، فلا يصل عمل الى الله بلا معرفة.

فالعالم اليوم يبحث عن العلم والتطور والحداثة دون سواه، لكن الاسلام يضيف الى هذا البحث الايمان والانسانية والاخلاق، ومن خلال فيض علوم ومعارف الامام علي عليه السلام أصل العلوم والمعارف لأنه (باب مدينة العلم) كما وصفه النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فمن اراد العلم والحكمة فليأت من هذا الباب الذي قال عنه الإمام عليه السلام (علمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم يفتح من كل باب ألف باب والذي يسعى المركز الى تأسيسه من خلال مجلة (أبواب المعرفة) المباركة واعماله الاخرى، فهناك جوانب علمية وفكرية واجتماعية واقتصادية وتنموية وسياسية ... في فكر الامام يمكن ترجمتها كمحاور للعلم والعمل، فالإمام يتطلع لان تكون الامة سيما الانسان المؤمن في حالة تطور ونمو مستمر لا يفتر أبدا في تفكيره وعمله، لان المؤمن يسعى الى التطور والتكامل (فمن تساوى يومه فهو مغبون).

ومن هذه المعاني السامية انطلقت مجلة (أبواب المعرفة) من مدينة العلم والعلماء، مدينة الثقافة والادب النجف الأشرف، لتكون نبراسا يستضاء به في بث المعارف ونشر الاخلاق، واتخاذ الحقيقة رائدا، والصدق والاخلاق جناحين تسمو بهما الى ابعد مدى في خدمة العلم، ورياضة النفوس للوصول الى الضالة المنشودة والغاية المقصودة ورضوان من الله أكبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



IN THE NAME OF ALLAH THE MOST BENEFICENT THE MOST MERCIFUL



أسرار المعاني في كتاب العهد العلوي

الأستاذ الدكتور
عباس علي الفحام



كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة



المقدمة

شكل الخطاب العلوي علامة فارقة في دراسة الإبداع النثري في وقت مبكر من ظهور الفكر الإسلامي، فكان ما جمع في نهج البلاغة واختياراته محط تأمل وتدبر إلى يوم الناس هذا، وما هذه الدراسة إلا محاولة جادة للبحث في اختيار عهد الإمام مالك الأشتر لتكون رؤية جديدة تتمحور من داخل اللغة إلى خارجها أي من المعنى إلى الشكل، فهذه الدراسة تزعم أن جودة المعنى وعمقه أساس في إبداع شكله وليس العكس، ولا سيما في النصوص الرفيعة العالية الفصاحة، لذلك انطلقت هذه الدراسة تبني فكرتها على أساس نص أمير المؤمنين في نهج البلاغة في عهده على وجه الخصوص، كونه يحمل فكرا جديدا، فالمعنى وسم بعمقه وجدته في كلامه ﷺ، ولم تبين هنة في أدائه ولم يتأزم أو يضيق على الرغم من أنه كان في أعمه مما اختص به الفكر القرآني الجديد، ومن هنا جاء العنوان (أسرار المعاني في كتاب العهد العلوي)، عاذاً تلك سمة اختص بها الإمام علي عليه السلام، وقد اشتملت خطة الدراسة على تمهيد عرض لأسرار المعاني وإبداعها، ثم درست مظاهر هذه الأسرار وتحددت بثلاثة أشكال هي: الاتساع، والتكثيف، والابتكار. وقد اعتمدت في

إخراج النص العلوي على شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. هذا وقد تنوعت مصادر الدراسة من مختلف المشارب الأدبية والتاريخية بحسب ما اقتضاه المقام، وانتهى البحث بجملته من النتائج المحددة التي توصل إليها الباحث.

الباحث

عباس علي الفحام

التمهيد

أزمة المعنى وشكله

لا ريب في أن الإتيان بالمعاني الجديدة في النصوص الرفيعة أدعى إلى الإتيان بابتكار جديد لصياغتها، والنأي عن تكرار الصيغ الجاهزة التي ملأت الشعر والنثر معا، حتى أصبح تفاوت المبدعين في القدرة على ما يضيفون وينقصون من الصياغات بعد أن تقرر أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الخاص والعام^(١)، وأمسى تكرار المعاني وصياغتها أمرا محبذا والخروج عليها خروج على عمود الشعر، وكل من يحاول بديعا في القول وجدة فيه يرمى بالتمرد على قوانين الشعر كما هو الحال مع أبي نؤاس والمتنبي وأبي تمام.



فأين معنى عجز البيت وضيقه من
فضاء صدره وسعته!

نعم، أؤكد أن المعنى الجديد أدعى إلى
تخير الصياغة الجديدة، مثلما أقرر أن ذلك
صعب مستصعب، ذُكر أن عبد الله بن
الزبير دخل يوما على معاوية فقال له:
(اسمع أبياتا قُلْتُهْن - وكان واجدا عليه -
فقال معاوية: هات، فأنشده:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على
طرف الهجران إن كان يعقلُ

ويركبُ حدَّ السيف من أن تضيئه إذا لم
يكن عن شفرة السيف مزحلُ

فقال معاوية: لقد شعرت بعدنا يا أبا
بكر، ثم لم ينشب معاوية أن دخل عليه
معن بن أوس المزني، فقال له: أقلت
بعدنا شيئا؟ قال: نعم. وأنشده:

لعمرك ما أدري وإني لأوجلُ

على أيّنا تعدو المنية أولُ

حتى صار إلى الأبيات التي أنشدها ابن
الزبير، فقال له معاوية: يا أبا بكر، أما
ذكرت أنفا أن هذا الشعر لك؟ فقال: أنا
أصلحت المعاني وهو ألف الشعر، وهو
بعد ظئري، فما قال من شيء فهو لي. وكان
عبد الله بن الزبير مسترضعا في مزينة^(٣).

وقد يعسر المعنى على المبدعين فيتأزم
أحيانا في القصيدة ويضيق في سعة البيت
الواحد كقول المتنبي مادحا سيف
الدولة^(١):

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب

يرى كل ما فيها - وحاشاك - فانيا

فالمتنبي عرف هنا بفضل فطنته أن المعنى
تأزم عنده وضاق حين قرر أن جميع من
في الدنيا سيفني، بمن فيهم الممدوح، إلا
أنه أخرجه بانفلات بارع من أسر التأزم
مخلصا قريحته من هذا الحرج بلفظة
واحدة بقوله (حاشاك) التي أخرج سيف
الدولة من شبهة الذم فيما لو بقيت.
ومن الطريف أن جملة (حاشاك) تسمى
اعتراضية وأن حذفها لا يضر بالمعنى
فتأمل!

وقد نلاحظ ضيق الشاعر بمعانيه أحيانا
بقوة بدئه فيها ثم انحساره عن فضائها إلى
زاوية ضيقة حرجة لا تليق ببدء انفساحه
في صدر بيته كقول الجواهري^(٢):

أنا حتفهم ألج البيوت عليهم

أغري الوليد بقتلهم والحاجبا

١- ديوان المتنبي: ٢ / ٧٠

٢- ديوان الجواهري: ١٧٧

٣- الكامل، المبرد: ٢ / ١٥٧

إذن المعاني البكر تقود صاحبها إلى ابتكار صياغاتها وتأديتها.

أمّا علي بن أبي طالب عليه السلام فهو أمير البيان ورائد التجديد، ملكاته ومواهبه وسعة اطلاعه وعمق ذوبانه في معاني القرآن والتصاقه وملازمته بابن عمه صلوات الله عليه مكّنه ذلك كله من الإتيان بما لم يُسمع من قبل من معان وصياغات فكلامه (هو الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي)^(١)، وهو بعد ربّاني هذه الأمة وإمام الأئمة وحكيم العرب^(٢). ليس ثمة موضع من نهج البلاغة في خطبه ورسائله وحكمه معنى متأزم ولا ضاقت بأدائه ألفاظه إطلاقاً، الألفاظ حاضرة بين يديه يحيلها بفكره فيعيد تركيبها بما شاء من تقديم معنى غائص أو غامض من معان غاية في العمق والجدّة، مثل معاني الغيب والتوحيد والعالم الآخر وتشريح الحيوان وخلق الإنسان والسماء والأرض والحديث عن الجبال والأنهار. الصياغات كلها متأتية من خضم معانيها ومنبثقة من رحمها، ليس ثمة انفصال ولا نبوّ ولا استكراه معنى على لفظ، على الرغم من تقصده في استعمال أشكال المجاز والتنغيمات الصوتية المختلفة، وهو تقصد

ومن تمكّنه من المعنى مثلاً مدحه للدنيا على كثرة ذمّه لها في قوله لمن اتكأ على ذم الدنيا: (إنّ الدنيا دارٌ صدق لمن صدّقها، ودارٌ عافية لمن فهم عنها، ودارٌ غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها. مسجد أحبّاء الله، ومُصلّى ملائكة الله، ومهبط وحى الله، ومتجر أولياء الله^(٣)، فهذا الأمر كما علّق عليه الشريف الرضي (ينبئ عن اقتداره عليه السلام على ما يريد من المعاني، لأن كلامه كله في ذم الدنيا، وهو الآن يمدحها، وهو صادق في ذاك وفي هذا، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلام يتضمن مدح الدنيا أو قريبا من المدح، وهو قوله عليه السلام: (الدنيا حلوة خضرة، فمن أخذها بحقها بورك له فيها^(٤)). ولطالما لفت الرضي الانتباه إلى المعاني الجديدة وأبدى انبهاره منها في كثير من مواضع كلام الإمام كقوله عليه السلام من خطبة طويلة في التحذير والموعظة: (...ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن، ودلتم على الزاد، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل، فتزودوا في الدنيا من الدنيا ما تخرزون به أنفسكم غدا^(٥)) فقال الشريف الرضي: (إنه لو كان كلام يأخذ بالأعناق إلى الزهد

٣- شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٣٢٥ - ٣٢٦

٤- المصدر نفسه.

٥- شرح نهج البلاغة: ١٨ / ٣٢٥ - ٣٢٦

١- مقدمة الشريف الرضي في نهج البلاغة: ١ / ١١

٢- ظ. شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٨

مظاهر أسرار المعاني

المعاني الجديدة سمة ظاهرة في كلام أمير المؤمنين عليه السلام عامة ومنها في عهده البديع لملك الأشتر حين ولاه مصر، مكن عمقها وجدتها من توليد تشكلات تركيبية بنائية لغوية وبيانية غاية في الإبداع والسبق، ويمكن تحديد مظاهرها بما يأتي:

أولاً: الاتساع

سيبدو هذا المصطلح في البحث مرتبطاً بالدلالة أكثر منه بالشكل، فأنا هنا لا أعني به المجاز كما هو شائع، لأنني سأعرضه منطلقاً من داخل اللغة إلى خارجها، عاذاً المعنى هو الأصل في تشكّل البنى المادية، ومؤكداً أن الأشكال اللغوية التركيبية المختلفة النحوية منها والبيانية هي نتاج طبيعي من المعنى. فالاتساع أعني به الانفلات من ضيق المعنى إلى فضاء أوسع، مستثمراً أدوات التركيب المختلفة لذلك، فهو يمكن أن يكون تفرعاً على أصل المعنى وتوليداً لجذره، مثلما أنه ربط محكم لسياقات مختلفة من تدرج المعاني يأخذ بعضه بحجزة بعض، وتلك ميزة واضحة في أدب أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه ورسائله وحكمه، ففي كلامه تمكّن بَيِّن من قيادة المعنى والإحاطة به، فمهما طال وتمطّى لا يمكن أن ينفلت منه،

في الدنيا، ويضطر إلى عمل الآخرة لكان هذا الكلام. وكفى به قاطعاً لعلائق الآمال، وقادحاً زناد الاعتاظ والانزجار. ومن أعجبه قوله عليه السلام: (ألا وإن اليوم المضمار وغدا السباق، والسبق الجنة والغاية النار)، فإن فيه مع فخامة اللفظ، وعظم قدر المعنى، وصادق التمثيل وواقع التشبيه، سراً عجيباً، ومعنى لطيفاً، وهو قوله عليه السلام: (والسبق الجنة والغاية النار)، فخالف بين اللفظين لاختلاف المعنيين، ولم يقل سبق النار كما قال: (السبق الجنة) لأن الاستباق إنما يكون إلى أمر محبوب وغرض مطلوب، وهذه صفة الجنة، وليس هذا المعنى موجوداً في النار، نعوذ بالله منها! فلم يحز أن يقول: (والسبق النار) بل قال: (والغاية النار)، لأن الغاية قد ينتهي إليها من لا يسره الانتهاء إليها^(١)، وما أريد أن أصل إليه من هذا كله هو أن المعنى قد يعبر عن الإبداع وليس الشكل، لأن جودة المعنى تقود إلى جودة التركيب عند الفصحاء وأهل الإبانة الذين قادهم في عالم البيان أمير البلاغة علي عليه السلام، ومن هنا سأبحث في مظاهر أسرار المعاني التي قادته إلى الفرادة في الصياغة.



الجامع :

(هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها)^(١) هذه هي الأصول الأربعة التي صدر بها كتابه، وهي في حقيقة الأمر جامعة مانعة لا غنى لأي دولة عصرية عنها في بناء دساتيرها:

١- بناء الاقتصاد

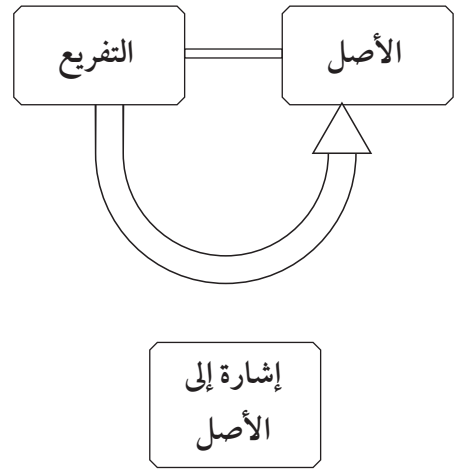
٢- بناء الجيش

٣- البناء الاجتماعي والأخلاقي
(العقد الاجتماعي)

٤- العمران والخدمات

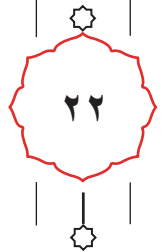
هذه الجذور الأربعة سيتسع فيها الإمام مفصلاً ومستقصياً، وهو فيها سيبدو مهماً ابتعد عنها مشيراً مكرراً التذكير بها، من غير أن نرى استطراداً مخلاً ولا إطناباً زائداً عن المعنى، لأن اتساعه وتكثيره هذا حاجة تطلبها عمق الفكرة التي هو فيها، ولذلك ستبدو اللغة أيضاً في غاية الإشراف والبيان لأنها لصيقة بمعانيها تطلبها موجبات المعاني واقتضتها خبايا الأفكار.

إنه أحياناً يضع الأصل مُصدراً به كلامه ثم يعمد إلى تفصيله وتفريعه مستقصياً لأجزائه ملماً لأبعاده، ففي كلامه سياحة بعيدة في المعاني أصولاً وفروعاً. وفي الكتاب الشهير الذي سلّمه الإمام بيده إلى عامله مالك بن الحارث شيخ بني مذحج الملقب بالأشتر شواهد لتأكيد ما زعمنا. ولو رسمنا الطريقة التي تتحرك بها الدلالات فيه لأمكننا تحديد الشكل الآتي لها:



الأصل: تفريعه: تفصيل التفريع: الإشارة إلى الأصل: ثم العودة إليه وهو في ذلك كله لا يتأزم المعنى لديه على الإطلاق ولا يضيّق، ولا تحتنق به الألفاظ التي تؤديه، مستعملاً جميع أشكال الاتساع التركيبية من مجاز وتكثير.

قال ﷺ في صدر كلامه من عهده



ومن هنا ستكون حتى المعاني الخارجة عن هذه الأصول الأربعة التي صدر بها العهد خادمة لهذا الغرض صابّة في محيطه، ولذلك أُرِدْتُ بكلام مباشر لحامل العهد في قوله: (أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه: من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات، فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله)^(١).

والمتدبر لدلالات هذه البنى يجد الدعاء ليس من أجل حامل العهد الذي يستحق - ولا ريب - جدارة هذا التشريف، ولكنه دعاء عام يخدم الأهداف الكبرى الأربعة التي تبنى بها الدولة وهي هنا مصر، فحامل العهد هو هنا حاكم سيؤتمن على تنفيذ ما أُبين في صدر الكتاب.

ومثل ذلك قوله مختصراً ثم مفصلاً:

(واعلم أن الرعية طبقات، لا يصلح بعضها إلا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض)^(٢)، ففصل في طبقات الرعية

فقال: (فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العدل، ومنها عمال الانصاف والرفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلى من ذوي الحاجات والمسكنة، وكل قد سمى الله له سهمه، ووضع على حده وفريضته في كتابه أو سنة نبيه ﷺ عهداً منه عندنا محفوظاً)^(٣)، ثم فصل فيما ذكر من هذه الأصناف فقال: (فالجنود بإذن الله حصون الرعية وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الامن وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذي يقوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء حاجتهم، ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتاب، لما يحكمون من المعاهد، ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خواص الأمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوي الصناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم وقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيديهم، مما لا يبلغه رفق غيرهم)^(٤). ثم عرج على تفصيل ما ذكر من صنف مهم

٣- المصدر نفسه.

٤- شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٣٤

١- شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٣٤

٢- المصدر نفسه.



من الرعية فقال: (ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة، الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفي الله لكل سعة..)^(١). وهكذا تضي المعاني في تصوير مفصل لحالات المجتمع وأصنافه بقدرة بيانية لا تضيق معها الألفاظ ولا تحتق بها جملها البتة، فهو يذكر العنوان العام الجامع ثم يشع بتفريعه فرعاً فرعاً باستقصاء شامل لا يفلت منه معنى، ويطوف على الباقي من عموم ما ذكر من كتابه ﷺ من غير معاضلة ولا تعقيد ولا ضياع لقرائن الأخبار وتتمت الجمل المفتحة بمبتدآت على الرغم من كثافة المعاني وتفرعاتها.

ثانياً: التكثيف

التكثيف هو ضغط المعنى من دون إخلال، وهو بتفصيل آخر يعني ثمة معنى متسع توجبت بلاغة الحال الإحاطة به، ثم حصره بتشكيل مختصر، وتكثيفه ببنى قصيرة قد لا تعدو ألفاظه أصابع اليد الواحدة. وتبدو الحاجة إليه أمراً متعلّقاً بمعرفة المنشئ لعمق معانيه، مثلما تبدو بتقديره لمقام سامعيه، وموقفه الفني الذي هو عليه، فهو ليس ترفاً بيانياً أو استعراضاً لغوياً بقدر إلحاح الحاجة المعنوية إليه.

وهذا الأسلوب صعب المنال على غير

أمير المؤمنين الذي أبان في كلامه إمكاناً عجيباً من قيادة اللغة ومسك زمامها^(٢)، ولتكثيف المعنى وسائله وأظهرها الإيجاز، والإيجاز تضيق بالألفاظ لواسع كبير من المعاني. ومن الفصحاء من قرن البلاغة بالإيجاز، فهو يعني القدرة على استحضار كم هائل من المعاني ثم ضغطها وتقديمها بألفاظ يسيرة معدودة. وهو في كلامه ﷺ من أظهر السمات التي ميّزته عن غيره من فصحاء عصره وخطبائهم. وفي عهده لمالك الأشتر ذهب تشكيلاته الموجزة الألفاظ الزاخرة المعاني مذهب الأمثال ومنها:

ما يتعلق بشخص مالك حامل العهد:

وضع الإمام أمام مالك جملة عريضة من المعاني شاخصة حية فيما يتعلق ببناء الشخصية الحاكمة الخادمة، غير المتسلطة، مستعملاً طاقاته البيانية الفريدة لذلك، ومنها هذه الانتقائات^(٣):

(وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم. ولا تكونن عليهم سبعا ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق).

٢- ينظر كتابنا: الأثر القرآني في نهج البلاغة، الفصل الأول منه والثاني.

٣- نهج البلاغة: ٣ / ٨٣ - ٨٥

١- شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٣٤



(ثم انظر في أمور عمالك فاستعملهم
اختبارا، ولا تولهم محابة وأثرة).

(ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج
البلاد وأهلك العباد).

(فإن الرجال يتعرفون لفراشات الولاة
بتصنعهم وحسن خدمتهم).

(وليكن البيع بيعا سمحا، بموازين
عدل وأسعار لا تححف بالفريقين من
البائع والمبتاع).

إن سر الفريدة في التعبيرات العلوية
نابع من طبيعة الشكل ومدى انطباقه
على مضمونه أو بعبارة ثانية من قدرة
تشكل المعاني بينى مادية، فكلما كانت
المعاني فريدة كانت أشكالها تحمل الفريدة
ذاتها، ففي الحقيقة في إبداع لغة الإمام
علي يبدو المعنى هو الذي من يعبر عن
الإبداع لأنه هو يصنع شكله.

إن في داخل كل تشكيل من هذه
التشكيلات التركيبية الأنفة جملة عريضة
من المعاني المكثفة، تصلح أن تكون
دساتير تبنى بها المجتمعات ويصلح بها
الإنسان، ومنها يبدو سر حياة هذا العهد،
لما يتضمن من معاني حية تواكب الأزمان
وتغذي الإنسانية في حاضرها ومستقبلها.

(ولا تنصب نفسك لحرب الله فإنه لا
يدي لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه
ورحمته، ولا تندمن على عفوه، ولا تبجحن
بعقوبة، ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها
مندوحة ولا تقولن إني مؤمر أمر فأطاع).
(إياك ومساماة الله في عظمته).

(أطلق عن الناس عقدة كل حقد،
واقطع عنك سبب كل وتر، وتغاب
عن كل ما لا يضح لك، ولا تعجلن إلى
تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبه
بالناصحين).

(والصق بأهل الورع والصدق، ثم
رضهم على أن لا يطروك).

ومن تكثيف المعاني ما يتعلق ببناء
الدولة، ومنها هذه الاختيارات^(١):

(فالجنود بإذن الله حصون الرعية، وزين
الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس
تقوم الرعية إلا بهم).

(وإن أفضل قررة عين الولاة استقامة
العدل في البلاد).

(فإن هذا الدين قد كان أسيرا في أيدي
الأشرار يعمل فيه بالهوى، وتطلب به
الدنيا).

بما فيه كتاب العهد لملك الأشتر.

فعلى سبيل المثال جاءت فريدة التشكيل في قوله: (فإنا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا)^(٢) من عمق فكر جديد (فهذا كلام عظيم، عال على الكلام، ومعناه عال على المعاني، وصنعة الملك من يصطنعه الملك ويرفع قدره. يقول: ليس لأحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة، والناس بأسرهم صنائعنا، فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى، وهذا مقام جليل ظاهره ما سمعت، وباطنه أنهم عبيد الله، وأن الناس عبيدهم)^(٣).

وذكر ابن أبي الحديد - شارح نهج البلاغة - في تعليقه على خطبة الإمام في معاني الملائكة وتفصيل الكلام فيها فقال: هذا موضع المثل: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل^(٤)! إذا جاء هذا الكلام الرباني، واللفظ القدسي، بطلت فصاحة العرب، وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه، نسبة التراب إلى النضار الخالص، ولو فرضنا أن العرب تقدر على

قال الجاحظ في إبداع الشعر: (والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وإنما الشعر صناعة، ضرب من النسج وجنس من التصوير)^(١)، ولا ريب في أنه يعني المعاني المكرورة والعامية، فهي التي وصفت بأنها مطروحة، وأنها يتقاسم معرفتها العربي وغير العربي، إذ هي ليست خاصة به، ولذلك أكد أن العبرة في الصياغة والتصوير.

ولكن حين يكون الكلام عن ابتكار المعاني وجدّتها فالأمر مختلف تماما، فالمعاني الجديدة في النصوص العالية البلاغة هي التي تخلق الشكل الجديد، والمبتكرة هي التي تصنع الصياغة المبتكرة، وهكذا نجد خلاصة الأمر في أن المعنى هو الذي يخلق الإبداع بصناعته للشكل المميز، طالما أن الأخير هو من تصنيعه ونتاجه. ومن هنا نقرر أن فرائد الصياغات في كلامه وقعت بفضل تمكّنه من ابتكار المعاني التي قادت إلى صياغات جديدة انطبقت عليها في تأديتها وإبلاغها للمتلقين سامعين أو قارئين فيما بعد. والشواهد التي تؤيد مزعمنا هذا نهج البلاغة كله،

٢- شرح نهج البلاغة: ١٥ / ١٩٤

٣- شرح نهج البلاغة: ١٥ / ١٩٤

٤- نهر معقل : نهر بالبصرة منسوب إلى معقل بن يسار بن عبد الله المزني، من صحب النبي ﷺ. ظ. معجم

البلدان: ٥ / ٣٢٣

١- الحيوان، الجاحظ: ٣ / ١٣٢



وحده^(١).

وأقسم ابن أبي الحديد مؤكداً فرادة معاني الكلام فقال: (وأقسم أن هذا الكلام إذا تأمله الليب اقشعر جلده، ورجف قلبه، واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده)^(٢)، ولا غرابة في أن يُفصّل الإمام في معان غاية في الجدة وموغلة في الغيب بهذا التفصيل، إذا تذكرنا أنها مستقاة كلها من منبع اختص به وحده هو القرآن الكريم والحديث النبوي فقد (كان مخصوصاً من دون الصحابة رضوان الله عليهم بخلوات، كان يخلو بها مع رسول الله ﷺ، لا يطلع أحد من الناس على ما يدور بينهما، وكان كثير السؤال للنبي ﷺ عن معاني القرآن،

وعن معاني كلامه ﷺ، وإذا لم يسأل ابتداءه النبي ﷺ بالتعليم والتثقيف، ولم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ كذلك)^(٣).

وعلى الرغم من أن خطب الإمام كلها تحمل على الارتجال إلا أن ذلك لا يتنافى مع ما يبدو من أنه ﷺ ربما كان يحيل المعاني الجديدة وطرائق صياغاتها في ذهنه، فعلى سبيل المثال في معاني المتقين روي أن الإمام ثاقب من إجابة طلب السائل -

الألفاظ الفصيحة المناسبة، أو المقاربة لهذه الألفاظ، من أين لهم المادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها، ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله ﷺ هذه المعاني الغامضة السمائية، ليتها لها التعبير عنها! أما الجاهلية فإنهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش، أو ثور فلاة، أو صفة جبال أو فلولات، ونحو ذلك. وأما الصحابة فالمدكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة، إما في موعظة تتضمن ذكر الموت أو ذم الدنيا، أو يتعلق بحرب وقتال، من ترغيب أو ترهيب، فأما الكلام في الملائكة وصفاتها وصورها وعباداتها، وتسييحها ومعرفتها بخالفها وجهاله، وولها إليه، وما جرى مجرى ذلك مما تضمنه هذا الفصل على طوله، فإنه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التفصيل، نعم ربما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم، ولا مرتبة هذا الترتيب، بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، وأما من عنده علم من هذه المادة، كعبد الله بن سلام وأمية بن أبي الصلت وغيرهم، فلم تكن لهم هذه العبارة، ولا قدروا على هذه الفصاحة، فثبت أن هذه الأمور الدقيقة في مثل هذه العبارة الفصيحة، لم تحصل إلا لعل

١- شرح نهج البلاغة: ٦/ ٤٢٥ - ٤٢٦
٢- ظ. شرح نهج البلاغة: ١٠ / ١٣٤
٣- ظ. شرح نهج البلاغة: ١١ / ٤٨

دستور نظم شؤون الحكم والحقوق والواجبات، ولكن الحق إن كتاب عهد الإمام مالك الأشتر هو تفصيل لمعان جديدة استقصيت فيها جميع الأطر العامة التي تضمنتها وثيقة المدينة التي وضعها النبي ﷺ.

وعلى الرغم من أن المعاني التي تضمنتها كتاب العهد هي معان حقيقية مقيدة للإبداع إلا أن ملكة أمير المؤمنين وتمكنه من اللغة مكنته من الانفلات من أسر قيود الحقائق، والإتيان بصيغ إبداعية قل نظيرها، مستثمرا طاقات اللغة بأقصى مدياتها المجازية والبيانية والحقيقية، على نحو ما يأتي^(٥) في بعض الاختيارات:

(وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية فإن سخط العامة يححف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة).

ولاحظ التمكن من جمع مفردات أسماء التفصيل (أوسط، أجمع، أعم) وتوظيفها في اقتران دقيق فللحق الأوسطية وللعدل والرضا العمومية دائماً. وتوظيف التضاد بين لفظي الخاص والعام، وجمال تكرارها المبني على اقتضاء دلالي واضح.

واسمه همّام - في وصف المتقين، فقد تُؤوّل - فيما تؤول - هذا الثاقل على أنه ترتيب للمعاني قبل إلقائها كما يصنع المتروّي في الخطبة والقريض^(١).

ولا ضير في ذلك طالما أن المعاني التي يعرضها تعالج بطريقة أدبية عالية الفصاحة.

ومن المعاني المبكرة التي شكّل منها صياغة مبتكرة قوله المشهور: (لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحق وراء لسانه)^(٢)، ونظيره (قلب الأحق في فيه، ولسان العاقل في قلبه)^(٣)، فقد علق عليه جامع النهج الشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) بقوله: (وهذا من المعاني العجيبة الشريفة، والمراد به أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مشاورة الروية، ومؤامرة الفكرة، والأحق تسبق حذفات لسانه، وفلتات كلامه، مراجعة فكره، ومماخضة رأيه، فكان لسان العاقل تابع لقلبه، وكأن قلب الأحق تابع للسانه)^(٤).

أما فيما يخص كتاب العهد فيمكن القول إنه الكتاب الوحيد الذي جمع تفاصيل بناء الدولة والمجتمع على هذا النحو، نعم طرحت وثيقة المدينة بمثابة

١- نفسه.

٢- شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٥٩

٣- شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٥٩

٤- شرح نهج البلاغة: ١٨ / ١٥٩

٥- شرح نهج البلاغة: ١٧ / ٣٤



ومنه أيضا قوله:

ومنها أقواله^(٢):

(وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف وأقل شكرا عند الإعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملهمات الدهر، من أهل الخاصة، وإنما عمود الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء العامة من الأمة فليكن صغوك لهم، وميلك معهم).

ففي هذا الشاهد أشكال لغوية شتى اقتضاها المعنى، من حسن استعمال اسم التفضيل (أقل، أقل، أكره، أسأل، أقل، أبطأ، أضعف)، إلى جمال تناقضات التضاد وعمق الاستعمال الاستعاري المغير لدلالات المعاني^(١) في (ملهمات الدهر - عمود الدين - جماع المسلمين، العدة)، وبديع استعمال الكناية بإظهار الاهتمام في (صغو، ميل). فضلا على التنعيم الخفي والظاهر في السجع، والتوازن بين قصر الجمل، وموسيقى المفردات (الرخاء - البلاء، الإنصاف - الإلحاف، الإعطاء، المنع - الدهر).

(فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأطهرهم جيبا، وأفضلهم حلما، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو على الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف).

(ثم الصق بذوي المروءات والأحساب، وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة، ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة، فإنهم جماع من الكرم، وشعب من العرف).

فهذه المعاني وإن جاءت كلها موضوعات حقيقية مقيدة إلا أن منشئها ﷺ لم تأت جملة إلا بتركيب إبداعى أخذ، مكنه حسن توظيف طاقات البيان والمجاز بما يخدم معانيه وتوضيح حقائقها. كقوله موصيا بالرعية: (فلا تشخص همك عنهم، ولا تُصعّر خدك لهم. وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون،





وتحقّره الرجال، ففرغ لأولئك ثقتك من
أهل الخشية والتواضع،

فليرفع إليك أمورهم^(١). حقائق
المعاني إذن لا تعيق المبدعين عن الإتيان
بجديد التركيب، وليس الإبداع مقصورا
على معاني المجاز وحده.

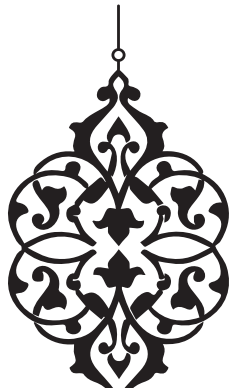
الخاتمة

من البحث أستخلص ما توصلت إليه
بنقاط منها:

أولاً: أكد البحث أن المعاني التي حفل
كتاب العهد حقائق لم تمنع من الإتيان
بجديد الصياغات وابتكارها.

ثانياً: قرر البحث أن المعاني المبتكرة
أدعى إلى إيجاد صياغات جديدة لها.

ثالثاً: حصرت الدراسة أسرار المعاني في
كلام الإمام علي عليه السلام في عهده بثلاثة أشكال
هي الاتساع والتكثيف والابتكار.



البواب المعرفية



للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٧- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، مطبعة بابل - بغداد، ١٩٨٤م.



الْبَوَالِبُ الْمَعْرِفِيَّةُ

المصادر

١- الحيوان، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٥٠هـ - ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الأولى، مطبعة البابي الحلبي - مصر ١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م.

٢- ديوان الجواهري، الأعمال الكاملة للشاعر محمد مهدي الجواهري - دار الحرية للطباعة والنشر الطبعة الثانية - بغداد ٢٠٠١م.

٣- شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، بدون تاريخ.

٤- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المدائني (ت ٦٥٦هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، القاهرة، ١٩٥٩م.

٥- الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مطبعة عيسى البابي - مصر ١٣٥٥هـ.

٦- نظرية المعنى في النقد الأدبي، الدكتور مصطفى ناصف، دار الأندلس







قَالَ اللَّهُ تَعَالَى إِنَّ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنِّي رِزْقًا غَيْرَ الَّذِي كُنْتُمْ يَسْتَعْجِلُونَ

الْحَبَشَةُ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ



أَبْوَابُ الْمَعْرِفَةِ



النظام الرشيق الدائري لاختيار وتعيين الموارد البشرية بين نهج البلاغة والفكر المعاصر

أ.د. هاشم حسين ناصر المحنك



مدير مؤسسة أنباء للدراسات والنشر
عمل سابقاً في جامعة بابل وجامعة الكوفة





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يهدف كل نظام منتج بمختلف أجزائه وأنظمته الفرعية، القيام بمهام من شأنها أن تحقق انسيابية تنظيمية وتنسيق بين أجزاء المنظومة في بناء القدرة على إنجاز ما مخطط له بصورة أكثر كفاءة في التطبيقات واستثمار الخبرات والمهارات والمواهب..

ويكون معالم النظام وتطبيقاته الأدائية من الأمور ذات الأهمية البالغة، فاختيار منهج مستوعب لمتطلبات الأعمال المختلفة بأعلى مستوى من النجاح والتميز..

وبهذا التوجه وغيره توجهت بمبادرة لأضع مؤشرات لنظام جديد ألا وهو؛ النظام الرشيق الدائري، وأستهدف منه في هذا البحث، مجال اختيار وتعيين أو توظيف الموارد البشرية بمستوياتها المتنوعة، التخطيطية والتنفيذية، من أجل الوصول إلى مكاسب تكفل تعظيم القدرات والمهارات والمواهب..

والنظام الرشيق الدائري Cycle Lean System مما يهدف؛ معالجة الهدر والضياعات والمخلفات المنظورة وغير المنظورة، بما فيه الوقت والحركة، وما يسبق وعند وضع الخطط واتخاذ القرارات، وتنفيذها بشكل يدعم الأداء

العالي الجودة والكفاءة في الحد من التكاليف المتغيرة والثابتة، والاستخدام الأمثل والمستمر للمواد المادية وغير المادية والموارد البشرية، لتحقيق الأهداف المرسومة..

أما خصوصية النظام الرشيق الدائري للاختيار والتعيين أو التوظيف، فهو يتخصص بجانب مهم لأسلوب متميز وذات مرونة مناسبة وفاعلية وانسيابية، في الخطط وتنفيذ الأعمال وبالمشاركة والتعاون واستثمار وإعادة استثمار الطاقات والمواهب، كل حسب تخصصه وإبداعاته في كل ما يتم التكليف بتنفيذه..

مما يقلل من الضغوطات والاختناقات والتوقفات، من المدخلات مروراً بالعمليات الانتاجية والمخرجات، وحتى تأدية المنتج السلعي أو الخدمي، سواء كان المشروع أو المؤسسة حكومية أو غير حكومية..

وبهذا كانت أهمية وأهداف ومنحى البحث العلمي، وما يأخذ متابعها بمنهجية وضع الأسس لها من خلال النصوص المباركة الواردة في نهج البلاغة لأمر البلاغة وأمر المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وجوانب مما ورد من الفكر المعاصر ضمن المصادر والمراجع العربية والأجنبية.. ومن الله التوفيق..





المبحث الأول

المدخل والمفاهيم ومتطلبات الأخلاق والأمانة في الاختيار والتعيين

ويصب في النظام المتكامل ومجريات تفاعل العناصر داخل الأنظمة الفرعية كوحدة واحدة مشتركة لتشكيل المنظومة، وصورة منها نظرية النظام المتكون من المدخلات والعمليات والمخرجات والتغذية العكسية..

ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال النظام المناسب لتخطي الصعاب بأسلوب معالجات السلوكيات الاستغلالية وغير الأخلاقية، وما يفرز من تحديات عدم الثقة وما يخالف ما يضمن الشخص ويعقد الأمور، ومنه ما تبرز من الحواجز وعدم التعاون والانجاز والالتزام، ومؤدى المعالجات هو الحلولة دون وضع المعوقات وإبراز الأخطاء دون تقديم أي بدائل بناءة أو مفيدة، سواء كان ذلك في مراكز إدارية متقدمة أو كان بمستويات أدنى..

أما النظام الرشيق الدائري فهو لتلبية مفصلية الحاجة - الإشباع التي لم يتم ملؤها منذ فترة طويلة للنظام الرشيق (LS)، ويمكن من خلاله، وبشكل دائري، توحيد وتنظيم الأنشطة والبرامج والخدمات وبمعاصرها الرئيسية، أن تكون مجموعة بسيطة وشاملة من مؤشرات الأداء الرئيسية الرشيقة التي يمكنها تحديد جميع أشكال المخلفات

لا بد من بداية ومدخل لوضع ما يوضح جوانب مناسبة وملائمة مع ما سيعقبه من خوض محاور تكاملية لما يتطلبه البحث، وسيكون محاوره هذا المبحث الآتي:

أولاً: المدخل والمفاهيم.

ثانياً: الأخلاق والأمانة في الاختيار والتعيين.

ثالثاً: الثقافة المؤسسية وبناء النظام الرشيق الدائري وأنظمتها الفرعية في الاختيار والتعيين.

أولاً: المدخل والمفاهيم

من الأمور الضرورية أن يكون لأي نشاط خطط وتطبيقات نظامية، شاملة ومتكاملة، تحمل كل ما يمكن أن تنهض بتنمية وتطوير المشاريع أو المؤسسات، الحكومية وغير الحكومية، من أجل تعاظم المنافع على أسس قوية لما يُقام عليها من بناءات لمستقبل تنموي وتطويري..





والهدر والضياعات، لتكون بحراك دائري استباقي للتحسين المستمر بمعايير وتآزر وتعاون وانسيابية ومرونة تؤدي إلى التفاعل والأداء العالي الخالي من كل أخطاء ومخلفات وهدر وضياعات، فضلاً عن كونه ضمان الاستمرارية المنتظمة لأنشطة التحسين المستقبلية..

لذا فإن التخطيط للاختيار والتعيين والتوظيف، وسلامة أنظمتها ومعاييرها، من الأمور المهمة والحساسة في المجال الوظيفي وحاجاته المختلفة لاختيار ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب، والتوقيت المناسب، والموقف المناسب، والاستفادة مما يمتلكه من مؤهلات وخبرات ومهارات ومواهب، كل حسب قدراته وما مطلوب منه تنفيذ ما مخطط له بالأداء العالي الرشيق والمثمر باستدامته الدائرية، المرتبط به مفصلية التنفيذ - الأداء بنظام رشيق دائري يحقق الجودة المطلوبة وبتكاليف مناسبة وبأعلى المنافع وإشباعاتها، والحد من الهدر والتبذير والضياعات، والحد مما يضيع الحقوق ولا سيما حقوق الأجيال المتعاقبة..

وهذا التوجه، لابد البداية أن تنطلق من وضع بعض المصطلحات والمفاهيم التي تهيئ الوضوح والأرضية المناسبة للبحث والدراسة، ومنها يكون كالآتي: (١)

■ الموظف Functionary: الشخص المزاو لأعماله بالتوظيف أو التعيين، وذلك في نشاط أو مسؤولية معينة، براتب أو بأجر معين..

■ الوظيفة (الوظائف)

(s) Function: يستعمل المصطلح للدلالة على حقل معين من نشاط أو مجموعة أنشطة (في الإدارة)، حيث يناط أمر ذلك النشاط بمدير تنفيذي يُحوّل صلاحيات معينة ويعد مسؤولاً عنها.

■ التحليل الوظيفي Functional Analysis: أسلوب التحليل المنهجي لكل عنصر وكل عملية داخلية في صنع المنتج السلعي والخدمي وفحص وظيفتها وفوائدها بالنسبة للتكاليف - الجودة، والهدف من هذا الأسلوب هو تحقيق منفعة متساوية من السلع والخدمات بأقل التكاليف، وهناك أسلوب تحليل

tinual Lean Improvement "Taylor & Francis Group, LLC, New York, USA, 2013P : 94 - 98 .

- د. هاشم حسين ناصر المحنك، موسوعة المصطلحات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والتجارية، مكتبة لبنان

ناشرون، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ و ٤٤١ و ٦٢١.

- د. هاشم حسين ناصر المحنك، نظام تصميم العمل وتقييم الأداء ودوره في المشاريع الإنتاجية، دار أنباء

للطباعة والنشر، مطبعة القضاء، النجف الأشرف - العراق.



الوظائف.

والأساليب المتعلقة باختصاصه.

- السلطة الوظيفية Functional Authority: التي يزاؤها من يتمتع بها على أساس وحدات إدارية معينة، وربما لا يكون بالضرورة رئيساً عليها.
- التنظيم الوظيفي Functional Organization: تقسيم أوجه النشاط في المشروع أو المؤسسة على أساس الوظائف.
- العلاقات الوظيفية Functional Relations: التي تنشأ داخل الهيكل التنظيمي عن وضع نماذج من تفويض السلطات تشمل خطي المسؤوليات التنفيذية ومجالاً واحداً أو أكثر من مجالات المسؤوليات الوظيفية.
- المسؤوليات الوظيفية (المتخصصة) Functional Responsibility: وهي مسؤوليات الأخصائيين في الإدارة وتركز على أساس المعرفة المقترنة بالخبرة المستوجبة لاستشارة الموظف الاحصائي قبل اتخاذ القرارات ذات العلاقة بالوظيفة، وأن يقدم خدمات للمدراء الآخرين في المؤسسة كمستشار خبير في السياسة

التخصص الوظيفي Functional Specialization: وهو ما يتعلق بأداء عمل معين أو نشاط وظيفي معين.

تصنيف الوظيفة (العمل) Job Classification: ترتيبها ووضعها في فئات بعد التحليل والتبويب حسب أنواع مستويات المهارات المطلوبة لها، وتجري هذه العملية عادة بهدف تقدير الوظائف وتقييمها.

وصف الوظيفة (العمل) Job Description: الصورة الواضحة لطبيعة النشاط المحدد، من مسؤوليات وواجبات وصلاحيات ومميزات رئيسية له.

تقييم الوظيفة Job Function: العملية النظامية التي تعقب تحليل الوظائف، وبمنظور توصيف ووصف ومواصفات الوظيفة، والجهود المبذولة، الفكرية والعضلية، لوضع القيمة التقديرية المادية للعمل من الرواتب والأجور وبشكل عادل ومناسب، وربما يكون حسب الظروف الاقتصادية



وتشريعات الدولة، أو بمنظور المشروع وتميزه..

■ **تقويم الأداء Performance Appraisal:** الأسلوب العلمي والعملية للكشف عن مدى مطابقة الخط البياني لما مخطط له مع الخط البياني لما تم إنجازه فعلاً خلال مدة معينة للإنجاز، ومعرفة مستوى تحقيق الأهداف، ويستهدف منه تحسين الأداء والتطوير..

التعيين Placement: ويتحقق بعد اجتياز مرحلة الاختيار - الاختبار أو المدة الزمنية المقررة بنجاح..

وأن لا يغفل الوظيفة والنظام المرتبط بالتقنيات التكنولوجية الحديثة وتوظيفها بشكل يواكب التطور العالمي، ولا سيما هنا ما يتعلق بالموارد البشرية، وجانب منها الاستقطاب والاختبار، والاختيار والاختيار، والتعيين أو التوظيف، والاختبار والتدريب والتعليم المستمر، وحتى الوصول إلى استثمار الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي..

وفي مجال الاختيار والتعيين ومجريات الحاجات والتخطيط، وبحسب التطور التقني والتكنولوجي، قد يحتاج إلى استثمار

الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي، بشكل منفرد ومزدوج، يجمع بالتنسيق والتنظيم، بين منافعهما ومكتسباتهما في مجال الأعمال التخطيطية والتنفيذية، ليختزل الوقت والمكان والجهد وعبء وقوة وضغوطات ومتطلبات العمل، ومؤثراته على مستوى دوران العمل والمعايير والجودة...

وتبرز محاور وتوجهات عنصر المنافسة والقدرات التنافسية، في مختلف مجالات الحياة والأنشطة، باتجاهاتها الإيجابية والسلبية، ومنها ما يظهر عند استقطاب الموارد البشرية والمواهب، ومجريات مواقع الاختبار بين الاختيار والتعيين أو التوظيف والتخطيط والتنفيذ والأداء والتسويق السلي والخدمي للمشاريع أو المؤسسات..

وبذلك لا يمكن أن يغفل الظروف والطوارئ والمتغيرات المحسوبة ضمن الخطط والتي لم تدخل ضمن الخطط، كما حدث ويحدث في عالمنا المعاصر، وأبرزه مجريات جائحة كورونا، ومؤشرات الأعمال عن بُعد، ومتطلبات استثمار الذكاء البشري - الاصطناعي، ومؤثراته على الموارد والمواهب البشرية، وبالذات الاختيار والتعيين، ومؤشرات البطالة والاستغناء الوظيفي وتضخمه نتيجة



ثانياً: الأخلاق والأمانة في الاختيار والتعيين

لا يكون التعامل في مختلف الأنشطة إلا بالائتمان والأمانة، والأمانة في الإسلام سبيل أخلاقي قائم في مختلف العلاقات والمعاملات ومتبنياتها الإنسانية الداعمة للثقة المتبادلة، والدين المعاملة: قوله تعالى:

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَبَاطُيَ أَتَيْتِ أُسْتَجِرَهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٢)

فلا يمكن الاختيار والتوظيف والتعيين إلا باختبار الأمانة والقدرة والمهارة وقوة الثبات عليها مهما كانت الظروف، وهو ما ينجر على واقع مختلف الأعمال، بالتخطيط والتنفيذ والأداء العالي وجودته التي هي نتاج ما يمر من المراحل: قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْمِنُ بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ (٥٤) قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٣)

وهكذا يتحول بشكل النظام الرشيق الدائري، من مرحلة الاستقطاب والاختبار إلى مرحلة الاختيار وسبل

الظروف الاستثنائية ومخاطرها على الصحة العامة، ومجريات الأمن الفكري والنفسي والسلوكي - الاجتماعي، وربما على الاضطرابات النفسية - المعرفية، ومجريات الوظائف العقلية منها ما يتعلق بالذاكرة واللغة والتعلم والوظائف التنفيذية والحركية والإدراك الاجتماعي والانتباه المعقد..

و (لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصَلَتَيْنِ: الْعَافِيَةِ وَالْغَنَى. بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ؛ وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذْ افْتَقَرَ) (١).

وهو ما يؤثر على مستوى وعبء وقوة العمل، الممتد بظلاله على ما يجري من استقطاب واختيار وتعيين والحفاظ على الوظيفة..

وكصحة عامة؛ لم تكن وليدة اليوم هكذا ظروف صحية، بل كانت وليدة التاريخ وأقربها القرون الماضية كمرض وجائحة الطاعون، المحفوفة بالمخاطر، والمؤثرة في رفع مستوى الوفيات والبطالة وسوق العمل، والاختيار والتعيين..





التعيين أو التوظيف بما يمتلك من المؤهلات والكفاءات والمواهب ليكن مرشحا بمستوى؛ ﴿أَسْتَخْلَصُهُ لِنَفْسِي﴾ و ﴿مَكِينٌ أَمِينٌ﴾، يقابله ويتكامل معه كوصف وظيفي ومواصفات الوظيفة؛ ﴿خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ و ﴿حَفِظْتُ عَلَيْهِمْ﴾..

وجانب من مضامين النصوص المباركة، تهتم إدارة الموارد البشرية المتقدمة والمتطورة، وهي واحدة من وظائف المشروع أو المؤسسة، بجوانب عدة منها إدارة الذات، ومعالجة المحاور الإستراتيجي الحساس، ألا وهو الاختيار والاختبار والتعيين أو التوظيف، وتجربة القدرات والكفاءات، والذي يُعوّل عليه مستقبل الحكم والقرار سواء كان في المؤسسة أو المشروع واستمراره بالشخص المناسب في المكان المناسب والموقف المناسب الذي يسهم في دفع مجالات النمو والتطوير نحو النجاح والتميز والاستدامة..

و﴿مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ أَصْلَحَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظُ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ﴾^(١).

وأصلح محاور التمكين من الذات لتحقيق تطبيقات ما أمر الله تعالى به من

أمانة وأخلاق، لتستقطب الناس بالميزات استعمال ما يحمله الإنسان من مؤهلات وتجارب وخبرات، والأولية أصلح العلاقة مع الله تعالى، ليتحقق أصلح العلاقة مع الناس، وأصلح العلاقة مع الآخرة، ليصلح العلاقة مع الدنيا، وتوجهاتها؛ النظام الرشيق الدائري، عند: (وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظُ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ)

فلموعظة والعظة نظام دائري رشيد ورشيق يمكّن الناس من إصلاح الذات الفردي والجمعي والمجتمعي، وهذه الخارطة النظامية ومنظومتها، يكون تطبيقات:

(أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ)^(٢)

هذا البناء الأخلاقي الممتد للعلاقة مع الوظيفة ومواقعها وتوقيتاتها ومواقفها، لا بد من أن يكون بمستوى ثقافة الوعي وسلامته، ليستوعب ويخطط ويُدع ويحقق النتائج واستعمالاتها الدائرية بالمعلومات المرتدة وتهذيبها، وللتقييم الوظيفي والتقويم الأدائي، يتطلب معرفة مبدأ:

(وَمَا كُلُّ ذِي قَلْبٍ بِلَيْبٍ، وَلَا كُلُّ ذِي



وبحسب دقة ما مرسوم من تحليل الوظائف وتقييمها، وبالذات ما يتحدد مسبقاً من توصيف ووصف ومواصفات الأعمال، ولكل المستويات الإدارية أو القيادية، وتدرجات المهام من المستويات الإدارية العليا، ونزولاً إلى المستويات الوسطى وحتى الدنيا؛ ومن أكبر إداري أو قيادي وأعقد نشاط، إلى أدنى مستوى في الأنشطة، بتوجهاته التخطيطية والتنفيذية..

لذا تطلب تطابق الوصف الوظيفي، وما يقابل من المواصفات الوظيفية، ومنهما ويعقبهما ما يتطلب من دقة اختيار الشخص المناسب للمكان والتوقيت المناسبين، ومرتبات ما يتطلبه الموقف، لاعتبارات تخص نجاحه في الإدارة، ونجاح المشروع أو النشاط، وطبيعة المهمة المكلف بها، مهما كان اتجاهه، وبإستراتيجية التنمية ومنها ما يتطلب من تنمية قدرات العاملين في المشروع أو المؤسسة..

ولابدّ من معرفة المبدأ؛ ان الموقف يخلق القيادي، وبمرحلة أخرى القيادي يخلق الموقف المناسب للنجاح والتميز الاستثنائي، مع مدى ثبات وتحقيق الأهداف وإستراتيجيات المشروع أو المؤسسة..

فمثلاً حينما يتهيأ الدور المناسب في موقف معين للمشروع، الفرصة تقدّم

سَمْعٍ بِسَمِيعٍ، وَلَا كُلُّ نَاطِرٍ بِبَصِيرٍ^(١) ومنه ما تبرز وتتضح العقبة الرئيسية التي تشغل الممول والقائم على تنفيذ أعمال المشاريع والأنشطة، بجميع الأشكال والاتجاهات، هي المعايير والأساليب المناسبة والفضلى للاختيار Selection والتعيين Placement وتجربة قدرات وكفاءات القوى العاملة ومواهبهم، ومتطلبات البرامج التنموية والتطويرية..

وهو من المهام التي تناط أو تحوّل بها جهة معينة، وحسب الوصف والتوصيف الوظيفي، وأهمية الأمر ونوعية الجهود المبذولة لإنجازه، سواء كانت:

- الجهود فكرية أو ذهنية؛ يتطلبها التخطيط
 - أو الجهود جسدية أو عضلية؛ يتطلبها التنفيذ..
 - أو يشملهما معاً؛ ويكون مشتركا بشكل نسبي على وفق ما تتطلبه الأعمال بين التخطيط والتنفيذ..
- وتترتب الجهود على أساس الأساليب التي تتلائم مع النشاط، وبالتوقيت والمكان والموقف، وقد تكون مرتبة لمقتضيات المدخلات والعمليات والمخرجات وما يتكامل معها جميعاً؛



شخص له سمات تتطابق أو يمكن أن تتلائم معه، وهو في غير ذلك الموقف والدور، لا يمكنه أن يشغل ذلك الدور، وعندها يكون الموقف قد خلق الشخص القيادي بتوافر الفرصة المناسبة له..

وفي مرحلة أخرى؛ القيادي متحقق بمواهبه وقدراته وابتكاراته وتعاونيه والتنسيق مع الجماعة متلائم ومتوافر، عندها يخلق الموقف الذي يحقق أعلى مستوى نجاح للنشاط أو المشروع أو المؤسسة؛ النجاح المادي أو المالي أو المعنوي أو ما يوافر من جدوى اقتصادية واجتماعية وأمنية للمشروع وأنشطته..

وقد تشترك الحالتان ضمن الشخص في شغل الدور واستثماره وتحقيق أعلى مستوى من النجاح، ويحوّل الفشل إلى نجاح المشروع ونجاح العاملين فيه..

ولذا فاختيار الموارد البشرية أو القوى العاملة وتعيينهم وتنمية قدراتهم ومهاراتهم وقابلياتهم ومواهبهم بالصقل والتدريب، له الأهمية البالغة والكبيرة لدعم الإستراتيجيات، ولا سيما ما يتعلق بإستراتيجية إدارة الموارد البشرية، وديمومة وتنمية وتطوير النشاط المزمع إنشاؤه، أو القائم فعلاً، ليكن بناؤه على وفق الأسس الصحيحة والمناسبة، بأفضل وأنسب شكل تحقيق وجوده واستمراره،

وهذا يتخذ الاختيار والتعيين عن طريق:
١- الاستعانة بالمصادر الداخلية؛ ويكون:

أ- إما الاستعانة من داخل المشروع، في حالة كون المشروع قائماً، وذلك بتحديد الأفراد وتحويلهم إلى أنشطة أخرى أو لوحات إنتاجية أو خدمية بعد تدريبهم وتأهيلهم للدور أو المركز الوظيفي أو الموقع الجديد والملائم، كأن يكون الشخص بنفس المستوى الوظيفي، أو ترقيته أو ترفيعه إلى درجة وظيفية أو مستوى إداري أعلى (شغل منصب أعلى)..

ب- أو الاستعانة من خارج المشروع؛ كأن تكون من المشاريع الأخرى وسوق العمل والمصادر التطويرية والتأهيلية والتعليمية، ومن داخل القطر أو الإقليم الواحد..

٢- الاستعانة بالمصادر الخارجية؛ ويكون بموجبه الاعتماد في الاختيار والتعيين لما يحتاجه من العاملين باختصاصات وقدرات معيّنة، من خارج القطر أو الإقليم أو خارج الحدود الوطنية..

٣- الاستعانة بمختلف المصادر المتقدم ذكرها، وذلك للاستفادة من إيجابيات كل منها، أو لتلبية حاجات ومتطلبات المشروع بشكل دقيق، لحساسية وأهمية





وإستراتيجية المشروع وأمنه..

وعموماً فإن الاختيار يسبق التعيين المؤقت، والتعيين المستمر أو الدائم بعد التثبيت، وهو الأسلوب المحدد الذي تتبعه الجهة المعنية بشكل مركزي أو لا مركزي، وبالطريقة التي تراها مناسبة كطريقة الانتخابات أو عن طريق إعداد الموظفين فنياً لشغل بعض الوظائف، والعمل من خلال المجاميع المرشحة من المتقدمين أو ما متوافر من القوى العاملة لدى المشروع، وعلى وفق وصف ومواصفات الأعمال المحددة والشاغرة^(١)..

وبذا تم تلخيص العديد من المناقشات الأخيرة حول الأخلاق وإدارة الموارد البشرية في مجموعة Winstanley and Woodall (2000b) المحررة للأوراق التي قدمت بالأصل في مؤتمرات أقيمت بالمملكة المتحدة، ويلاحظون بإيجاز كيف يمكن النظر إلى نظريات الإدارة المختلفة للتعامل مع الأخلاقيات وإدارة الموارد

١- راجع على سبيل المثال هذا الخصوص :

- د. حسين الدوري، إعداد وتدريب القوى البشرية، ط ٢، مطبعة الجامعة، بغداد، العراق، ١٩٨٥، ص ١٠١ - ١٣٠

- د. علي السلمي، إدارة الأفراد والكفاءة الإنتاجية، ط ٣، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٢٠١ - ٢٢٥.

البشرية، ثم استكشف بعض العضلات الأخلاقية المرتبطة بممارسات إدارة الموارد البشرية، مثلاً الاستقطاب والاختيار والتدريب والتطوير وممارسات العمل والأجور ومشاركة الموظفين، واستنتجوا أن هناك قيوداً كبيرة تواجه إدارة الموارد البشرية الأخلاقية، ومجريات النظريات الاجتماعية والسياسية الأساسية التي أثرت على الأفكار حول العمل والمجتمع، ولها صلة بمجال التوظيف والعمل الأكثر تحديداً، يمكن أن يرتبط تحليل الأخلاقيات وإدارة الموارد البشرية بالإطار الاجتماعي والسياسي الذي تم استخدامه لسنوات عدة لاستكشاف طبيعة السلطة والحكومة والموافقة داخل المجتمع، وغالباً ما تعكس العضلات الأخلاقية في مؤسسات العمل العضلات الأخلاقية حول المجتمع ككل ودور الحكومة وتنظيمها في المجتمع، يمكن أن تسهم الأطر النظرية لأحدهما في تحليل الآخر^(٢).

وفي عالمنا المعاصر، تعد إدارة الموارد البشرية في قلب العديد من القضايا التي تؤثر على قدرة العمل لتوافر التنمية الفردية، ومدراء الموارد البشرية مسؤولون من بين أمور أخرى عن الاستقطاب

2- Pinnington, Ashly H., & Others, " Human Resource Management: Ethics And Employment ", 1st Ed., Oxford University Press Inc., New York, USA, 2007 , P : 24 .



والاختيار والتوجيه وتقويم الأداء والتدريب والتطوير، وقضايا العلاقات الدولية والصحة والسلامة، كما يتطلب أن يكون واضحاً بوضوح من هذه القائمة، فإن إدارة الموارد البشرية هي مجال نشاط حيث تنشأ العديد من القضايا الأخلاقية المركزية المتعلقة بأصحاب العمل والموظفين، ما هي أنواع القضايا ذات الصلة لمدرء الموارد البشرية في تحديد الأخلاقيات من العمل المنجز في إطار السوق؟^(١)

ولا يقف المنهج الإسلامي في توجهاته عند هذا الحد، بل يمتد لاستدامة الحياة بالعمق الأخلاقي والإنساني الحضاري من خلال المعلومة الدقيقة والاستقطاب والاختيار والتعيين أو التوظيف بنظامها الرشيق والدائري والمستدامة والمستمر بنظرته الفاحصة للمواقف ومتطلباتها في البناء والتنمية والتطوير، حيث يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام:

(ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لَكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِياراً، وَلَا تُؤْهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمْ جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْحِيَاةِ. وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبَيِّنَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً، وَأَصَحُّ

أَعْرَاضاً، وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْراً)^(٢).

وجوانب من النظام الرشيق الدائري الذي يتعد عن الانحراف الفكر - النفس يظهر بين التوظيف والاختبار والتجربة، وما يمتد لمستوى الحياء والأمانة والأخلاق، التي تترجم تكاملية الشخصية - الصلاح واستدامة العطاء، لكون ما يحملونه من سمات تجعلهم:

■ فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً.

■ وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً.

■ وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً.

■ وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْراً.

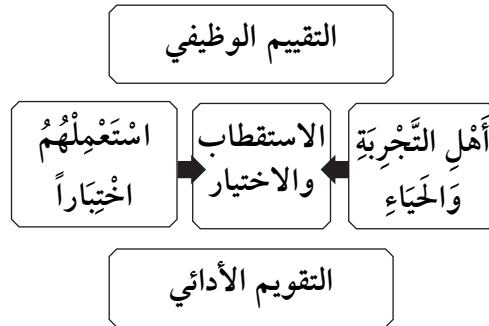
وتكون هناك رؤية أخلاقية واضحة لكل الأطراف المعنية بالوظيفة أو العمل وطبيعته وأعباءه وقوته وحاجاته ومتطلباته العقلية والعضلية لتكون الإيجابية في أمانة وأخلاقية الاستقطاب والاختيار والتوظيف أو التعيين، ويمتد إلى؛ (وَلَا تُؤْهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً)، ومما يكون بتوجهاته النظامية الرشيقة الدائرية بنتائجها على أساس:



أَهْلُ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ = اسْتَعْمَلُهُمْ اخْتِبَارًا

ويمكن أن يكون بحسب مضامين هذا التوجه، وضع مخطط مختصر ومبسط لمنظومة الاستقطاب والاختيار بداعم الاختبار والتجربة والخبرة وكالاتي:

مخطط (١)



التقويم الأدائي

مخطط (١) يبين منظومة الاستقطاب والاختيار بداعم الاختبار والتجربة والخبرة

ولا يقف عند هذا الحد من عمق الأمانة - الأخلاق، بل يكون داعم للمعلومة - النزاهة بالاختيار والاستقطاب الدائري حول التعيين أو التوظيف، ويمتد إلى:

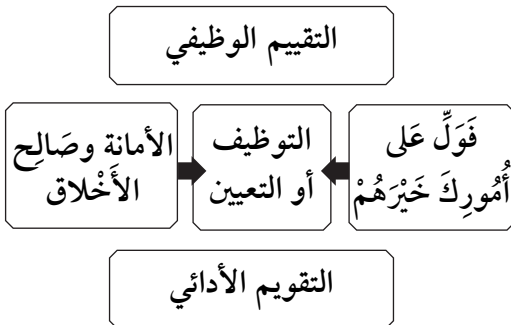
(.. فَوَلَّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَأَخْصَصَ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِي بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلٍ، وَلَا تَقْصُرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِبْرَادِ مَكَاتِبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ،

وَإِضْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، فِيمَا يَأْخُذُكَ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ^(١).

وتكليف الأمور يحتاج خيرهم والمؤمن لوجوه صالح الأخلاق، مما يعني التوقيت تتمثل في الموقع - الموقف، بمعنى آخر من محددات الاختيار والتعيين أو التوظيف، هو ودقة ما يتطلبه من مفصلة الوصف الوظيفي - الموصفات الوظيفية؛ (فَوَلَّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ)، ليكون الشخص المناسب في الموقع المناسب والتوقيت المناسب والموقف المناسب..

ويمكن وضع جانب من مضامين هذا التوجه الدقيق للنظام الرشيق الدائري والمستدام والمستمر، بتقييمه الوظيفي وتقويمه الأدائي وما يجمعهما، ضمن مخطط مختصر ومبسط:

مخطط (٢)

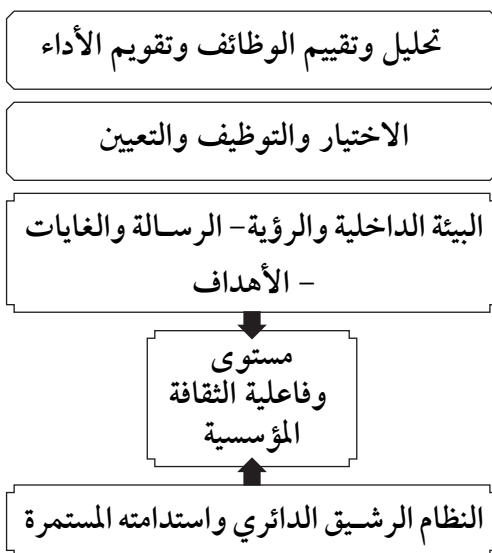




مخطط (٢) يبين منظومة التوظيف بداعم الأمانة والأخلاق

ثالثاً: الثقافة المؤسسية وبناء النظام الرشيق الدائري وأنظمتها الفرعية في الاختيار والتعيين

الثقافة المؤسسية ومستوياتها التنظيمية لها فاعليتها في مدى فهم واستيعاب الرؤيا والرسالة والغايات والأهداف للعاملين داخل المشروع وامتداده إلى خارجه لتعالج الفراغات والفجوات المعوقة للتعاون المشترك للتنفيذ - الأداء، لكون الثقافة المؤسسية نتيجة للتفاعل مع المعلومات والذكاء العاطفي والسلوكيات والخبرات والفلسفات والإستراتيجيات، ومنه تفاعل البيئة الداخلية و، أو البيئة الخارجية، ويمكن اختزال ذلك في مخطط مختصر ومبسط مع تبيان الاختيار والتوظيف والتعيين، وكالاتي: مخطط (٣)



فهناك تدخل في كل مجالات الحياة؛ الأمانة والأخلاقيات، و (صالح الأخلاق)، وما يجتمع عند خير الشخصيات في العمل والمتطلبات الأخلاقيات المهنية والسيرة، (وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلُ).

والجهل آفة كل شيء، ومفتاح معرفة قدر النفس؛ التعلم والتربية والتعليم والتدريب والخبرات، ونتيجتهم العلم النسبي، وبالعلم تنهض البلدان والأمم والشعوب بما يحفظ كرامتها، ولا يكون ذلك إلا باستتمام ودقة التوصيف الوظيفي والوصف والمواصفات الوظيفية التي تكشف عن متطلبات العمل للقدرات والمواهب، ولا يتحقق ذلك بشكل النظام الرشيق الدائري إلا بمعرفة سياق وجودة ومنحى الاستقطاب والاختيار والاختبار والتوظيف والتعيين..

وهو سبيل مما يحقق الأهداف المرسومة بإستراتيجية وفلسفة مبنية على دقة الرؤيا وسلامة الرسالة واستقامة الأهداف، بلا ضياعات ولا تبذير ولا تقتير ولا هدر في كل شيء، ومنه حماية الحقوق بالأداء العالي للواجبات، فتصان الحقوق المتبادلة،





مخطط (٣) يبين جانباً من منظومة النظام الرشيق الدائري والثقافة المؤسسية. وهنا جانب مما يظهر؛ أهمية قنوات الاستقطاب الجاذب والطارد التي تولده الثقافة المؤسسية، وما يسهل مهام وضع أسس وبناء النظام الرشيق الدائري، الذي يبدأ من التنظيم والتنسيق بين المستويات الإدارية التخطيطية والمستويات التنفيذية..

وتؤثر الثقافة المؤسسية أو ثقافة المنظمة على مستوى الرضى وحسب الانتفاء للمشروع أو المؤسسة، والذي يعتمد على أمور عدة منها ما يتعلق بمستوى العطاء والرضى والمكاسب..

ولابد من أن تكون فاعلية الثقافة وثقافة الانتفاء وأخلاقياتها امتداداتها للعقل والتجربة والانتفاع؛ (فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ، وَالتَّجْرِبةِ)^(١)، ومنه ما يتعلق بالفرد وموقعه الوظيفي في مؤسسة ما، وما ينتفع منها كمصدر رزق..



وتنبثق من ذلك أنظمة فرعية للنظام الرشيق الدائري الداخلة ضمن الوظائف الإدارية؛ كالنبؤ والتخطيط وتنمية المدراء والتنفيذ والتنظيم والتنسيق والرقابة، ووظائف المشروع؛ كالإدارة المالية وإدارة الموارد والمواهب البشرية وإدارة الإنتاج والعمليات وإدارة التسويق..

ومنه ما يتعلق بنظامه الرشيق الدائري الفرعي الخاص بإدارة الموارد والمواهب البشرية، وجانب من هذا النظام الفرعي المتعلق في الاستقطاب والاختيار والتعيين الداعم لاستمرارية المشروع باستدامة رفع الروح المعنوية وأخلاقيات العمل - الأداء والشعور بالعدالة والمساواة والتكافؤ، لأن العطاء يلتقي مع سلامة الحقوق والواجبات.

لذا لابد أن يكون هناك معلومات وبيانات ونظمها المتكاملة، ورؤيا واضحة

١- نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٦٦ .



المبحث الثاني

النظام الرشيق الدائري وأنظمته الفرعية في استقطاب واختيار وتعيين الموارد البشرية

بعد كل ما تقدم تبيانه، واستكمالاً
للولصول إلى المحاور الرئيسي للدراسة،
ووضع ما يتم استهدافه لنظام تكاملي
جديد ضمن إدارة الموارد البشرية وتحديد
بـ (النظام الرشيق الدائري) والخوض في
أنظمته الفرعية وتكون كالآتي:

أولاً: النظام الرشيق الدائري للاستقطاب.

ثانياً: النظام الرشيق الدائري للاختيار.

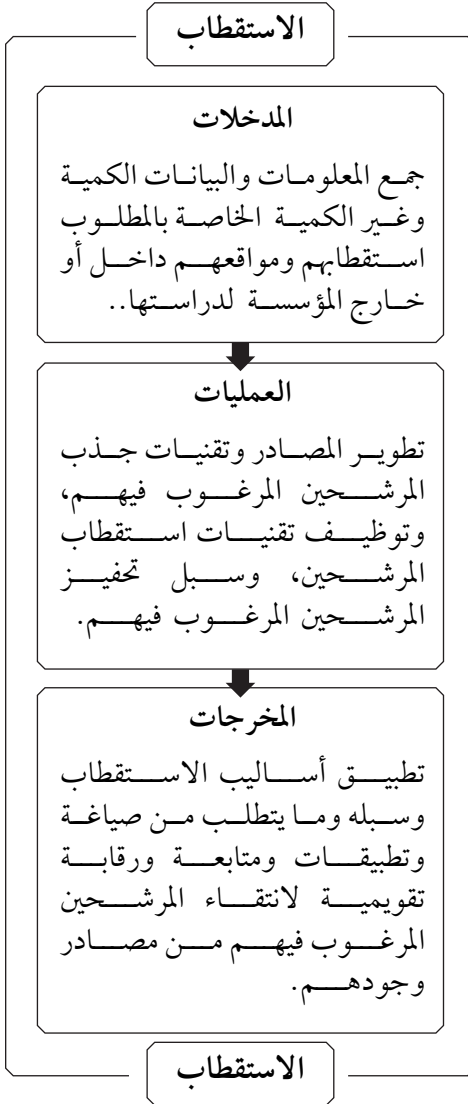
ثالثاً: النظام الرشيق الدائري للتعيين
والاختبار.

رابعاً: تكامل النظام الرشيق الدائري
لاستقطاب واختيار وتعيين الموارد
البشرية والمواهب.

أولاً: النظام الرشيق الدائري للاستقطاب

وقبل الخوض في محور الاستقطاب، لابد
من وضع مخطط توضيحي بسيط ومختصر
يبين جوانب من عمله وآلياته كمنظومة،
ويمكن تبيانه ذلك بالآتي:

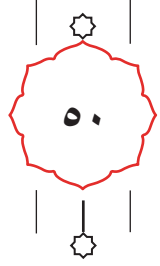
مخطط (٤)



مخطط (٤) يبين النظام الفرعي الأول
لنظام الرشيق الدائري (الاستقطاب)
ويعد مفتاح النظام الرشيق الدائري
للتعيين، والنظام الفرعي Sub-systems
له يتمثل بالاستقطاب Recruitment،
ويتكون من الوظائف الفرعية الآتية^(١):

1- Mahapatro, Bibhuti Bhusan, " Hu- ➡





١- التعرف على المصادر وتطويرها حيث يتوافر العدد المطلوب ونوع الموظفين.

٢- تطوير التقنيات المناسبة لجذب المرشحين المرغوب فيهم.

٣- توظيف تقنيات استقطاب المرشحين .

٤- تحفيز أكبر عدد ممكن من المرشحين ومطالبتهم بالتقدم للوظائف بغض النظر عن عدد المرشحين المطلوبين.

ويتعين على الإدارة جذب المزيد من المرشحين من أجل زيادة نسبة الاختيار (أي عدد الطلبات لكل وظيفة شاغرة)

من أجل اختيار المرشحين الأكثر ملائمة من إجمالي المرشحين، ويعد الاستقطاب إيجابياً لأنه يهدف إلى زيادة عدد المتقدمين، ويكون الاختيار سلبياً للمتقدم إلى حد ما، لأنه يختار المرشحين المناسبين حيث يتم التخلص تلقائياً من الفائض وتوجه العملية غير المناسبة، وعلى الرغم من أن وظيفة الاستقطاب تبدو سهلة، إلا أن عدداً من العوامل تجعل أداء الاستقطاب أمراً معقداً.

ولاستقطاب الموارد البشرية، ولا سيما منها المؤهلات والمواهب والمهارات والخبرات، يحتاج إلى أمور عدة منها ما يتعلق بالجهة المستقطبة، سواء كانت داخلية أو خارجية، أو بصفتها مؤسسات حكومية أو غير حكومية، أو مؤسسات عامة أو خاصة أو مختلطة، وطبيعة المؤسسة أو المشروع، وضمن أي قطاع، سواء كان منتجاً للسلع أو الخدمات أو المعلومات.. ومرتبطة مع كل ذلك وغيره بالهيكل التنظيمي والدليل التنظيمي، وما يتحدد من خلال؛ نظام تصميم العمل وتقييم الأداء، المتكون من أنظمتها الفرعية الرئيسية:

- تحليل الوظائف؛ والذي يشمل على: توصيف الوظائف، ووصف الوظائف، ومواصفات الوظائف..
- تقييم الوظائف؛ المعتمد على ما يتحقق من مستوى دقة تحليل الوظائف، ويتحقق عنده العدالة والمساواة والتكافؤ..
- تقييم الأداء؛ ويعتمد على مدى مستوى دقة تكاملية تحليل الوظائف وتقييم الوظائف، ليحقق ما يتطلبه من مستوى معايير الأداء..



ويكون الجذب والاقتناع والتوجه والتقديم على وظيفة أو عمل معين في مشروع أو مؤسسة، يحتاج إلى مستوى ومساحة إعلامية وإعلانية، عن طبيعة الوظيفة وشروطها ومتطلباتها من مؤهلات وخبرات وتاريخ سيرة العمل ومكاسبها، ومستوى تطورها وتلبية متطلبات الابتكارات والإبداعات وما تتصف بالحاجة والإلحاح والضرورة، وما تحتاجه من مهارات وتقنيات ومواهب..

وعند ذلك؛ (هَلَكْ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قُدْرَهُ)^(١)، بضیاع ما يمتلكه من قدرات ومهارات وخبرات عند مفصلية نقاط القوة - الفرص المواتية لإظهارها واستثمارها، لتحقيق له العدالة ورفاهية حياة اقتصادية - اجتماعية..

ويستخدم بعض الأشخاص مصطلح «الاستقطاب» للتوظيف، والتوظيف ليس سوى خطوة واحدة من خطوات عملية التوظيف والتعيين بأكملها، بينما يستخدم البعض الآخر مصطلح التوظيف للاختيار، وهذا المصطلح ليس واحداً ونفس الشيء أيضاً، ومن الناحية الفنية، تسبق وظيفة التوظيف وظيفة الاستقطاب والاختيار وهي تشمل فقط العثور على مصادر الموظفين المحتملين وجذبهم

للتقديم للوظائف في مشروع، في حين أن الاختيار هو عملية العثور على المرشح الأنسب للوظيفة من بين المرشحين الذين تم استقطابهم، ومن شأن التعريف الرسمي للاستقطاب أن يعطي فكرة واضحة عن وظيفة التوظيف^(٢). وتعدد قنوات الاستقطاب Recruitment Channels، فمنها ما تكون؛ قنوات الاستقطاب التقليدية، وقنوات الاستقطاب غير التقليدية، وقنوات الاستقطاب الرقمية..

ويمكن أن يكون الإعلان الوظيفي في عالمنا المعاصر عن طريق الانترنت والرسائل النصية والتواصل الاجتماعي، ومقابله ما يتم عرض المتخصص والموهوب قدراته وخبراته وما يقابله من إغراءات جاذبة لهذه التخصصات والمواهب من الجهات المعنية بذلك، كما يحصل مثلاً عن طريق موقع [linkedin.com](https://www.linkedin.com).

وقنوات الاستقطاب الداخلي، لها أهمية بالغة، في الدعم الذاتي الدائري المار داخل المشروع من وظيفة إلى أخرى ومن مستوى وظيفي إلى آخر، ومن مهام وأدوار إلى أخرى، لكنه يختلف

2- Mahapatro, Bibhuti Bhusan, " Op. Cit. ", P



وطاردة للكوادر ذوي التخصصات والمهارات والمواهب والخبرات، وهو ما يوقف عجلة النظام الدائري الرشيق ليكون؛ (بُئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ ! وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفَحَشُ الظُّلْمِ!)^(١). بمعنى لابد من أن تتوافر في المستقطب أو المرشح للوظيفة له سمات فكرية ونفسية وسلوكية تلحق بمميزاته، كالأمانة والصدق والتعاون لتكون مكاسبه من الأجور بالأداء العالي، ومما يقابله المشروع بالعدالة والمساواة والتكافؤ لاستقطابه..

وربما يكون تحرك الجهات المعنية بالأمر والاستقطاب مرتبط بمستوى الندرة التخصصية المطلوبة والمهارة ومرونتها ومواقع فاعليتها ومستوى ما تؤدي إلى انسيابية الأعمال، وما يمكن تناقلها من موقع إلى آخر دون معوقات تذكر

وربما يحتاج الاستقطاب إلى نوع من السرية أو الكتمان لئلا ينكشف في خطواته الأولى إلى الكشف عن الأنشطة، وخصوصاً منها المبتكرة التي تحتاج إلى المفاجئة وسبق المنافسة وذروة العرض والطلب، أو معالجة أمور معينة ترفع من مستوى جودة

بعض الشيء عن الاستقطاب الخارجي للمشروع أو المؤسسة، سواء كان ذلك التوجه والإجراء من داخل الدولة، أو من خارجها، وهدف الاستقطاب الداخلي والخارجي هو واحد وذلك لشغل وظيفة أو مهام أو أدوار لتنفيذ الأعمال على وفق الخطط بأفضل أداء مطلوب..

وتكون قنوات الاستقطاب الداخلي في متناول المشروع وأمنه، وبه لا يحتاج للبحث والاستقطاب الخارجي، ويمكن الكشف واستثمار المعلومات والبيانات الموجودة عن طريق تقويم تنفيذ الأعمال وملفات كل موظف أو منتسب للمشروع أو المؤسسة أو سجلات المؤسسة وما يجمع من مؤهلات وشهادات وتدريبات وخبرات، وأيضاً عن طريق الاعلان الداخلي والكشف عن ما يتلائم مع ما يحتاجه المشروع أو المؤسسة، سواء كان ذلك لإشغال مناصب أو جوانب فنية، بمعنى الحاجة إلى المهارات والمواهب..

وهنا يعقبه ما يجري من المقابلة والاختبار ثم الاختيار وشغل الوظيفة التخطيطية أو التنفيذية، ولا يحتاج إلى الاستقطاب الخارجي والإجراءات الروتينية للمقابلة والتعيين..

ومما يبرز أهمية تحديد ما إذا كانت الوظيفة مناسبة وجاذبة، وليست مستضعة

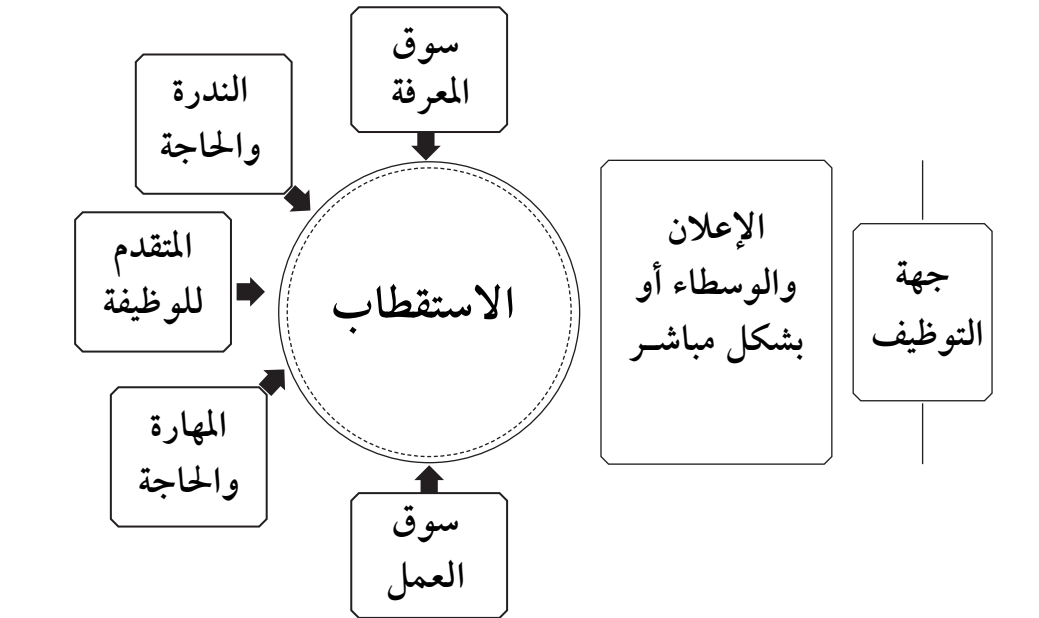
١- نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٠٢ .



المنتوج السلعي والخدمي، المدني منه وغير المدني (مثلاً العسكري والسياسي للدولة).. وكذلك لعملية الاستقطاب أن تضع

من خلالها ما يتطلب تبيان؛ هل هذا التخصص والمهارة والموهبة لها قابليتها المرنة، وما إذا كان الاستفادة منها على أي مدى سواء كان على المدى القريب أو البعيد، وطبيعته، والقدرة الاستثمارية الربحية وغير الربحية، واحتمالية التحرك لعائد الاستثمار المنظور وغير المنظور، والمستوى الوظيفي ومجالاته التخطيطية

والتنفيذية، وما يتصف بالندرة والحاجة إليه مقابل المهارة والحاجة والمتقدم للوظيفة، ومدى التعاون ومصداقية وسطاء العمل..



مخطط (٥) يبين الاستقطاب الوظيفي وقنواتها والندرة والمهارة والحاجة



ومنه ما يتطلب كيفية إثبات الجدارة للمتقدم، كأن تكون من السيرة الذاتية والعلمية لإظهار قوتها وقيمتها في عملية التوظيف، فضلاً عن ما سبق ذكره، يكون الاستقطاب للموارد البشرية والمؤهلات والمواهب على التوجهات الآتية:

■ الاستقطاب المحلي والوطني..

■ الاستقطاب الاقليمي..

■ الاستقطاب العالمي..

وهنا يلعب النظام الرشيق الدائري للاستقطاب الداخلي والخارجي، المستوعب للمجال الإستراتيجي والتكتيكي والتنفيذي، بما فيه ما يتعلق بالمواهب والخيال العلمي والمعرفي، ويمكن أن يكون:

■ الاستقطاب الداخلي: بإثارة وتحفيز القدرات ومكافئتها داخل المشروع أو المؤسسة، وهو مكسب وإمكانية استثماره ويسرها وملائمتها، وربما يكون تنمية القدرات وتطويرها مبادرة ذاتية للموظف أي إنه هو من يسبق الحدث وينمي ويطور قدراته، أو المشروع أو المؤسسة هي التي تتحمل تنمية وتطوير القدرات بشكل مباشر وغير مباشر، كأن

تكون دراسة أكاديمية أو دورات وتعليم مستمر وتحديث القدرات الكلية والجزئية، وتميز نظام الروائي والأجور والمكافآت..

■ الاستقطاب الخارجي فيحتاج للبحث في سوق العمل وسوق المعرفة، والإعلان والوسطاء، ويكون ذلك بالأساليب التقليدية وغير التقليدية والرقمية، وما يتطلب من إثبات جدارة الاختيار والتعيين، وجدارة وتميز نظام الرواتب الأجور والمكافآت ..

وعملية الاستقطاب والاختيار والتعيين أو توظيف الموظفين، تتضمن مطابقة الأشخاص وتوقعاتهم مع مواصفات الوظيفة والمسار الوظيفي المتاح داخل المشروع وما تشمل عليها البيئة والمناخ التنظيمي، وهو ما سيتم التطرق إليه فضلاً عن ما تم ذكره^(١)..

ثانياً: النظام الرشيق الدائري للاختيار

وللنظام الرشيق الدائري للاختيار أهمية

1- Mahapatro, Bibhuti Bhusan, " Op. Cit. ", P : 26 .



بالغة لإدارة الموارد البشرية وإدارة المواهب البشرية، وما يمتد بأهميته لحماية حقوق؛ الجهة الراغبة في التوظيف، والمتقدم للتوظيف..

ومحور مفصلية الحقوق - الواجبات ما يتحدد من معايير، منها مبنية على أساس الهيكل التنظيمي والدليل التنظيمي، وما يتحدد من تحليل الوظائف وتقييم الوظائف وتقويم الأداء..

ويلعب الثلاثي المتمثل بالعدالة والمساواة والتكافؤ، الدور الكبير في تعزيز نفسية المتقدم للوظيفة والموظف الشاغل للوظيفة أو العمل

ويعتمد نجاح صنع الأشخاص قبل صنع منتجات المشروع على تكامل جميع عناصر سلسلة القيمة التنظيمية من تحديد المهارات إلى استقطاب وتوظيف الأشخاص الذين يمتلكون تلك المهارات إلى تنميتهم وتعظيم إمكاناتهم^(١).

وتنطوي عملية الاختيار على استعراض الأفراد وسيرة المتقدمين للعمل واستبعاد غير المؤهلين والمناسين في

1- Turner, Paul & Kalman, Danny, " Make Your People Before You Make Your Products : Using Talent Management To Achieve Competitive Advantage In Global Organizations ", 1st Ed., John Wiley And Sons Ltd, West Sussex, United Kingdom, 2014, P : 139 .

ضوء احتياجات المشروع أو المؤسسة لشغل مواقع العمل الشاغرة، وعموماً هي عملية تقييم القدرات المطلوبة وتوقعات نجاحهم في الأعمال المناطة بهم، وهناك أسلوب وإجراءات للاختيار البسيطة أو المعقدة تحددها الجهات أو اللجنة المسؤولة عن الاختيار منها ملء الاستمارات وما يتعلق بالمقابلات التمهيديّة والنهائية والاختبار المهني.. إلخ^(٢).

ويمكن أن يؤدي اختيار الأفراد المناسبين إلى تحسين فعالية ممارسات الموارد البشرية الأخرى ومنع العديد من المشكلات، مثلاً يمكن أن يؤدي تعيين موظفين ذوي دوافع عالية يتناسبون مع الثقافة التنظيمية إلى تقليل المشكلات التأديبية وتقليل التكاليف المتعلقة باستبدال الموظفين الذين استقالوا، وتساعد هذه الفوائد في تفسير سبب حصول المؤسسات التي تستخدم ممارسات التوظيف الفعالة على ربح سنوي أعلى ونمو أسرع للربح، وباختصار، يمكن أن يساعد النهج الإستراتيجي لاختيار موظفي المؤسسة في الحصول على المواهب اللازمة والحفاظ عليها لإنتاج سلع وخدمات تتجاوز توقعات المستهلك^(٣)..

٢- د. هاشم حسين ناصر المحنك، موسوعة المصطلحات الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والتجارية، المصدر نفسه، ص ٨٠٢ - ٨٠٣ .

3- Stewart, Greg L., & Brown, Kenneth G.,



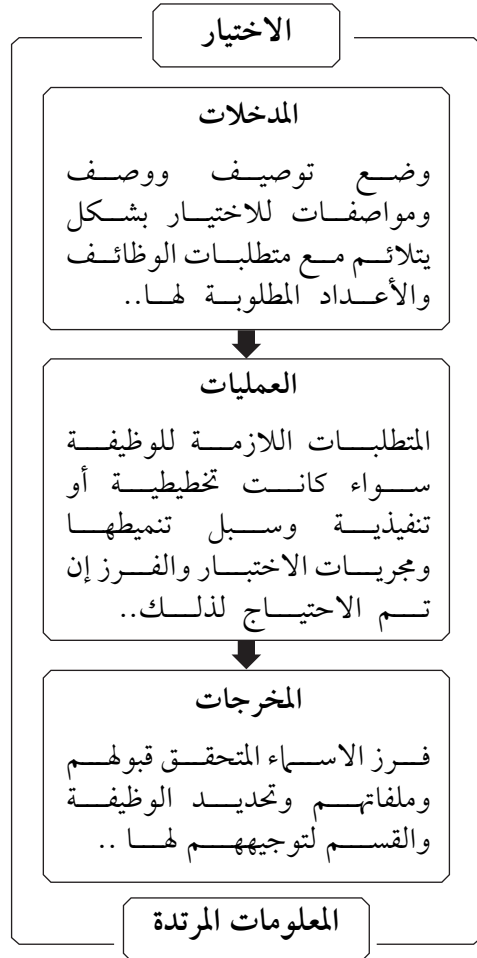
وهذا تكون المسؤولية كبيرة وواسعة ومهمة وذات أهداف عدة تبدأ من مطابقة الوظيفة وتحليلها وتقييمها مع الاختيار بعدالته وما يتطلب من تكافؤ..

ولذا يتطلب للاختيار والتوظيف سمات معينة تتوافق مع الموقف والتوقيت والموقع، ليحقق مكاسب النجاح عن طريق أدائه العالي أو المناسب، وبهذا يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام:

(فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ، أَشَدَّ عَلَى الْفَجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكٌ بَنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ، لَا كَلِيلُ الطُّبَّةِ، وَلَا نَابِي الضَّرِيَّةِ: فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفَرُوا فَانْفَرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَقِيمُوا فَاقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقَدِّمُ وَلَا يُخْجِمُ، وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي؛ وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ، وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ^(١). وتظهر الملازمة بين المنصب وسمات الشخص في الاختيار، بشكل يرى

وهنا لابد من وضع مخطط للنظام الفرعي الثاني (الاختيار) للنظام الرشيق الدائري، ويكون مجمله ومختصره المبسط كالآتي:

مخطط (٦)



مخطط (٦) يبين النظام الفرعي الثاني للنظام الرشيق الدائري (الاختيار)



المصالح العامة في قراراته الإدارية العادلة مع المتبنيات الأخلاقية - القيم والنزاهة..

ويمتد الاختيار المناسب للوظيفة الاستشارية، بما يتطلب من توصيف ووصف ومواصفات الوظيفة عند قوله ﷺ:

(وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعْدُكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْجِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ) (١).

لذا يتطلب أن يتم اختيار أهل الدراية والتجربة والحياء ومن يتصف بالإقدام والتمسك بالمبادئ والأخلاق والسلوكيات الإنسانية، واستيعاب المسؤوليات ونوعية العمل أو المنصب الذي سيشغلونه بالاختبار والاختيار..

وبالتأكيد التفكير في الكفاءات أمر ضروري في وظيفة رئيسية أو وظيفة واقعة في عنق الزجاجة، ويجب فحص هذه الكفاءات بشكل نقدي، والسؤال أثرت فيما يتعلق بما هو مطلوب تمامًا في يوم العمل وما يمكن أن يعوضه

الآخرون، وهذا يفتح مجموعة مستهدفة أكبر بكثير في سوق العمل مما يحدث عندما يتم تطبيق فئات الاستقطاب والتوظيف الضيقة للغاية منذ البداية (٢). ولا بد الأخذ بالحسبان أن؛ (كَيْسَتْ الرُّوِيَّةُ كَالْمُعَايِنَةِ مَعَ الْإِبْصَارِ؛ فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا، وَلَا يَعِشُ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ) (٣).

والرُّوِيَّةُ هي إعمال العقل في طلب الصواب، أمّا الغفلة فلها بُعد آخر يترتب على التقييم واتخاذ القرارات في هذا المجال، لذا يتطلب معرفة أهمية الدقة من خلال ثقافة الوعي المناسب.

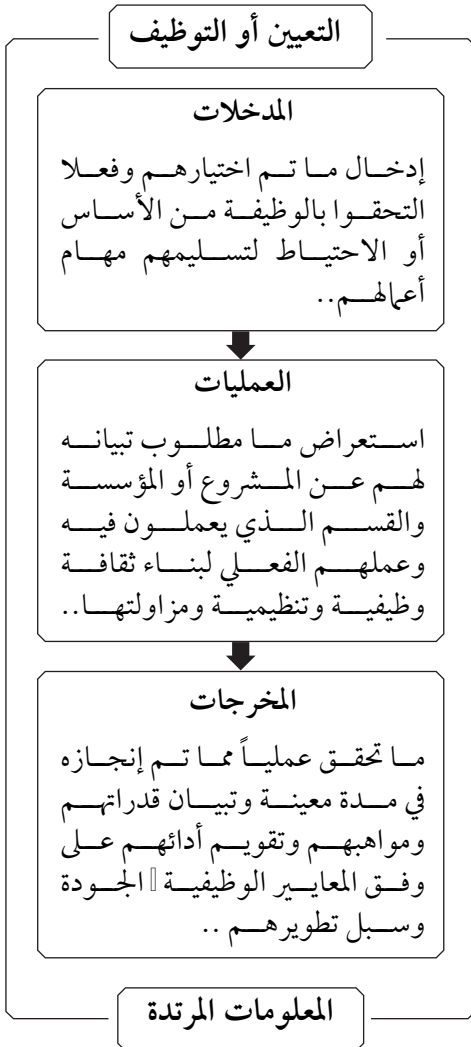
ثالثاً: النظام الرشيق الدائري للتعين والاختبار

تواصلًا مع ما تقدم، ولا سيما ما يخص النظام الفرعي (الاستقطاب)، والنظام الفرعي الثاني (الاختيار)، فإن النظام الفرعي الثالث المكامل لهما والذي يعقبهما هو التعيين أو التوظيف، وما يترتب من الاعتماد على الاستقطاب

2- Trost, Armin, " Talent Relationship Management : Competitive Recruiting Strategies In Times Of Talent Shortage ", Translated by Emily Plank, Springer-Verlag Berlin Heidelberg, New York, USA, 2014, P : 28 .



مخطط (٧)



مخطط (٧) يبين النظام الفرعي الثالث للنظام الرشيق الدائري (التعيين أو التوظيف)

وعلى صعيد الموارد البشرية، يمكن تحسين الإنتاجية من خلال التأكد من أن المشروع يجتذب أفضل المواهب بأقل تكلفة ممكنة، ويرجم هذا الهدف إلى اعتماد أفضل طرق التوظيف والاختيار

والاختيار ودقة ما جرى من خلالها وما توصل بالتتابع كل منهما وأهميتهما والمسؤولية الملقاة على الجهة المسؤولة عنهما، وما آل منهما بالتتابع، فضلاً عن ما جرى من عملية ومراحل المقابلة والاختبار، والمطابقة بين الملف والأوراق الثبوتية والمؤهلات والخبرات وما يتميز به المتقدم للوظيفة أو العمل، ومستوى الشخصية ومدى ملائمتها للوظيفة أو العمل الشاغر... إلخ.

يأتي دور قرار الاختيار ومعايير ذلك، ليكون قرار أو إصدار أمر التعيين أو التوظيف، ويمكن وضع مخطط توضيحي للنظام الفرعي الثالث (التعيين أو التوظيف) ومدى الحاجة للاختبار والتدريب وتنمية وتطوير القدرات والمواهب، والتعليم المستمر المواكب للمسيرة الوظيفية أو مسيرة العمل، وما يعقبه من تنقلات بين مهام وظيفية وأخرى، وإجمال ملخص المخطط بالآتي:





الاستعداد لتلبية الحاجات وإشباعها وتحقيق رضى المعني بالمنتوج، وربما كانت الحاجة السلعية والخدمية إلى التكرار من جهة، ومتطلبات المشاركة..

ويمكن أن تشمل خطط أو صياغة وتطبيقات النظام الرشيق الدائري، بكل أنظمتها الفرعية وتخصصاتها، كل أمور الحياة للاستفادة منه في تدوير مكوناتها، وجانب من متبنيات النظام هو ما يكون عليه منظور إدارة الموارد البشرية - المواهب لإستراتيجية منظومة التعيين، وأجل مختصره بالمخطط الآتي:

مخطط (٨)



ووضع تدابير للاحتفاظ بهم وتطويرهم، علاوة على ذلك، يتطلب إجراء المعيار الكمي للتوظيف وفعالية الاختيار لإثبات وجهة نظر المرء، فيما يتعلق بالتدابير الكمية لتحسين فعالية الموارد البشرية، لا يزال المجال في مراحله الأولى، ومع ذلك، تم تطوير بعض الأساليب والمعايير وتطبيقها بين العديد من المشاريع^(١).

ولا يقف عندها هذا الحد، بل يتطلب استدامة واستمرارية حياة وحيوية النظام الرشيق الدائري وذلك من خلال إعادة هندسته وتنظيمه والتنسيق بين مكوناته المتغيرة والمتأثرة بالتغير الجزئي والتغير الشامل الذي يجري في البيئة الخارجية، مقابل ما تتطلبه البيئة الداخلية من تغير

جزئي أو تغير شامل من أجل الحفاظ على حياة أي مشروع أو مؤسسة، سواء كانت حكومية أو غير حكومية، لتكون متأهلة لخوض ما يجري من منافسة لفصلية الحاجة - الإشباع..

وهو ما يتطلب التوجه بما يحتاج المشروع أو المؤسسة من أن

تعمل على استيعاب المرحلة ومتطلباتها، والتنسيق بين؛ التعلم والتعليم والتدريب والتحسين المستمر، لرفع مستوى

1 - Mahapatro, Bibhuti Bhusan, " Op. Cit. ", P : 62 .





- المواهب لإستراتيجية منظومة التعيين المستويات التخطيطية والتنفيذية وسبل التنظيم - التنسيق بينهما، والتأكيد على مستوى الكفاءات ومواقعها والمهام المناط بها والأدوار التكاملية ومرونة وانسيابية الاتصالات..

وهذا يمكن أن تكون إستراتيجية إدارة الموارد البشرية - المواهب مبنية على مفصلية مركبة تجمع بين الاستقطاب - الاختبار - الاختيار - التوظيف أو التعيين، والاستفادة من مفصلية البيئة الداخلية الخارجية المشتركة، وعندها تكون نقاط القوة - الفرص استقطابية، ونقاط الضعف - التحديات معالجة بالتحسين عن طريق برامج التعليم والتدريب المستمر، لتحقيق تكاملية الأسس والبناء المناسب للنظام الرشيق واستدامته الدائرية، بلا ضياعات وهدر للطاقات والمواهب والوقت..

وهنا مما يتم تكاملية الاستقطاب - التعيين وما يشمله من توجهات المشروع وحاجته داخل سوق العمل - المعرفة، ووجه آخر جذب المواهب والمهارات والمؤهلات المطلوبة آتياً ومستقبلاً عن طريق المميزات والتسهيلات

وهذا وبغيره، يمكن أن يكون هناك نهج توظيف يذهب اتجاه مكاسب الذكاء التنافسي Competitive Intelligence

الذي يستثمر القدرات والمهارات..

لذا فإن مهمة الذكاء التنافسي هي المساعدة في تحديد وتقويم مخاطر وفرص العمل بشكل صحيح بحيث يمكن تجنبها أو الاستفادة منها، والنظام يتطلب أن لا يتوقف عند الذكاء التنافسي، بل يتعداه ويرتبط مع الذكاء التعاوني، والبحث بنشاط عن فرص تعاونية قد تشمل حتى المنافسين الرئيسيين^(١).

ويطالعنا نهج البلاغة، بتعاليم وتوجيهات تخص اختيار وتعيين القوى العاملة من أعلى مستوى في الدولة وأنشطتها المختلفة؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.. إلخ، حتى أدنى مستوى تنظيمي فيها، ومن أعلى وأصعب مهمة، إلى أدنى وأبسط مهمة..

وحينما يتم اختيار القائد أو أعلى مستوى إداري وقيادي وفي أي نشاط، يتطلب أن يكون له الإمكانية المناسبة وله تطلعاته الإنسانية، وله تأثير على كل من يحيطون به، بما يكفئه اتجاه المستويات الأدنى، فيشير ﷺ إلى وصف اختيار شخصه

١ - ينظر :

- Murphy, Christopher, " Competitive Intelligence : Gathering, Analysing And Putting It To Work ", Gower Publishing Limited, Hants, England, 2005 , P : 9 & 6 .



قيادي في الدولة بالقول:

(..أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أَبَايَعُهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي)^(١). فلذا يتطلب لهذا المركز القيادي، أن تكون رغبة ووعي فعلي لاختيار القائد المناسب، لتسلم السلطة وتحمل أعبائها وتوابعها..

فالرغبة إذن تبدأ من العامة إلى الخاصة، وتجسد رغبتهم اتجاه من يتحمل مسؤولية قيادة هذه الجموع أو الغالبية أو الناس أو الأمة، ويكون أهلاً لهذه المسؤولية الضخمة، والتكليف الشرعي والدستوري..

ويتبين من خلال النص المبارك، وبغض النظر عن كل الأمور وما جرى، بأن هناك علامة رفيعة وفارقة في شغل المناصب الرفيعة في الدولة، تتمثل في منصب قيادة الدولة والمسلمين، ويكون الأبعد والأعمق وبآفاقه الواسعة مما يسمى اليوم بالديمقراطية؛ والمتحققة في حلقتين مشتركتين؛ (لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي)، (وَلَمْ أَبَايَعُهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي)، ومحورهما الإرادة والبيعة..

وبيان الناس هم مصدر السلطات في هكذا موقف، فتكون شرعية الحاكم وهي عقد البيعة الذي يبرم بين القائد والناس، وبه لا بد من أن تتوافر عدالة الحكم، وما

يتطلبه من خضوع الدولة المطلق لأحكام الشريعة الإسلامية..

ويظهر في النص المبارك؛ الناس هم أصحاب القرار في تحديد الشخصية القيادية، وهم مَنْ يختاروا القيادي المناسب والملائم للموقف والتوقيت والدور، وبطبيعة الحال نابع من ما يمتلكه من قدرات وإمكانات وخبرات تجمع بين الجانب التشريعي والتنفيذي وأمور ومؤهلات متعدد؛ بجوانبها المدنية والعسكرية، ثم يتحول الإيجاب والقبول من الشخصية القيادية لإدارة وقيادة الدولة بكل مؤسساتها القائمة..

ولابد من الابتعاد عن الضغوطات المباشرة وغير المباشرة، النفسية وغير النفسية، ليكن القيادي مستوعباً لكل متطلبات الاختيار من الطرف الآخر، وبهذا يقول ﷺ:

(..وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايَعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ..)^(٢). وما يتجلى للناس من حقائق ما يحمله القائد، هو ما يكشف ميدانياً الاختبار والسلوك الأخلاقي بأعلى مراتبه ومؤثراته من؛ (لَمْ تُبَايَعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ)، القائمة على عمق الأسس وبناء العدالة والحق والتكافؤ الإستراتيجي البعيدة عن



المصالح الآتية المؤشرة عند؛ (وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ)، الذي يحقق المساواة في كل أبعادها المستدامة..

وهذا يظهر البعد الآخر غير المنظور لاختيار الشخص المناسب، فضلاً عن الأساس الموضوعي والعقلاني، وبوعي واستيعاب لأدوار ومهام السلطة أو المركز الوظيفي من خلال ما يتحقق من استيعاب:

■ (توصيف الوظيفة)؛ الذي هو بمثابة التشریح الوظيفي لمعرفة دقائق الأمور من تخطيطية وتنفيذية..

■ (وصف الوظيفة)؛ الذي يضع بموجب التوصيف الوظيفي، الأمور في مواضعها، لتكون الصورة وال خارطة الوظيفية واضحة بالدليل والهيكل التنظيمي، وما يتطلب من حراك متبنياتها من نقاط القوة..

■ (مواصفات الوظيفة) التي تتكامل صورتها التطبيقية من خلال الشخص الواقع عليه الاختيار لشغل السلطة أو المركز الوظيفي، وخصوصاً التي تؤثر وتغير من مسيرة العامة وحياتهم ومستوى رفاهيتهم بالعمق الإنساني، والمتطلب للأرضية الصالحة والآلية المناسبة، لنجاح الأسلوب الانتخابي بسلوكه الأعمق من

الإيديولوجيات الديمقراطية المعاصرة، والذي يظهر التطلع الحضاري لمستقبل الأمة وتقدمها، والمبتعد عن السطوة والقوة والإرغام والضغوطات والإغراءات والعود في الاختيار، وبلا خوف وتردد من قهر السلطان أو إغواء الناس بعرض أموال أو مناصب أو تقاسم سلطة؛ وما شاكل ذلك..

وتوجه وحراك الناس وإرادتهم وإجماعهم في الاختيار بكامل الأهلية والوعي، وهناك قبول لهذا الاختيار من قِبَل القائد، ومنه ما يعني القبول أو الإيجاب المتبادل، ويكون التكامل الإنساني في التعيين المتمثل بالمبايعة الجوهرية والحقيقية الواعية والواعدة والمسؤولة، وقبول هذا التعيين والاستعداد له بالقدرات والإمكانات؛ بما فيها النفسية، والمؤهلات المطلوبة، وما يترتب من حقوق وما عليه الواجبات، وما تتطلبه العدالة والمساواة، وما يتطلبه الحق وما يترتب من التوابع السلوكية والسلوك التنظيمي..

لذا يقول ﷺ، متضمناً ما يجب أن يكون عليه القائد اتجاه رعيته أو الناس أصحاب القرار المشترك والجماعي في الاختيار والتعيين:

(وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ، وَأَخْطُتُ



بِجُهْدِي مَنْ وَرَائِكُمْ. وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّي
الذَّلِّ، وَخَلَقِ الضَّيْمَ، شُكْرًا مِنِّي لِلرَّبِّ
الْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ الْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ
الْبَدَنُ، مِنْ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ^(١).

وأخلاقية العلاقات الإنسانية منطلقة
من؛ (أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ)، وما يكشفه
الإحاطة بالبيئة الداخلية والخارجية
ونظمها..

وتواصل بناء ما تضمنه هذا النص
المتقدم المبارك، تكاملية النظام الرشيق
الذي لا يهدر حقاً وعدلاً ومساواة،
وذلك بتطبيقات ما مطلوب من واجبات
القائد الواقع عليه الاختيار..

والدليل المنهجي لما يتمتع أو ما يتطلب
أن يتمتع به القائد، كأن يكون حُسن
الجوار، وجوار القائد لرعيته، وما يتطلبه
من تهيئة كل ما يتطلبه استتباب الأمن
والأمان، وحسن السلوك التنظيمي
ونقاوة المناخ التنظيمي، وأن يبذل كل
جهده لرعايتهم وحمايتهم من الذل
والهوان والضيم والتحديات، مهما واجه
من صعوبات ومتاعب من رعيته وغير
رعيته، وفي ذلك صفة الحلم، أي أن يكون
حليماً، ويتمتع بكل مقومات استيعاب
الآخر، وما يحدثه من آلام، لأنَّ اختيار
الشخص المناسب في المكان المناسب

والتوقيت المناسب والموقف المناسب، هو
أمرٌ ضروري يتطلب تجسيده على أرض
الواقع، قولاً وفعلًا..

ومن جانب آخر، وبعدما كان الاختيار
لأعلى المستويات، يطالعنا نهج البلاغة
بمدى الدقة في اختيار القوى العاملة أو
الشخص المسؤول، وبالذات للمراكز
التشريعية والتنفيذية والقضائية المهمة
لأنشطة الدولة الرئيسية، أو ما دون
ذلك، ودقّة جهة الاختيار وخبرتها،
ومستوى الاستيعاب المطلوب، ليتكامل
مع البدائل، وينتقل إلى مرحلة نضوج أو
صنع قرار الاختيار واتخاذ بثقة وأرضية
صلبة ليعرف الكيفية التي يكون على
وفق منظور ما يتطلبه الاختيار والتعيين
أو التوظيف للمستويات التنظيمية،
التخطيطية منها والتنفيذية، وحاكميتها:
(ثُمَّ اخْتَرَ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ
رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ:

■ مَن لَّا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ.

■ وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ.

■ وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ.

■ وَلَا يَخْصُرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ.

■ وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ.

■ وَلَا يَكْتَنِفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ.



■ وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ.

■ وَأَخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ.

■ وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّماً بِمِرَاجِعَةِ الْحُصْمِ.

■ وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ.

■ وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ. وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ^(١).

ومما يظهر من النص المبارك المتقدم، النظام الرشيق الدائري التكاملي، بعمق مواصفات الوظيفة، ومنطلقاته الأساسية مبنية بما يتضمنه توصيف الوظيفة ومواصفاتها، ليكن الشخص المطلوب اختياره، لشغل الوظيفة أو المنصب، الكفاء في تفريقه بين الحق والباطل للرعية، وتطبيقات الحكم العادل وإظهار الحق لأصحابه الحق واستحقاقاته..

وبهذا يكون؛ (اخْتَرَ لِلْحُكْمِ)، أي مما يعني هناك شخص كفاء في الاختيار، لذا يتطلب استثمار اتخاذ قرار الاختيار، بالتوقيت المناسب والمكان والموقف والأبعاد المكملية المناسبة لذلك، والمبني على تحليل الوظائف من توصيف ووصف ومواصفات، وبالعودة للنص المبارك السابق، يكون مما يتضمنه أرفع

أداء إنساني للنظام الرشيق الدائري في الاختيار والتعيين، الذي لا يضيع حق ولا تهدر كرامة ولا يخلف الآلام الإنسانية، وذلك عند:^(٢)

■ اخْتَرَ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ؛ مما يعني، لديك سبق في معرفة مؤهلاته وإمكاناته وخبراته، ليتحقق المطابقة بين وصف ومواصفات الوظيفة والاختيار المطلوب على أسس واضحة ودقيقة..

■ لَا تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورُ؛ لكونه يبنى قراراته على أسس معرفية جادة وبآفاق واسعة وتطلعات مناسبة وواعية بحيث يسعه بإحقاق الحق..

■ لَا تُحَكِّهُ الْخُصُومُ؛ أي لا يكون في الخصوم لجوجاً ومصراً على رأيه، بتحديد الحق وإحقاقه بالعدل والمساواة..

■ لَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ؛ أي لا يتماهى في الخطأ والانحراف وعدم استيعاب الأمور، وينطلق بالتقويم لنفسه قبل غيره..

■ لَا يَحْصِرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ؛ فهو لا يعيا في المنطق والرجوع إلى الحق لتحقيق العدالة - المساواة المطلوبة..

٢- يراجع: د. هاشم حسين ناصر المحنك، الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة، دار انباء للطباعة والنشر، النجف الأشرف - العراق، ص: ١٥٠ - ١٥١.

١- نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٣٤ - ٤٣٥.



■ لا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ؛ وهو بذلك يكون بعيداً عن سطوة الطمع الذي يسلب العقول، ويؤدي إلى انحراف النفس البشرية والسلوك إلى غير الحق..

■ لا يَكْتَفِي بِأَذْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ؛ وعنده يكون عارفاً في جزئيات وعموميات المشكلة ويتفهما، مبتعداً عن الملابس والغموض، وله الخبرة في علاج الأمور، وأسلوب في الحجج الدامغة لإحقاق الحق، وينفعه في صنع واتخاذ القرارات المطلوبة بأعلى مستويات تطبيق العدالة..

■ أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ؛ ومنه يبرز أسلوب فحص وتمحيص الأمور أو دراسة المشكلة لوضع الحلول لها من خلال جمع البيانات والمعلومات، وما يمتلك من أدوات المعرفة والعلم والحكمة..

■ آخَذَهُمْ بِالْحَجَجِ؛ لكونه يبنى قراراته على ما هو واضح ومدروس وبمقتضياته التشريعية والعلمية والمعرفية..

■ أَقْلَهُمْ تَبَرُّماً بِمِرَاجَعَةِ الْخُصْمِ؛ وهو سمة من سمات الحاكم في صبره وعدله وصنع واتخاذ القرارات السليمة، وبه يظهر تكامل أدواته وقدراته الإدارية في الصبر والحذق والحزم والتوثق من المعلومات والبيانات ودقتها..

■ أَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ؛ والصبر

مفتاح لتفحص الأمور والنظر إليها بموضوعية وإقدام، ويكون بعيداً عن الضجر والملل، حينما يتوجب إعادة الحق لموضعه، ليصبح أصبرهم على كشف الحقائق وإحقاقها، وإعادة لها صاحب الحق..

■ أَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّصَاحِ الْحُكْمِ؛ والصرامة مبنية على أسس من الثقة في البيانات والمعلومات ومصادرها الحقيقية الدقيقة، وبلورة وصنع الحكم لاتخاذها، وبمعنى آخر؛ أن يكون له شأن في الحكم وتنفيذه عند اتصاح أركان الحقيقة..

■ لا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ؛ فلا حاجة لكلمات الثناء المبالغ فيه، لأنه واثق مما يتخذه من عدالة القرار، وواعي لما هو فيه، لذا لا حاجة للثناء والثناء المبالغ فيه..

■ لا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ؛ ومما يتضمنه الجانب النفسي والسلوكي المؤثر على التوجهات البشرية بإثارة الرغبة واستمالته نحو سلوك منحرف أو غير عادل، وهو ينم عن ثقافة فهم الذات وإدارة الذات وفهم الحياة وأمور الدنيا والآخرة، وما مطلوب منه، وبطبيعة الحال؛ أُولَئِكَ قَلِيلٌ..

وهو أدق متطلبات ما يحمله النظام الرشيق من تكاملية الاختيار والتعيين وما يجمعه بين متطلبات الوظيفة وسمات



شاغلها..

وبهذا النظام الرشيق التكاملي ودقته للاختيار والتعيين، يكون اختيار الشخص للوظيفة أو الحكم على أن يكون من بين أفضل الرعية، والبعيد عن كل الإغراءات والملابسات والمشاكل، وبه تتخطى، على أفضل وجه، ما جاء به علم الإدارة الحديثة والمعاصرة من نظم الاختيار والتعيين أو التوظيف التي وضعها، وتخطي مراحل عملية الاختيار، بما تقدم من تحديد المواصفات الوظيفية، فضلاً عن خصائص الاختبارات بجوانبها النفسية وما تمتلكه الشخصية من سمات، ومدى مطابقتها أو محدداتها من حيث القدرات والاتجاهات والاهتمامات والرغبات والمهارات، وأنواع الاختبارات النفسية، من حيث ما تتطلبه الوظيفة من الاختبارات الفردية والجماعية، ومجرباتها النظرية والتطبيقية، ومستوياتها التخطيطية والتنفيذية، وبما يتطلبه المستوى القيادي أو الإداري؛ من بيانات ومعلومات، وتخطيط وتنفيذ ومتابعة التقويم الأدائي بالمعايير المعتمدة..

ويمتد النظام الرشيق في تكامل فروع، وذلك عندما يضع الإمام (عليه السلام) من أساليب تدخل ضمن مستويات إدارية أخرى، لاختيارهم في المهام المستقبلية المناطة

بهم، واختيارهم بما يمتلكون من خبرات وسمات وأخلاقيات ومؤهلات وآثار طيبة وسلامة سيرتهم، ومجربات ما يتحقق من تنفيذ الأعمال، حيث يقول (عليه السلام):

(ثُمَّ أَنْظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ يَمْنُنُ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِيءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَأٍ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مَكَاتِبَاتِ عَمَّا لَكَ عَلَيْكَ، وَإِضْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يَضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلُ. ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلَاةِ بِتَصْنُعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ. وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لَأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثَرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلِمَنْ وُكِّلَتْ أَمْرُهُ. وَاجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ، لَا يَقْهَرُهُ كِبَرُهَا، وَلَا يَتَشَتَّتْ





عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَايَيْتَ عَنْهُ الزِّمْتُهُ^(١).

ونرى من مضامين القول المبارك؛ (ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ)، من مضامينه معالجة المنظور الإداري المعاصر لمشاكل ومتطلبات التوسيع والتطوير والنمو والتحديث والتحديات من خلال؛ إعادة هندسة إدارة الموارد البشرية Human Resources Management Re - Engineering، وما يتوجه به من تحسين السلوك التنظيمي لرفع مستوى الأداء ونقاط القوة وفرص التنمية والتطوير، مع الحد من نقاط الضعف - التحديات..

وهو يحقق النظام الرشيق الدائري، والدليل مضامين؛ (فَوَلَّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ)، الذي يتعلق في توزيع وإعادة توزيع الموظفين Staff Redeployment، ومضامينه بالنظام الرشيق لهندسة وإعادة هندسة إدارة الموارد البشرية، وبشكله المختصر، مما يعني إعادة النظر بشكل شمولي لجانب من التكاملية والتحسين، بمراجعة ودراسة وتحليل وترتيب وتوزيع الموارد البشرية على أساس المهارات والمواهب والأمن المعلوماتي واستقامة السيرة، بشكل يتلائم مع ما يتطلبه المشروع أو المؤسسة من رفع قدرات الموارد البشرية (القوى العاملة) ورغباتهم ومؤهلاتهم ونمو وتطور إمكانياتهم وتخصصاتهم وتقسيم الأعمال ونمو وتطور

المشروع أو المؤسسة، ولا بد أن يكون حاضراً مؤشراً؛ الموقف والمكان والزمان، وما مخطط له وما يتطلب تنفيذه..

وفي مضامين النص المبارك، إعادة توزيع الموظفين أو العاملين بالملائمة بين التوصيف والوصف والمواصفات الوظيفية، وبخصوصية الموظف واستجابته وتعاونيه، وبموضوعية الوصف والمواصفات المطلوبين، وهو أدق بتكامله وأشمل مما تضمنته إدارة الموارد البشرية المعاصرة في مجالات العدالة والمساواة والتكافؤ..

وبذا يكون توزيع الموظفين على أساس العناية بالأمن المعلوماتي المرتبط بالموظف أو المسؤول على خصوصية العمل؛ (اخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لَوْجُوهَ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ يَمْنُنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ)..

ومما يعني (الكيد) في كتاب لسان العرب: التدبير وقد يدل على التدبير بالحق أو الباطل، والكيد: الحرب وكل شيء تعالجه فأنت تكيده^(٢).

وبين؛ الرسائل وما تتضمنه من معلومات فيها نوع من التدابير والأسرار، وخازن الأسرار التقليدي وغير التقليدي، تكمن الأمانة والصدق والأخلاق والحزم والعزم، وما يرتبط بذلك..

٢- ابن منظور، لسان العرب، ضمن ضمن كلمة

(كاد).

١- نهج البلاغة، مصدر سابق، ص ٤٣٧.





يحمله من الثقة بالنفس:

(وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ،
فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ
أَجْهَلَ)

وبه يتضح ترابط القدرات والتفكير الناقد وإدارة الذات، وما مطلوب من تكاملها مع ما يؤثر على علاقات العمل وعبء العمل والعلاقات الإنسانية وما إلى ذلك، مما يساعده على استكشاف إستراتيجيات المعرفة - الموهبة، للقيام بآلية تطويرها والتنسيق من خلالها مع الآخرين، للوصول إلى التفكير المبدع بكل أشكاله، ومنه التطوير ببرامج تعليم كيفية التفكير ومهاراته ومرونته وانسيابيته وفاعليته لتطوير المواهب في كل المجالات والتخصصات، وما يتطلبه من رصد السلوكيات المنحرفة أو الخاطئة وعلاجها الفوري، وبناء المهارة الذاتية لتقويم الذات، وهو جانب من أفضل الأساليب التربوية والتعليمية وبرامج التدريب وتطوير المواهب، وتحقيق سبل تحسين الجانب المعرفي والتطبيقي وجودة الأداء على وفق ما خطط له..

وكأن العلوم الإدارية الحديثة والمعاصر تنهل جانب من هذا الفكر، ولا سيما إدارة الموارد البشرية بتوجهها الإنساني الدقيق، وهو ما وضعت له برامج متطورة

وفلسفته ومضامينه التطبيقية، الفكرية والنفسية والسلوكية، ألا تكون نتائجه؛ (فَيَجْتَرِيءُ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِخَصْرَةٍ مَلًا).

وكذلك كل ما تحمله من سلوكيات تنظيمية؛ (وَلَا تَقْصُرْ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِرَادِ مُكَاتَبَاتِ عَمَلِكَ عَلَيْكَ، وَإِضْدارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، فِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ).

وهنا مما يظهر أثر ومستوى الدقة والوعي، ومستوى ما يتحقق من الالتزام، ومستوى مخاطر الاختيار غير المناسب، ونتائج عدم مطابقة وصف الوظيفة مع مواصفات الوظيفة على جوانب أمن المعلومات وسلامتها من جهة ومتطلبات وأعباء العمل والمسؤولية الملقاة على كاهل الموظف ومتطلبات الوظيفة بخصوصياتها وعمومياتها، وما يترتب على السلوك التنظيمي، وما يعرف من رؤى وأهداف ما يقوم به، وتأثيره على تنفيذ القرار كعمل تضامني مشترك..

والاختيار والتعيين أو التكليف التي تقوم به إدارة الموارد البشرية (القوى العاملة)، مبنية حتى على مدى معرفة الشخص بقدراته وخبراته ومؤهلاته، ويعرف قدر نفسه وشخصيته ومعرفة مستوى ما

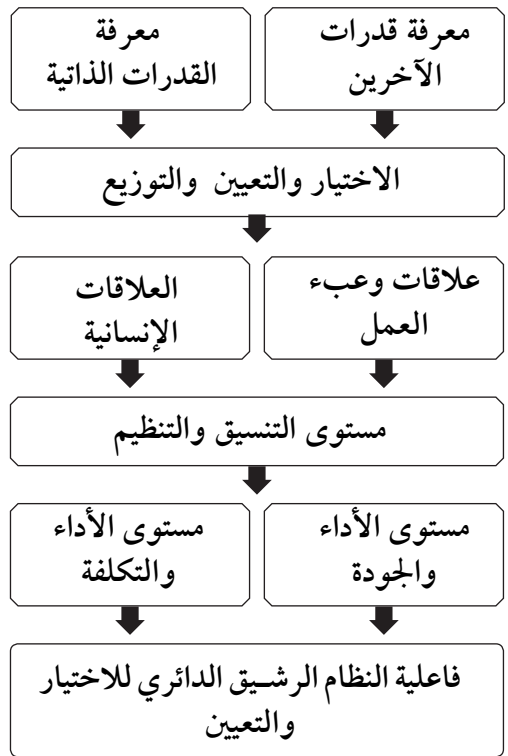




في الدول المتقدمة، لمواجهة تحديات المنافسة بكل أشكالها، حتى على مستوى مؤسسات الدولة..

ويمكن وضع خطط مبسّط يبين جانب من فاعلية ذلك^(١):

خطط (٩)



خطط (٩) يبين معرفة القدرات الذاتية ومعرفة ما يمتلكه الآخرين من القدرات والتنسيق ولو توسعنا بذلك على

مستوى المؤسسات والمشاريع والدول، فمن الضروري معرفة القدرات الذاتية

وتحسينها مقابل معرفة قدرات الآخرين في كل الجوانب من المهارات والقدرات الذكية حتى المواهب والابتكارات وسرعة التغير الجزئي والتغير الشامل، كما حصل ويحصل في عالمنا اليوم، مثلاً قبل ظهور الحاسوب وبعده، وقبل الانترنت والعالم الرقمي وبعده، وقبل جائحة كورونا كوفيد ١٩ وبعدها..

وما يجري بشكل مستمر من اتساع الفجوات مع التطورات والأحداث، ومؤشره حتى بين الدول الفائزة التقدم، وهو بحد ذاته يحتاج إلى دقة ذكاء الاستقطاب والاختيار والتعيين أو التوظيف، ومستوى الاستيعاب وتوقيت التحول من مرحلة إلى أخرى، وما تحتاجه إلى تطبيقات للأنظمة الرشيقة الدائرية واستدامتها..

ويتطلب التوجّه بالبدائل بما تملّيه حيثيات ومؤثرات ومحددات الاختيار والتعيين وتغيير أو تدوير المهام من موقع وظيفي إلى آخر، للحفاظ على قوة بيئة المؤسسة الداخلية، مقابل ما يدور ضمن البيئة الخارجية الذي فيها حراك الفرص والتهديدات والتحديات والمخاطر... وتكون الاستدامة المستمرة:

(ثُمَّ لَا يَكُنْ اِخْتِيَارُكَ إِلَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ،

١- يراجع: د. هاشم حسين ناصر المحنك، الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة، المصدر نفسه، ص ١٥٣ .



فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّضُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَلَاةِ
بِتَصْنَعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، وَلَيْسَ وَرَاءَ
ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ).

ومما يبرز خطورة الاعتماد على؛ الظن
لأنه يوهم بالتأثيرات الذاتية وليست
الموضوعية، والفراصة لأنها يتداخل مع
الرؤيا التمويه والغش المبني على المنظور
والتصنع، ولغة الجسد لأنه ليس قالب
ثابت يهتدي الشخص له وإنما يدخل
فيها الاحتمالات الظاهرية لتفسير داخلي،
(وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ
شَيْءٌ).

والبديل هي المعايير المعتمدة فيما يبينه
تحليل الوظائف، بما فيه ما تمليه دقة
التوصيف والوصف والمواصفات، مع
خبرة وإمكانية الجهة المكلفة بالاختيار،
والمنحى الموضوعي في عملية استقطاب
الموارد البشرية (القوى العاملة)، والاختيار
ضمن ما مطلوب من تحديد ما يحتاجه
المشروع أو المؤسسة ومهامها الموكلة بها
أو ما تتضمنه أهدافها، وما يحتاجه كل
مستوى وظيفي من المؤهلات والخبرات
والقدرات ومكملاتها، والاستفادة منها
بالاختيار والتعيين والاختبار، وآلية ذلك
حسب مضامين القول المبارك:

(وَلَكِنْ اخْتَبَرُهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ
قَبْلَكَ، فَاعْمَدْ لَأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ

أَثَرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ
دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ وَلَكِنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ.
وَأَجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا
مِنْهُمْ، لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلَا يَنْشَتُّ عَلَيْهِ
كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كِتَابِكَ مِنْ عَيْبٍ
فَتَغَايَيْتَ عَنْهُ الزِّمْتَهُ).

وبهذا يضع عليه السلام الفلسفة وإستراتيجية
السبل الذكية والرشيقة والقيمة
والرشيدة، لأسلوب استقراء السيرة
الذاتية بين المقروءة منها والرؤية وآثار
الأعمال السابق إنجازها، وما يكامل ذلك
من الاختبار قبل وبعد الاختيار والتعيين
الذي يتطلبه المستوى الإداري أو القيادي
بشقيه التخطيطي والتنفيذي والدقة فيه،
وما ورد ضمن النص المتقدم، أمور قيمة
وتقويمية منعكسة عن السلوك القويم،
والأسلوب المناسب والأنسب أو الأفضل،
التي تُغني بأفضل القواعد والأساليب
العلمية والعملية..

ولابدّ من الإشارة والتأكيد على أنّ
الاختبار؛ مرة يكون؛ قبل الاختيار،
وآخر يكون أثناء الاختيار، ومرة يكون
بعد الاختيار والتوظيف أو التعيين، وفي
حالات يكون الاختبار، بشكل ثنائي أو
ثلاثي، قبل وأثناء وبعد الاختيار، وهو
حسب الضرورة..

فالاختبار غالباً ما يكون قبل الاختيار،



ومن أسبابه معرفة الأفضل والكفؤ،
وحينما يكون الاختبار بعد الاختيار؛
غالباً ما يكون لتحديد المكان والمستوى
الوظيفي الأنسب له، وتحديد احتياجاته
من التدريب وصقل المواهب والقدرات،
أو معرفة سبل تفكيره.. وما إلى ذلك.

ويضع ﷺ أسس ومبادئ أخرى لاختيار
وتعيين العاملين واختبار الأداء وتجربة
مؤهلاتهم وقدراتهم، وعلى مستوى مختلف
المستويات الإدارية؛ التخطيطية والتنفيذية،
فضلاً عن كونها تعاليم لها أبعاد إنسانية
أشمل وأكثر خصوصية وبدلالات أعمق،
وكما يظهر في مضامين قوله ﷺ:

(ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ
اخْتِبَاراً، وَلَا تُؤْهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا
جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْحِيَانَةِ. وَتَوَخَّ
مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ
الْيُتُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ
الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً، وَأَصَحُّ
أَعْرَاضاً، وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً، وَأَبْلَغُ فِي
عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْراً^(١)).

ومما يظهر من مضامين القول المبارك،
النظام الرشيق الدائري وفوائده وتعدد
الذكاءات منها؛ الاجتماعية والعاطفية
والإدارية والتنظيمية والسلوكية، ولكل له
عمقه وفاعليته، ودقة التوجيه؛ (ثُمَّ انْظُرْ

فِي أُمُورِ عَمَّا لِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَاراً، وَلَا
تُؤْهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جَمَاعٌ مِنْ شُعَبِ
الْجَوْرِ وَالْحِيَانَةِ. وَتَوَخَّ مِنْهُمْ:

■ أَهْلُ التَّجَرِبَةِ وَالْحَيَاءِ؛ من مضامينه
الذكاءات الإدارية والتنظيمية والسلوكية..

■ مِنْ أَهْلِ الْيُتُوتَاتِ الصَّالِحَةِ؛ وما
يحملونه من طوعية الفكر والنفس
والسلوك لمبنيات وسياق قويم، ومن
مضامينه الذكاء الاجتماعي - السلوكي..

■ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ الْمُتَقَدِّمَةِ، ومن
مضامينه الذكاء الاجتماعي - العاطفي
وتوجهات الذكاء السلوكي والأخلاقي،
وفلسفة ذلك:

- فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقاً.

- وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً.

- وَأَقْلُ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَاقاً.

- وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظْراً).

وبهذا يدخل ضمن الاختيار والتوظيف
أو التعيين في منظومة النظام الرشيق
الدائري، الذكاءات المتعددة، لتفاعل بكل
ما تتطلبه التنمية المستدامة وسبل تحقيق
الأهداف المرسومة للمشروع أو المؤسسة،
بصياغتها الإستراتيجية والتكتيكية
والتنفيذية..



والاختيار، وهندسة التوظيف أو التعيين، وما يحتاج إلى تحليل وظيفي وتقييم وظيفي وتقويم تنفيذي وأدائي، بمعاييرها الإستراتيجية وفلسفتها المحكمة، ومجريات ذلك على التغير الجزئي والتغير الشامل للهيكل التنظيمي والدليل التنظيمي..

ويمكن إجمال وتجميع مختصراً وبمبسطة لتكامل النظام الرشيق الدائري لاستقطاب واختيار وتعيين الموارد البشرية والمواهب، بالمخطط الذي يجمع الأنظمة الفرعية السابقة المتعلقة؛ بالاستقطاب، والاختيار، والتعيين أو التوظيف، وكالاتي:

مخطط (١٠) تكامل النظام الرشيق الدائري لاستقطاب واختيار وتعيين الموارد البشرية والمواهب وأيضاً مع هذا التوجه، ستستثمر المشاريع التي لديها علامة تجارية قوية لصاحب العمل مميزة في سوق العمل التنافسي ويمكن أن تساعد في تقليل تكاليف الاستقطاب والاختبار والتوظيف، فضلاً عن زيادة الاحتفاظ بالموظفين، وهناك الآن حالة مقنعة لتكريس الوقت والموارد لتطوير العلامة التجارية لصاحب العمل، لذا فإن جعل الناس قبل صنع منتجاتك يعتمد على وجود أشخاص وجانب مما يمكن أن يكون بانسيابية تدوير أو الحلقة الدائرية المستدامة للنظام الرشيق للاختيار

وهو ما ترجح مضامينه وتتجه نحوه الأفكار والتطبيقات الإدارية الحديثة والمعاصرة، باختبار واختيار القوى العاملة، والابتعاد في ذلك عن المحاباة أو الميل الغير مشروع أو الغير الموضوعي في الاختيار، والابتعاد عن كل أشكال الفساد الإداري، والابتعاد عن نهج الاستبداد بالرأي والعمل بلا مشورة، والابتعاد عن كل ما يجمع بين الجور والخيانة للأمانة والمسؤولية اتجاه العامة..

رابعاً: تكامل النظام الرشيق الدائري لاستقطاب واختيار وتعيين الموارد البشرية والمواهب

بعد أن استعرضنا في المباحث السابقة، بالأنظمة الفرعية للنظام الرشيق الدائري للاستقطاب والاختيار والتعيين والاختبار، يتطلب وضع جانب من النظام المتكامل للنظام الرشيق الدائري بتوجهاته المستدامة والمستمرة..

ومن الأمور المهمة الداعمة هي كيفية استيعاب واستثمار أنظمة إعادة التشكيل وإعادة الهندسة بشكل عام، وبشكل خاص إعادة تشكيل وإعادة هندسة الاستقطاب المرتبط؛ بهندسة الاختبار



مخط (۱۰)





أَوْ أَكُونَ أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ ! فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ ...^(١)

وتبرز أخلاقية القناعة وتوجهاتها في العطاءات المستدامة، وضمن مختلف المواقع الوظيفية المنتجة، وما يجري من ظروف تمر بها الحياة، التي تحتم المشاركة والتعاون على اقتسام الأدوار والمهام في إدارة المخاطر:

■ أَشَارَ كُهُمُ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ .

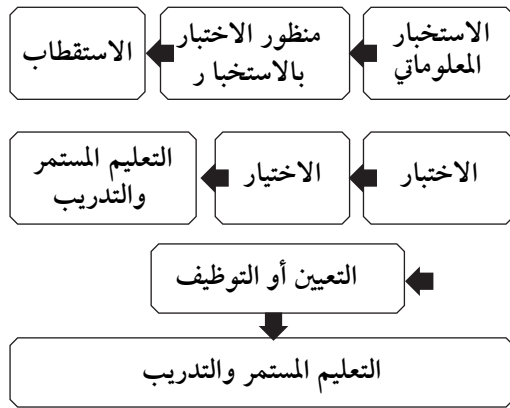
■ أَكُونَ أَسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ !

وفلسفة وإستراتيجية الحياة وأخلاقياتها؛ (فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ)^(٢)، بل تم خلق كل مخلوق وعماده العقل والجسد، للمشاركة في بناء وإدارة سعادة الحياة، وتجاوز المحن والصعاب والمخاطر والتهديدات والتحديات لتذليل والمعالجة والوقاية من نقاط الضعف..

وتحسين وتعزيز مفصلية نقاط قوة المخلوقات ومحورها عقل الإنسان - الحياة الكريمة، وتوليد السعادة وذلك بالمشاركة والتعاون لاستثمار الفرص الطيبة على أساس البناء الرصين بحسب التكاملية

- التعيين أو التوظيف، توجهه وخط مسار يبدأ من الاختبار والذي يسبق ويعقب الاستقطاب والاختيار والتعيين أو التوظيف، وتوضح ذلك بالمخطط المبسط المختصر الآتي:

مخطط (١١)



مخطط (١١) يبين الحلقة الدائرية المستدامة للنظام الرشيق للاختيار - التعيين أو التوظيف وعظيم ما يجسد تطبيقات هذا النظام الدائري المنعكس على: الوظيفة، والشاغل للوظيفة، والموقع الوظيفي سواء كان حكومي أو غير حكومي، وبكل المستويات التخطيطية والتنفيذية، هو جانب من مضامين قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام وهو بأعلى المراتب الوظيفية:

(أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ: هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا أَشَارَ كُهُمُ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ،

١ - نهج البلاغة، مصدر سابق ص ٤١٨ .

٢ - نهج البلاغة، مصدر سابق ص ٤١٨ .

- Turner, Paul & Kalman, Danny, " Op. Cit. " , P : 173.





الإنسانية والأخلاقية الحضارية..

وعمقها الإستراتيجي المستدام والمستمر بمفصلية الجعل التكويني للمخلوق - الجعل التشريعي الإلهي، وهو أعلى مستويات استثمار نظام وتنظيم نقاط القوة - الفرص..

وجانب منه استثمار مراحل ما قبل الاستقطاب ومعايير جودة عملياتها، للوصول لعملية الاستقطاب، وعملية الاختيار - الاختبار الحياتي، وعملية التوظيف لمجمل الطاقات والمهارات والخبرات والمواهب، بمواقعها وتوقيتاتها ومواقفها، المتوافرة والتي ستتوافر من خلال انسيابية المدخلات بكل مكوناتها التكاملية، والعمليات الإنتاجية بكل تكاملية مراحلها الرشيقة والدائرية المستدامة، والمخرجات وما تؤول إليه من تحقيق المنافع والرضى وحماية الحقوق بالعدالة والمساواة والتكافؤ، ومنها ما يتحقق ضمن مفصلية الحاجة - الإشباع، وتوجهات استدامتها المستمرة..

وأساس ذلك، جانب ميداني واقعي مما يحمله النص المبارك، من إستراتيجية ثقافة تكاملية النظام الوظيفي الرشيق الدائري، المتواجد في ذات الفرد المتمثل بكل جيل، وذات الفرد من الجيل اللاحق، ليكونوا دورة حياة الأجيال بالمهام والأدوار وحزم

الوظائف والأعمال ضمن مختلف الأنشطة وفي مختلف القطاعات الحكومية وغير الحكومية، بما تنتج من السلع والخدمات والمعلومات، وما يمتد لاستدامة المستقبل واستمراريته الواعية والمستوعبة بتطبيقاتها وانسيابيتها وفعاليتها ومرونتها النظامية:

(إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَآيَا، وَتَهْبُ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ؛ وَمَعَ كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ. وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ. وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ. فَتَحْنُ أَعْوَانُ الْمُنُونِ، وَأَنْفُسُنَا نَصَبُ الْخُشُوفِ؛ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ وَهَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرَفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفًا، إِلَّا أَسْرَعَا الْكُرَّةَ فِي هَذِمِ مَا بَنَيَا، وَتَفَرَّقَا مَا جَمَعَا؟!)(^١)

ومنها ما يخص التحليل والتقييم والتقويم لمكونات المجتمع والبيئة، بما فيه ما يتعلق برأس المال الفكري Intellectual Capital الموجه لأنشطة المجتمع واستثماراته من خلال مجموعة الأنظمة الرشيقة الدائرية المستدامة وتكاملها الوظيفي، ومحوره الإنسان - التشريع:

(إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَآيَا)



وتوظف القدرات في مجالاتها الإرادية وغير الإرادية، ومجرياتهما الحتمية التي لا يتخلص منها أي مخلوق، ولا يمكن أن ينكرها أي إنسان: قوله تعالى

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (٢)

الخاتمة

بعد كل ما تقدم من المباحث ومحاورها، ومما اتضح من خلال ذلك، الأهمية البالغة في الثلاثي المتمثل في: الاستقطاب، والاختيار، والتعيين أو التوظيف، وما يتخللها من الاختبار والتأهيل بالتدريب والتعليم المستمر..

وهذا يتضح ما أهمية أن يكون لهم نظام ينسق المهام والتوجه بخطط واضحة وبتطبيقات تقوم على مفصلية التنفيذ - الأداء، المبنية على معايير الجودة والتقييم الوظيفي والتقويم الأدائي واستدامة كل ذلك..

ولا يحقق ذلك إلا نظام محدد، حيث تم بناء هذا النظام الجديد الذي تناوله البحث، المستقى من دراسات سابقة للباحث، وجوانب من رؤى المصادر والمراجع، وكان حصيلته: (النظام الرشيق الدائري الخاص بالاختيار - التعيين)، وجانب من معالجاته

المحقق لطبيعة ما تكون عليه البيئة - المجتمع، وما تقتضيه حتمية الموت وتوقيته، وهو ما يكون إلا يمثل الحد من طغيان الإنسان كفرد أو مجتمع:

(وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ)

المؤثر على مستقبل ومدى استدامة البيئة - الحياة واستثمارات تنميتها الدائرية المستدامة والمستمرة بالاستقطاب والاختيار والتوظيف والتطور والبناء، وما مستوى تلوثها بمختلف أنواع التلوث وأشكاله:

(إِلَّا أَسْرَعَ الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَى، وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَ)

ومنها مستقبل الناس والكون وما يجري ضمن مفصلية البيئة الصحية - الاجتماعية والاقتصادية وإدارتها:

(وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ أُخْرَى) (١)

هذه الثقافة المستدامة والمستمرة الرفيعة، لدورة الحياة بخطوطها البلاغية المختصرة والواضحة، الكامنة بحراكها بين النظريات والتطبيقات الميدانية، ومنها ما يتعلق بالاستقطاب والاختيار والاختبار المستمر



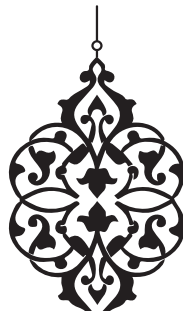
علاقة في التخصص الإداري والاقتصادي وغيرهما، فضلاً عن ما سيتم تطوير وتوسيع هذا البحث ليكون أكثر وأشمل وأوسع نفعاً، وهو ما يجمع بين التراث العظيم ومنه المتمثل بكتاب نهج البلاغة، والمقاربه بين مضامين ما ورد في نصوصه المباركة، مع ما جاء به الفكر العلمي والمعرفي المعاصر، للوصول إلى استثمار منافعه العلمية والمعرفية..

راجياً من العلي القدير أن تكون هذه الدراسة وما ورد في البحث، وما تحقق في خطوطها واضحة وتنفع المتخصص والباحث والمثقف، وإضافة المعرفة للمكتبة بعون الله تعالى..

لثلاثي؛ الاستقطاب، والاختيار، والتعيين أو التوظيف، كأنظمة فرعية له..

لذا فضلاً عن ما تقدم تبيان من مكاسب هذا النظام ضمن محاور البحث، أوصي وأقترح بأن يطبق النظام في مختلف القطاعات والأنشطة في المشاريع الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وجانب منه ما يتعلق بالاستقطاب والاختيار والتوظيف أو التعيين أو التنقلات بين الوحدات والأقسام بشكل مدروس لتعظيم منافع الوظيفة - الأداء..

وجدير بالذكر ما سيلحقه - إن شاء الله تعالى - دراسات تكميلية؛ وللنظام الرشيق الدائري، في مجالات أخرى لها





المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

■ القرآن الكريم.

■ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام،

نهج البلاغة، ضبط نصّه صبحي

الصالح، ط ١، دار الكتاب اللبناني،

بيروت، لبنان، ١٩٦٧.

١- ابن منظور، لسان العرب، مج ١،

دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت -

لبنان، ط ٣، ١٩٩٤.

٢- د. حسين الدوري، إعداد وتدريب

القوى البشرية، ط ٢، مطبعة الجامعة،

بغداد، العراق، ١٩٨٥.

٣- د. علي السلمي، إدارة الأفراد

والكفاءة الإنتاجية، ط ٣، دار غريب

للطباعة، القاهرة، ١٩٨٥.

٤- د. هاشم حسين ناصر المحنك،

الإدارة والأسلوب القيادي في نهج البلاغة،

دار انباء للطباعة والنشر، النجف الأشرف

- العراق.

٥- د. هاشم حسين ناصر المحنك، علم

الاجتماع في نهج البلاغة، دار أنباء للطباعة

والنشر، النجف الشرف - العراق.

٦- د. هاشم حسين ناصر المحنك،

موسوعة المصطلحات الإدارية والاجتماعية

والاقتصادية والتجارية، مكتبة لبنان

ناشرون، بيروت - لبنان، ٢٠٠٧.

٧- د. هاشم حسين ناصر المحنك،

نظام تصميم العمل وتقويم الأداء ودوره

في المشاريع الإنتاجية، دار أنباء للطباعة

والنشر، مطبعة القضاء، النجف الأشرف

- العراق.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

8 - Levinson, William A., " Lean

Management System LMS: 2012;

A Framework for Continual Lean

Improvement ", Taylor & Francis

Group, LLC, New York, USA, 2013.

9- Mahapatro, Bibhuti Bhusan, "

Human Resources Management

" , New Age International (P) Ltd.,

Publishers, New Delhi, India,

2010.



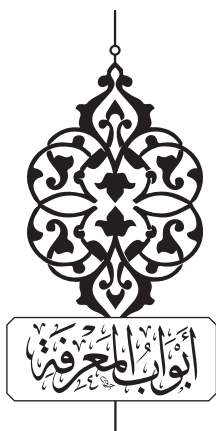
14- Turner, Paul & Kalman, Danny, " Make Your People Before You Make Your Products: Using Talent Management To Achieve Competitive Advantage In Global Organizations", 1st Ed., John Wiley And Sons Ltd, West Sussex, United Kingdom, 2014.

10- Murphy, Christopher, " Competitive Intelligence: Gathering, Analysing And Putting It To Work ", Gower Publishing Limited, Hants, England, 2005.

11- Pinnington, Ashly H., & Others, " Human Resource Management: Ethics And Employment ", 1st Ed., Oxford University Press Inc., New York, USA, 2007.

12- Stewart, Greg L., & Brown, Kenneth G., " Human Resource Management: Linking Strategy to Practice ", 2nd Ed., John Wiley & Sons, Inc., Hoboken, USA, 2011.

13- Trost, Armin, " Talent Relationship Management: Competitive Recruiting Strategies In Times Of Talent Shortage ", Translated by Emily Plank, Springer-Verlag Berlin Heidelberg, New York, USA, 2014.





المحتويات من المخططات

الصفحة	التفاصيل
٤٦	مخطط (١) يبين منظومة الاستقطاب والاختيار بداعم الاختبار والتجربة والخبرة
٤٦	مخطط (٢) يبين منظومة التوظيف بداعم الأمانة والأخلاق
٤٧	مخطط (٣) يبين جانب من منظومة النظام الرشيق الدائري والثقافة المؤسسية
٤٩	مخطط (٤) يبين النظام الفرعي الأول للنظام الرشيق الدائري (الاستقطاب)
٥٣	مخطط (٥) يبين الاستقطاب الوظيفي وقنواتها والندرة والمهارة والحاجة
٥٦	مخطط (٦) يبين النظام الفرعي الثاني للنظام الرشيق الدائري (الاختيار)
٥٨	مخطط (٧) يبين النظام الفرعي الثالث للنظام الرشيق الدائري (التعيين أو التوظيف)
٥٩	مخطط (٨) منظور إدارة الموارد البشرية - المواهب لإستراتيجية منظومة التعيين
٦٩	مخطط (٩) يبين معرفة القدرات الذاتية ومعرفة ما يمتلكه الآخرين من القدرات والتنسيق
٧٣	مخطط (١٠) تكامل النظام الرشيق الدائري لاستقطاب واختيار وتعيين الموارد البشرية والمواهب
٧٤	مخطط (١١) يبين الحلقة الدائرية المستدامة للنظام الرشيق للاختيار - التعيين أو التوظيف







يَا عَلِيُّ إِنَّا وَانْتَ أَبُو هَذِهِ الْأُمَمِ



أَبُو الْأَعْرَفِ



الفعل الإبداعي في أحاديث الإمام علي عليه السلام

بين الإنفرادات البلاغية والقضايا العلمية
المختلفة

الأستاذ الدكتور
أ. د صباح عباس عنوز



كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة





المقدمة:

﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥) وآيات

أخرى، ولقد (كان من العرب من جرت كلمة الإسلام على لسانه ولكنه احتفظ بالجاهلية كامنة في قلبه وضميره)^(٦)، حتى في عهد الرسول محمد ﷺ، كان أصحابه المخلصين للإسلام (كالشعرة البيضاء في الثور الأسود)^(٧)، إذ دلت الحقائق التاريخية أن الناس استأثروا بالسلطة، ومالوا إلى الدنيا، فمنهم من ظلت الجاهلية كامنة في أعماقه تستيقظ كلما تهيأ لها المناخ)^(٨)، فكانت مسألة منع تدوين الحديث على علاقة (من العرب من جرت كلمة الإسلام على لسانه ولكنه احتفظ بالجاهلية كامنة في قلبه وضميره)^(٩) ولا عجب في ذلك فقد وصفهم الباري عز وجل

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَبِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١٠).

الحمد لله عالم السرائر، ومنير البصائر، أنس الأنسين وملاذ العابدين، رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وآل بيته الطيبين الطاهرين، والسلام على إمامنا علي عليه السلام: (كُلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ)^(١)، بمعنى (إذا اقتصر على شيء ففقت به فقد كفاك)^(٢)، السلام عليكم إخواني وأخواتي الأساتذة. أسأل الله أن يُنير مسعاكم ويحفظكم جميعاً.

وبعد:

إن نظرة فاحصة إلى أقوال الإمام علي عليه السلام تؤكد استعماله لعلوم البلاغة كلها بأعلى مراتب التعبير الفني ورؤيته، وهذه أولى الانفرادات التي يؤشرها الباحث المتخصص، ومع أن الدولة الأموية وقفت ضد انتشار كلامه وذيعه إلا أن أحاديثه وصلت أعماق التلقي الإنساني بمشيئة ربانية، فالإمام عليه السلام لم يجد عن طريق الحق مطلقاً لذلك عُرف أهل الحق بقلتهم، لأن القرآن الكريم أخبرنا بذلك: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٣) ﴿وَأَكْثَرُهُمْ أَفْلِسُونَ﴾^(٤).

١- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، مكتبة النهضة، بغداد ٩٤/٤.

٢- المصدر نفسه، ٩٤/٤.

٣- المؤمنون/ ٧٠.

٤- آل عمران/ ١١٠.

٥- النحل/ ٧٥.

٦- الفتنة الكبرى، د. طه حسين، ٣٩/١.

٧- المصدر نفسه، ٣٩/١.

٨- نهج البلاغة صوت الحقيقة، دراسة اثباته في ضوء النص النقلي وماهية المنجز الفني، د. صباح عباس عنوز، مؤسسة نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، دار الكفيل، سلسلة الكتب العلمية (١)، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ١٧.

٩- الفتنة الكبرى، د. طه حسين، ٣٩/١.

١٠- التوبة/ ٩٧.



سواه^(٣). في حين ذكر الباحثون: أن حفيد ابن مسعود أحضر ل (معن) كتابا بخط أبيه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، وكان يشتمل على الأحاديث وفقه ابن مسعود^(٤)، فكيف نعلل هذا الأمر؟ إذن يكمن أمر وراء المناداة بعدم تدوين الحديث غرضه حجب أسماع الناس عن فضائل أهل البيت عليه السلام التي ذكرها الرسول فيهم.

فالأمويون منعو كل ما يُذكر من مناقب الإمام علي عليه السلام وقد قال ابن أبي الحديد: (اجتهدوا بكل حيلة لإخفاء نوره والتحريض عليه... ومنعوا رواية حديث يتضمن له فضيلة... فما زاده ذلك إلا رفعةً وسمواً، وكان كالمسك كلما سُر انتشر عَرفُه، وكلما كُتِم تَضَوَّعَ نَشْرُه، وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار إن حُجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة)^(٥)، وهذا اعتراف ضمني من عالم جليل خبير بالبلاغة ومكنوناتها، وقف على قول الامام علي عليه السلام متأنياً متفقهاً، وتعقَّبَ كلامه متعرفاً، فكان معللاً رُقِي

٣- ظ: تقييد العلم، ٥٤.

٤- ظ: تاريخ الفسوي، (مخطوط) يعقوب بن شعبان الفسوي، استانبول مكتبة روان كشاء رقم ١٥٥٤، وظ: منع تدوين الحديث، ٥٩

٥- نهج البلاغة، شرح: ابن أبي الحديد، ١/ ١١.

الوضع السياسي الأموي الذي شن حرباً إعلامية على الإمام علي وأهل بيته عليه السلام لمنع انتشار كلامهم، وقد وُضِعَ الإعلام في خدمة الدولة الأموية التي هيأت كل شيء من أجل إخفاء فضائل الإمام عليه السلام، فالقول عن منع كتابة الحديث مصطنعة رشحها الحكم الأموي للحد من نشر فضائل أهل البيت عليه السلام، وتخوفاً من اشتهاً أحاديث الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، في فضل الإمام علي وأبنائه عليه السلام^(١)، وما يؤكد ذلك الذي نقله الخطيب البغدادي عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال: جاء علقمة بكتاب من مكة أو اليمن، صحيفة فيها أحاديث في أهل البيت عليه السلام بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذنا على عبد الله بن مسعود فدخلنا عليه قال: فدفعنا إليه الصحيفة، قال: فدعا الجارية ثم دعا بطست فيها ماء، فقلنا له: يا أبا عبد الرحمن أنظر فيها، فإن فيها أحاديث حسانا، قال: فجعل يميثها فيها، ويقرأ قوله تعالى: ((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ))^(٢)، ويقول: القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها ما

١- دراسات في الحديث والمحدثين، هاشم معروف الحسني، ٢٢.

٢- سورة يوسف: ٣.



حديث الإمام علي، فالتأمل في أقوال الإمام علي عليه السلام يجد علو قيمة في كلامه ولانفراداته البلاغية، وإيماءاته الإنسانية المعبرة، لذلك وصلت عباراته المؤثرة إلى كل إرجاء المعمورة متحدية أطواق الحصار، حتى وصل الأمم المتحدة اليوم، فاعتمدوا أقواله عليه السلام بسبب تضمّنها للمعاني السامية، ووضع كلامه في أروقتها، وعلى وفق الرؤية سأحاول في هذا البحث أن أقف على الفعل الإبداعي وأثره في الانفرادات البلاغية والعلمية في أحاديث الإمام علي عليه السلام محاولاً بإيماءات موجزة أن أتبع وحدة القول التماسكة بين الفعل الإبداعي لكلام الإمام عليه السلام وفنية الكلام عنده، وعلاقة ذلك بالجوانب العلمية المختلفة، بعد النظرة البسيطة إلى إبداع المنشئ وكلامه بشكل خاص.

رؤية في الإبداع والتكلم:

إن الأداء الخاص لأي منشئ يعدّ علامة مهمة تضعه في سلم الرقيّ التعبيري، فربما تجاوز الآخرين بتميّز، وربما ساواهم أو لم يلحق بهم، وقد وقف العرب قديماً عند ذلك، فقد رصدت المنهجية الأسلوبية كفايات الكتابة الإبداعية في التجارب الاستثنائية بحثاً عما يجعلها متفردة موصولة بكتابها ومنتسبة له، فقامت على ركيزتين هما: الانزياح والتفرد، وقد وجدنا

هذه الخصيصة في كلام الإمام علي عليه السلام، فليس من أسلوب متميز إلا ويحيى مكتنزا بأشكال الانزياح موصوفاً بالفردة، إذ يأتي السياق اللغوي قائماً على أبعاد ثلاثة هي: البعد الدلالي، والبعد التعبيري، والبعد التأثري، وللبعدين الأخيرين أهمية في إظهار ملامح الأسلوب، ومن هنا ترسم القدرة الإبداعية للمتكلم سمات النص الأدبي، فإذا بحثنا في مسألة الإبداع والتكلم نجد المنشئ المبدع يقف يومياً على جوانب الحياة المتشعبة، ويتفاعل مع الواقع ويختصر كل شيء ليضاف إلى خزينه المعرفي، وحين يتوجه المبدع إلى موضوع ما، فإنّ مواضيع كثيرة ستتوارد إلى ذهنه لحظة الكتابة، وتلك هي حالات شعورية تحصل عند عملية التعبير، فالإنسان يقف يومياً على جوانب الحياة المتشعبة، ويتفاعل مع الواقع ويختصر كل شيء ليضاف إلى خزينة المعرفي، وحين يتوجه المبدع إلى موضوع ما، فإنّ مواضيع كثيرة ستتوارد إلى ذهنه لحظة الكتابة، وتلك هي حالات شعورية يتشابه فيها المبدعون معاً؛ لأنّها تعرض الأفكار والاتجاهات أكثر مما تولدها^(١)، وحين يدب شعور

١- ظ: قضايا في النقد الأدبي، ك. ك. روثفن، ترجمة د. عبد الجبار المطلبي، مراجعة د. محسن جاسم الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٩ م: ٣٥٥

الكاتب أو القائل في سدى النص فإنَّ الفعل الإبداعي سيحيا بصورة وينمو عن طريق توليد الأفكار واستدعاء المعاني، فتتحقق وحدة الشعور بين التداعي والحضور، ومن المؤكد أن التداعي لا يذهب إلى حد يجعل النص يعاني من التفكك، وإنَّما يتحول لمصلحة الإخبار والأخبار، وحينها يُصبح الأخبار صادقاً إن كان مضبوطاً، وتكون وحدة الكلام صادقة، ان كانت مترابطة الأجزاء^(١)، ويظهر جمال النص؛ لأنَّه سوف يتساوى بالحقيقة فيصل الترابط إلى الحال التي ترضي المتلقي، إذ تعرض الحقيقة في الترابط (بأنَّها علاقة أجزاء داخل جمل) وان التداعي الجمعي سوف يكون بالجمع بين العواطف والأفكار معتمداً على كوامن المتكلم في إنشاء تعبيره حتى تصل لحظة الإدراك، فإذا كان يُقصد بالانتباه

١- ظ: قضايا في النقد الأدبي، كوك روثفن م، ن: ٣٥٧

- التداعي (Association): مصطلح استعير من المدرسة الترابطية ويعني كل ارتباط بين عنصريين نفسيين أو أكثر تشكل سلسلتها رابطة من التداعيات، ويطلق هنا على كل الأفكار التي ترد إلى الذهن أمَّا انطلاقاً من عنصر معين، أو بشكل عفوي، (ظ: جان لا بلاش و، بيونتاليس، معجم مصطلحات التحليل النفسي: ١٧٠) ويعني التعدد والتنوع في الشعور (ظ: تداعي الوعي في الشعر الجاهلي، ناصر اسطنبول، ١٦٦)

٢- علم النفس الفني، د. ابو طالب محمد سعيد ٢٠٥
٣- م، ن: ٢٠٣

٤- ظ: قضايا في النقد الأدبي كوك روثفن، ترجمة د عبد الجبار المطلبي، مراجعة د محسن جاسم الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٩ م: ٣٥٥





إذ وصفوا كلامه (كالمسك كلما سُتر انتشر عَرْفُهُ، وكلما كُتِمَ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ)^(١)، كما مر سابقاً، إذ لا يمكن لباحث أن يلمَّ بتلك الانفرادات، ولكن باستقرائه لكتاب نهج البلاغة توقفتُ على أشياء كثيرة يمكن أن أذكرَ القارئ بها، فالتعبير في نهج البلاغة بمستوييه التركيبي والتوليدي يمتاز بالابتكار والإبداع، ويؤدي وظائف مختلفة الاتجاهات بسبل فنية عالية الدقة والبناء، وسنقف عند بعض من هذه الانفرادات الإبداعية المبتكرة أدبياً وعلمياً في أقوال الإمام علي، بحسب تتبّع البحث، وسنومئ أيضاً إلى الانفرادات الإمام علي عليه السلام البلاغية وعلاقتها بالمجالات الأخرى التي يرى البحث ضرورة التعريف بها هنا.

أولاً: الانفرادات البلاغية وعلاقتها بالفنية والابتكار والأداء الإبداعي الخاص في نصوص الإمام علي عليه السلام.

تُعد الفنية والابتكار في نصوص نهج البلاغة من علامات الانفرادات البلاغية للإمام علي، فأسلوبه يمتدُّ إلى مدرسة النبي محمد ﷺ، وقد حمل الوظائف التعليمية بأنواعها، فتميّزت وعظاً وإرشاداً

وتربيةً وعلماً، فبات كلامه يحاور العقل الإنساني على اختلاف مشاربه، بوصف كلامه رسائل حاضرة في كل زمان ومكان، فكلامه متفرد بسياقاته بعد القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ، لأنه باب علم رسول الله، كما جاء في قول الإمام الحسن عليه السلام في خطبة له بعد أن أمره الإمام علي عليه السلام أن يخطبَ الناس في جامع الكوفة فقال: (الحمد لله الواحد بغير تشبيه، والدائم بغير تكوين، القائم بغير كُلفة، الخالق بغير منصب،... أما بعد: فإنَّ علياً بابُ الله من دخله كان مؤمناً، ومَن خَرَجَ منه كان كافراً)^(٢)، فالذي يلتزم بها شأنه شأن مَنْ يدخل الباب آمناً، ومَنْ لا يلتزم سيفقد سبيل الحق وسيكون كافراً، فهو باب علم الرسول ﷺ، ففي قول الإمام الحسن عليه السلام هذا حضر التشبيه المؤكد المفصل، إذ حُدِّثَ منه الأداة وذُكِرَ فيه وجه الشبه، وكان وجه الشبه متمثلاً بالانقياد إلى فكر الإمام علي عليه السلام ورؤاه لأنه يمثل امتداد المدرسة المحمدية ويأتي من بعده الأئمة الأطهار عليهم السلام، إذ يقول الإمام علي عليه السلام: (نحن الشعار، والأصحاب والخزنة والأبواب، لا تُؤتَى البيوت إلا من أبوابها.. فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن).



(الحكمة ضالة المؤمن)^(٥)، أي على المؤمن متابعة الحكمة للإفادة لكي يقوم مسيرته، فالأسلوب البياني تشبيه بليغ، وعلم المعاني خبر ابتدائي.

ونجد حصول الإيجاز غير المخل في أقوال الإمام عليه السلام حتى تصل العبارة إلى كلمتين فتستوي مثلاً دائماً الحضور في كل الأزمنة، مثل قوله: (الرحيل وشيك)^(٦) فالأداء البياني كناية وعلم المعاني خبر ابتدائي، ومن إيجاز كلامه الذي قام على النفي والتشبيه فبات مثلاً قوله: (لا ميراث كالأدب)^(٧)، وقوله (لا علم كالتفكير)^(٨)، فهنا وظائف اجتماعية تتمثل بالحث على الأدبي لأنه أفضل ميراث وعلى التفكير لأنه يمثل أسس العلم بل العلم نفسه.

ومن مميزات الابتكار في كلام الإمام علي عليه السلام التي تظهر فناً إبداعياً في كلامه هي:

اجتماع أقسام البلاغة في كلامه، وتشكيل الصورة المبتكرة واختيارها للوظيفة الإقناعية، والملائمة بين وحدات الفعل الإبداعي في التكوين الأسلوبي، والتكثيف الدلالي، الإيجاز في القول الذي يرتقي إلى المثل الصالح لكل زمان

إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسَبِّحُوا...^(١) بمعنى (نحن الشعار: ما يلي البدن من الثياب، والمراد بطانة النبي صلى الله عليه وآله، والضمير لآل النبي، كرائم: جمع كريمة، والمراد أنزلت في مدحهم آيات كريمات، والقرآن كريم كله، وهذه كرائم من كرائم لا يسبقهم أحد إلى الكلام وهم سكوت، أي يُهابُ سكوتهم فلم يجروا أحد على الكلام فيما سكتوا عنه)^(٢)، فكلامه يتضمن علماً لدنياً، ففي هذا الجانب يطالعنا قول الشريف الرضي عليه السلام في مقدمة نهج البلاغة: (وبكلامه استعان كل واعظ بليغ...، لأن كلامه صلى الله عليه وآله الذي عليه مسحة من العلم الإلهي. وفيه عبق من الكلام النبوي)^(٣)، فأحاديثه الشريفة امتازت بالرقي الفني والإيجاز الدلالي. من انفرادته في الاتجاه البلاغي تكاثف القول حتى وصل إلى مستوى المثل الصالح لكل زمان ومكان. خذ حكمه القصار أمثالا مثل قوله: (الناس أعداء ما جهلوا)^(٤)، كناية عن عدم معرفة الصواب، إذ إن عدم المعرفة تلك تكون عدواً لمن لا يعي مضانها، ونجد المثل حاضر في قوله:

١- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤٤-٤٣/٢.

٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤٤/٢.

٣- الشريف الرضي، مقدمة نهج البلاغة.

٤- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤٢/٤.

٥- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ١٨/٤.

٦- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤٣/٤.

٧- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٢٧/٤.

٨- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٢٧/٤.



ومكان، والتساوي والتوازن بين السياق التركيبي الذي يمثل الشكل والقصدية التي تمثل المضمون، ومن المعلوم أن المنشئ البشري إن ركّز على المضمون ضعف عنده الشكل أو الصورة، لكننا وجدنا موازنة بين الشكل والمضمون عند الإمام علي عليه السلام وبالعكس، وكذلك في عموم الحديث الشريف، فضلاً عن ذلك فهناك سمات أخرى في نصوص نهج البلاغة، كالحكمة ومحاوره الواقع ثقافياً واجتماعياً، والإيحاء إلى الأمور العلمية بشتى مناحيها، وكما سنرى لاحقاً.

ثانياً: الانفرادات البلاغية وعلاقتها بتشكيل الصورة المبتكرة ووحدات الفعل الإبداعي في أقوال الإمام علي عليه السلام.

للأداء البياني أثر في تكوين الصورة الفنية، إذ تستند قدرة المنشئ على الأحاسيس والخيال في منح نوع الصورة ولونها، فيحدد المنشئ بذلك موقفه من الوجود على غرار تلك الأحاسيس المنبعثة منه والمتضمنة لدلالة الصورة، ويكون لتلك الأحاسيس أثرٌ فاعل في شدّ أجزاء الموضوع من خلال انسجام العاطفة مع الخيال التصويري، فتتأسس الدلالة التي يتغيها القائل والتي تقع تحت طائلتها عملية الفعل الإبداعي، لأن الصورة بنية حاصلة من مجموعة علاقات تتفاعل فتتغير

أبعاد العمل الأدبي^(١)، قال الإمام علي عليه السلام: (اعْتَصِمُوا بِالذِّمِّ فِي أَوْتَادِهَا)^(٢)، لما كانت الصورة الإبداعية المبتكرة هي (موضوع الحدس الجمالي للفنان، وهي صياغة جديدة للواقع والطبيعة من خلال التفسير المبدع)^(٣)، فإن الصورة هنا كانت عقلية حملت معنى فحواء (تحصنوا بالذم أي بالعهد واعقدوها بأوتادها، أي الرجال النجدة الذين يوفون بها، وإياكم والركون لعهد مَنْ لا عهد له)^(٤)، فجاءت الصورة متعشقة بين الفنية والوظيفة التربوية، ومعلوم أن المنشئ إذ ركّز على المضمون في قوله ضعف عنده الشكل، ولكننا نشاهد هنا مزاجية إبداعية بين الشكل والمضمون تم تحقيقها بصورة فنية رائعة، فاشتملت الصورة على زمن نفسي ظل يسائر المعرفة الإنسانية حكمةً وتبصرةً على مدى نفسيّ يتمثل بالحذر والركون إلى الآخر الثقة، فالكلام يسائر التجربة الإنسانية على طوال العيش الاجتماعي، إذ جاء الزمن النفسي إطاراً حدثت داخل

- ١- ظ:، جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو ديب، ٧٠.
- ٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، مكتبة النهضة، بغداد، ٤٠ / ٤.
- ٣- علم النفس الفني، د. ابو طالب محمد سعيد، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ١٢٣.
- ٤- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤٠ / ٤.



العلوم وضرورتها نبعت المعاني ودرت أخلاقها^(٢). فعملية القول حين يحين وقت انبثاقها فأنها مدفوعة بالعاطفة والرغبة معاً على وفق ما يراه بشر بن المعتمر (٢١٠هـ) (والشيء لا يحن إلا إلى ما يشاكله، وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات، لأن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة، كما تجود به مع المحبة)^(٣).

إذن هناك علاقة بين العمل الفني الإبداعي والزمن النفسي، (لأن عملية الخلق الفني تعتمد على القدرة الباطنية في إثارة القوى الانفعالية للذات)^(٤). وهناك إيجابية تفرضها القوى الباطنية النامية عن الإحساس بحرارة الأشياء، أو قل تأثيرها الباطني على الذات الإنسانية فهناك وجهان رئيسان لجوهر العمل الإبداعي: الوحي، والإخراج الشكلي^(٥). ومن هنا كان كلام أمير المؤمنين عليه السلام مقصوداً، لأنه يحمل وظائف تربوية للسامع، ولم يمل

العملية الإبداعية في إطواء النص، وبه صارت الصورة محاولة منظمة لإتباع حاجات المبدع نفسياً، وعند هذا الكلام يستريح المتلقي، لأنه يأنس للكلام ويعده مجالاً للتجربة والحكمة، ولا ريب في ذلك، فاتكأ الكلام اللاحق سياقاً ومعنى على الاستهلال أو المطلع، فبدأ بفعل الأمر (اعْتَصِمُوا) ثم جاء الجار والمجرور (بالذم)، فاكتمل النص معناه بعبارة (في أوْتَادِهَا)، فمثل الاستهلال هوية الكلام وصفته، وأعلن قصدية الإمام والوظيفة التربوية لكلامه، وأنبا عما يختلج في إطوائه من رؤى معتمدة على علم وتجربة فارتقى الكلام بسبب هذه الرؤية وتكثيفها إلى مستوى المثل، وحين جاء أوان قولها أظهرها اللسان فأصبحت وثيقة إنسانية، ولأن الشكل والمضمون ارتقيا معنى وفنية دخل النص في مصاف الكلام الإبداعي، لأن الأخير (إيجابية تضم الذات والموضوع في وقتٍ معاً)^(١)،

فهناك خصائص تدعو إلى تحريك القرائح وإنتاج العمل الإبداعي، ولا سيما الكلام المصوغ فنياً، فهناك بواعث للكلام، إذ إن الدواعي إذا قامت في النفوس، وحركت القرائح أعملت القلوب، وإذا جاشت بمكنون ودائعها، وتظاهرت مكتسبات

١- مذهب التحليل النفسي والفرويدية الجديدة، فاليري ليبين، دار الفارابي، ط١، ١٩٨١، ١١٤.

٢- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي، نشره أحمد أمين بالاشتراك مع مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ط١ ١٩٥٢، ١٢.

٣- ظ: البيان والتبيين، دار أحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٩٦٨، ٩٥/١ وما بعدها.

٤- الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، د. عبد القادر فيدوح، ٣٦.

٥- ظ: مسألة اللاوعي في الصورة الشعرية، د. صبحي البستاني، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع ٢٣، ١٩٨٢-١٩٠٣، ٩٩.



البناء الفني لقوله، وهذه ميزة واضحة في جميع أقواله، لذلك وصف ابن الحديد قوله: (فقد علمت انه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكل حيلة في إخفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعاييب والمثالب له... وتوعدوا مادحيه، بل وحبسوه وقاتلوه ومنعوا رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكرا، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً، وكان كالمسك كلما سُتر انتشر عَرَفَه وكلما كتم تضوع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح وكضوء النهار إن حجبت عنده عين واحدة أدركته عيون كثيرة)^(١)، فكان كلامه ﷺ مرويّاً بفنون البلاغة وقصدية القول الحاملة للوظائف التربوية وغيرها.

قال ﷺ: (لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلُوءٌ أَوْ مُرَّةٌ)^(٢)، نجد الصورة المركبة بين الذهنية المتمثلة ب(عَاقِبَةٌ) والحسية اللونية المتمثلة بـ (حُلُوءٌ أَوْ مُرَّةٌ)، فالصورتان أسستا وحدة موضوعية في النص القصير، وكان التكثيف الدلالي إبداعياً، قلّت الكلمات وقصّرت العبارة وتكاثر المعنى محققاً وظيفة تربوية تعليمية ارتقت إلى مستوى المثل، لأنّ العبارة نهضت على صورتين جزئيتين، كل

واحدة منهما بنية صغيرة ضمن بنية أكبر، فتناسب هذا التشكيل بفعل التداعيات التي حققت صورة أو وضحت الدلالة المطلوبة، فكانت الصورة النهائية نتاج ترابط الصورتين الجزئيتين اللتين حققتا أيضاً الوحدة العضوية المطلوبة، فتآزر الشكل مع المعنى في تقديم النصيحة والإرشاد للمتلقى ببناء فني إبداعيّ، وسيطرت نفسية المتكلم والسامع على إظهار كل ما قفز إلى ذهن، فتحقق الفهم ضمن وحدة التداعي الملون التي هي جزء من الوحدة الموضوعية (حُلُوءٌ أَوْ مُرَّةٌ)، فحصل التذكر تحت إطار الصورة المقصودة الأمر الذي دل على اهتمام الإمام ﷺ بوحدة النص الكلية وغايته، والحق أن هذا التداعي قضية مهمة في قيام العملية الإبداعية، وهو قريب في دلالته من (التوارد)^(٣) في اللغة وبفضل التداعي وتناسل الأفكار يحصل التنوع في المشاعر الذي يسهم في إنضاج الدلالة العامة للنص، حيث تكتمل الصورة، ويهيمن الإحساس ويصل المعنى إلى اكتمال ثمرته، بعد اشتباك علاقات المعنى المعجمي الذي يتصف بالتعدد والتنوع والاحتمال ويأتي هذا التعدد والاحتمال من ارتباط

٣- يقصد بالتوارد أن بعض الكلمات يرد مع بعض ولا يرد مع بعض ثالث، ظ. اللغة العربية معناها ومبناها، : د. تمام حسان، ٢١٦، ١٢٤ وظ:

كتابه الاصول: ٣٣٤، ٣٣٦

١- شرح ابن أبي الحديد، ١/ ١١.

٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤/ ٤٠.



بتداعي الماضي واستحضاره عبر قنوات خفية^(٤)، ويتجلى أيضاً موقف القائل من الواقع المعيش أي من الوجود، فيأتي أثر الأداء البياني واضحاً في رسم الصورة؛ لأنّه يعني برسم تلك الأحاسيس وإظهار ذلك الموقف، قال الإمام علي عليه السلام: (اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ)^(٥)، فالموقف من الوجود واضح تظهر فيه رؤية الإمام علي عليه السلام، فالصورة مركبة بين الذهنية والحسية، فنزول الرزق صورة ذهنية، وإعطاء الصدقة صورة حسية، فكانت الوظيفة التربوية قائمة، لأنها دلّت المتلقي على طريق فعل الخير بوساطة تقديم الصدقة، فبانت الوحدة الحسوية معلنةً انسجام عاطفة المتكلم الإمام علي عليه السلام بين أجزاء النص، ويعني هذا وجود تفاعل بين مشاعره والأفكار الناتجة عن استحضار الصور والتذكر وما ترد من المعاني، وهنا يحدث التعدد (التلوين) في المشاعر وينعكس ذلك على المتلقي أيضاً، بناء على كل ما يتجدد من أفكار بموجب التداعي المستند على ضرورة إعطاء الصدقة، ولكن التلوين هذا يجمع تحت قوة الإحساس الموحد، وبذلك تحقق

وحدة الشعور اللوني في عموم

الإفادة، وهي الوصول إلى المعنى التام الذي يحسن السكوت عليه^(١)، ويرتبط التداعي بالقوى الثلاثي التي تهيمن على ذهن الشاعر وهي الحافظة والمائزة والصانعة وتلك مؤثرة في طبعه^(٢)، وبها تتحقق الوحدة الموضوعية، وهذه الوحدة الموضوعية المتحققة فضلاً عن وحدات أخرى هي: وحدة الصراع ووحدة الشعور اللوني والوحدة الحسوية، كلها تنضوي تحت الصورة ودلالاتها في أقوال الإمام علي، كما مرّ في المثال السابق واللاحق وسنرى ذلك:

فمن الباعث أو الموقف من الواقع المعيش أو وحدة الصراع إلى وحدة الشعور اللوني فالوحدة الحسوية يعني الانسجام العاطفي بين موضوعات وأجزاء القصيدة، تحت إطار الصور الفنية، فهنا تكون الصلة بين أجزاء النص (محكمة، صادرة عن ناحية وحدة الموضوع ووحدة الفكر فيه، ووحدة المشاعر التي تنبعث منه)^(٣)، إذ تُظهر وحدة الصراع استجابة المنشئ (لتجربة شعورية حين تشكل عاطفته مجموعة من الصور، قد تكون مرتبطة

١- الأصول، تمام حسان، ٢٩٢.

٢- ظ:، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، القراطاني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، ط ١، ١٩٦٦ م: ٤٢-٤٣.

٣- النقد الأدبي الحديث، د محمد غنيمي هلال، منشورات دار ومكتبة إهلال، بيروت، ١٩٨٨ م: ٣٩٥

٤- الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، د عبد القادر فيدوح، ٢٩٩.

٥- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤/ ٣٤.



النص القصير الذي تماسك وتكثف حتى بات وظيفة إرشادية ووعظية، لقد ترتبت عند هذا القول دلالات هامشية مثل النفسية، والتداعي والاستذكار، وكان الأداء البياني قد رسم الصورة بالكنائية عبر التعريض، أي الفهم من سياق الكلام، ودل على المقصود والوظيفة التربوية بالصورة هذه، فتشكلت الصورة الجزئية الأولى (استنزلوا الرزق) منسجمة شعورياً مع الصورة، فسوغت تلك الصورة إلى إظهار صورة ثانية قامت سياقياً على الجار والمجرور (بالصدقة)، فهيأ التكثيف الدلالي في هذا النص المختزل ولادة فكرة النص كاملة، مبينة أثر الصدقة في استنزال الرزق، وكان الشعور متصلاً والعلاقات مترابطة بين الصورتين، فأسهم في تماسك النص فاكنت لثانية سبباً للأولى، وكان التداعي قائماً في عملية الاتصال عند السامع، لأن بدء الكلام بالفعل (استنزلوا) هي حال حاصلة ومنطقية لوجود الحال الثانية، فقامت الكناية باحتواء السياق وحافظت على إخراج ملامح الصورتين المرتبطتين دونما خلل، واستمرت الوقائع الخارجية المترتبة عن مساعدة الفقراء وتنفيذ قيم الفضيلة التي دعا إليها الإسلام، فكانت الصورة الكلية تقوم على فكرة موحدة تسيدها تشاور واحد أرادته الإمام، فقد تجمع (الذات اثر هذا

التنوع في وحدة الشعور المتباين الذي يقوم بين وحداته التجاذب القائم على إحداث الترابط)^(١)، فكان الباعث حث الناس على فعل الخير يكمن وراء استعمال الكناية التي أسهمت في رصف ووصف الموضوع، وساعدت في توازن المعنى بالجمع بين مضامين الصور الجزئية تحت ظل وثبة شعورية إبداعية.

فمن السهات الفنية في أقوال الإمام علي عليه السلام (الاستعمال غير العادي لأساليب البيان، فمن المعروف أن الإنسان كلما اشتد انفعاله، واشتد أوار الغضب أو الخوف لديه، فإن مسافات التأمل تكاد تنغلق عليه فيهرع إلى التشبيه الحسي، بغية إيصال قصديته سريعاً إلى السامع، لكي يكون الأخير مستعداً لقبول المراد عبر الوظيفة اللفظية)^(٢)، إذ من المعروف أن استجابة المتكلم إلى القول (استجابة مرتكزة على دور الانفعال المتبادل بين مشاعر الذات وقواها الطبيعية الدافقة)^(٣)، فيقف وراء كل قول باعث خارجي يدفع الشخص إلى السلوك الآني قولاً أو فعلاً، فكلما كان الباعث قوي الأثر خلّفاً انفعالاً وجدانياً في النفس كلما حصل توتر في الذات المتكلمة، إذ يلزم نفس المنشئ (قدر من

١- تداعي الوعي في الشعر الجاهلي، ناصر اسطنبول، ١٦٦

٢- نهج البلاغة صوت الحقيقة، ٩٦.

٣- الاتجاه النفسي نقد الشعر العربي، ٢٩١.



يعبر عنها تعبيراً خارجياً عن طريق اللغة أو الحركات أو الإشارات المختلفة، أي عن طريق السلوك^(٣)، وفي هذه الحال يكون التعبير المباشر أقرب إلى القائل، لأن للواقع البيئي المعيش أثراً يظهر في سلوكه الاجتماعي يجذب انتباهه ويتحكم بسلوكه، فينعكس ذلك على إبداعه، لأن البيئة السيكلوجية التي يدركها الإنسان ويشعر بها فيستجيب لها هي التي تثير انتباهه واهتمامه ونشاطه^(٤)، وبذلك يظهر أثر ردة الفعل في سلوك الشخص أياً كان ذلك السلوك تصرفاً أو كلاماً. بمعنى أن الإنسان إن وقع تحت طائلة الانفعال مال في كلامه إلى التعبير المباشر، ويكون التشبيه الحسي أقرب الأداءات البيانية لديه، لأن هذا الأداء البياني يقرب عملية الفهم سريعاً إلى السامع، (بينما في حالة الرخاء النفسي يهرع الإنسان إلى الاستعارات والكنيات والمجازات التي تتطلب منه ترفاً نفسياً وهدوء انفعالياً لكي، يدع القول محاطاً بالتأمل والتدبر والتفكير، حيث يتواجد العدول أو الانزياح بالعبارة إلى معنى مكثف بالشعرية، وحيث تشتغل الطاقة الإيحائية بأعلى قدراتها التوصيلية، وحيث يعمل العقل فيربط بين أجزاء القول ومقاصده، فيتأمل ويتدبر، ويشعر

التوتر النفسي اللازم للإبداع على أن يكون هذا التوتر مصحوباً بمناخ نفسي متميز بخصائص^(١)، وفي هذه الحال (يظهر الفعل الإبداعي محكوماً بأواصر نفسية لعلّ الإنفعال من أقوى ما يصاحبها، ويوجهها تجاه تعبير معين، يكون أقرب إلى إيصال القصدية بأسرع ما يمكن، وأقرب أساليب البيان إلى ذلك التشبيه، لأنه أقصر الطرق المؤدية إلى إيصال الوظيفة المفاهيمية لدى المتلقي، ولا سيما حين يحرص المتكلم على إيصال القول مباشرة، وغالباً ما يحدث عندما يرافقه الإنفعال الذي يتصاعد في مواقف ومنها الحرب وما يصاحبها من خوف)^(٢)، إلا أننا لم نجد مثل هذه الحال في تعبير الإمام علي عليه السلام وهو في أصعب الأوقات وفي ضراوة الحروب فلم يتأثر بذلك نفسياً، وبذلك اختلف عن غيره من المنشئين، لأن للرغبة عوامل تأثيرية في النفس الإنسانية المنشئة، فكل (حالة شعورية كالرغبة أو الشعور بالخوف أو النشاط العقلي في أثناء عملية التفكير، وكل استعداد لا شعوري كالرغبة المكنونة في الانتقام من شخص أو الهرب من موقف محرج، هذه الحالات والاستعدادات لا يمكن أن تكون موضع دراسة علمية إن لم يستطع الشخص أن

٣- أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، ١٧.

٤- ظ: م. ن، ١٩.

١- م. ن، ٣٨٩.

٢- نهج البلاغة صوت الحقيقة، ٩٦- ٩٧.



بلذة الاكتشاف وينهر بمتعة التصوير، ويطمئن لبديع الدلالة، ويتلطف بانسجام العبارة^(١)، ومن هنا يظهر تميّز الإمام علي عليه السلام في كلامه من غيره، لأنه (في أصعب المواقف وأخرجها، وفي فضاء الحرب وأهوالها، وفي ساعة الراحة وغيرها، فهو لم يعبأ للانفعال فتدعن له قريحته، ولم تأخذ منه الرهبة فتساق لها حالته، فقد بقي تعبيره خارجاً عن المألوف، الأمر الذي يدل على وحدة إيمانه المتناسكة في الحرب والسلام، وقوة شكيمته في الكرب والنعم، وعبقريته بلاغته في الحبّ والسأم، والغضب والألم، ومصداق رؤيته في الراحة وإلهم^(٢)، فكلامه يصدر عن نفس لا يقرب منها الإنفعال الذي يأخذ بالكلام إلى المباشرة، بل تصوغه النفس بتأمل وتدبّر في أصعب الظروف، ويتفوّق البحث مع مَنْ رأى كلامه (عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي.... فهو البحر الذي لا يساجل، والجم الذي لا يحافل)^(٣)، وبهذا تجلّى تميّز كلامه من غيره باستثناء كلام الله والرسول الكريم ﷺ، إذ إننا عندما (نستقري كلامه، ونستنطق ببيان، ونتلبث عند كنه الدلالات، وننظر في فحوى العبارات، نجد كلامه ﷺ سايكولوجياً،

قد اختلف عن مَنْ سواه، فهو لم ترهبه الحرب، وذلك دليل إيمانه، وهو لم يغضب إلا لأجل الله سبحانه وهذا منار إسلامه، فقد آمن بالقول الإلهي المبارك ﴿أَيُّمَّا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾^(٤)، فأشاح وجهاً عن الخوف^(٥)، وتظهر رؤيته الفلسفية في الحياة الدنيا بقوله الذي ارتقى أيضاً إلى مستوى المثل: (الدنيا حلم والآخرة يقظة، ونحن بينهما أضغاث أحلام)^(٦)، وبذلك ظلّ ﷺ مؤمناً دوماً بقدر الله سبحانه وقضائه ومطمئناً له، فلم يذهب إلى غير هذه الرؤية، إذ إنه عليه السلام قال: (الزهد بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لَكُمْ يَلَا تَأْسُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾^(٧)، ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه)^(٨)، فلهذا السبب بقي الاستقرار النفسي مهيمناً على كل أفعاله أو سلوك في الحياة التي عاشها، وهذا الاستقرار النفسي جاء بنتائج مهمة ميّزت أفعاله الاجتماعية من غيره، ومنحت سياقات كلامه تميّزاً إبداعياً بأداء خاص، ويكفي أن نقف على كلام له ﷺ بخطبة (خطبها بعد مقتل طلحة والزبير

٤- النساء/ ٧٨.

٥- نهج البلاغة صوت الحقيقة، ٩٨.

٦- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ٣١/ ١.

٧- الحديد/ ٢٣.

٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ٢٠/ ٢٩٥.

١- نهج البلاغة صوت الحقيقة، ٩٨.

٢- المصدر نفسه، ٩٨.

٣- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، ٣١/ ١.



النفسية في إزاء الحدث المحزن^(٣)، إذ بدأ عليه السلام خطبته بالاستعارة: أي بنا اهتديتم في الجهالة، فكنا نبراسا لكم تشقون ظلمتكم به، ثم انتقل إلى الكناية (تسنتم العلياء)، أي بنا نحن ركبتم سنامها وهذه استعارة مكنية حظر المشبه (العلياء) وغاب المشبه به أصلا (سنام الجمل) فجاء بشيء من لوازم المستعار منه، وهنا يستوجب الأمر هدوءا نفسيا عند التعبير، لكي تأتي مثل هذه الاستعارات والعبارات مكثفة شعريا^(٤)، إذ إن الاستعارة (فن يباني يتأسس على سعة التأمل وانفتاح آفاق الخيل عند المشي، فلها القابلية على احتواء تراسل الحواس في إنتاج الصورة الفنية أكثر من غيرها، لذلك تعد منتجة جيدة للإنزياحات ولا سيما السياقية منها)^(٥)، وهنا الغرابة، فالرؤية النفسية لأساليب البيان تجد الإنفعال مصاحبا للحدث في الحرب حين يتنامى العتاب والأسف على فعل الآخرين، ويكون أقرب الأساليب البيانية إلى ذلك التشبيه الحسي، لكننا ألفناه تعبيراً استعارياً راقياً هنا، خالف الإمام علي عليه السلام به الآخرين، وذلك دليل على ثبات نفسه في كل آن وقوة إيمانه بالله سبحانه وبقدره.

مخاطبا بها لهما ولغيرهما من أمثلهما^(١)، قائلاً (بنا اهتديتم في الظلماء، وتسنتم العلياء وبنا انفجرت عن السرار، وقَرَ سمعٌ لم يفقه الواعية، وكيف يراعي النبأ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ رِبَطَ جَنَانٍ لَمْ يَفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ، مَا زَلْتَ أَنْتَظِرَ بِكُمْ عَوَاقِبَ الْغَدْرِ، وَاتَّوَسَّمْكُمْ بِحَلِيَةِ الْمَغْتَرِينَ، سَتَرَنِي عَنْكُمْ جَلْبَابُ الدِّينِ، وَبَصَرَنِيكُمْ صَدَقُ النِّيَّةِ، أَقَمْتَ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ الْحَقِّ فِي جَوَادِ الْمُضْلَةِ حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ، وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تَمِيهُونَ. الْيَوْمَ أَنْطِقُ لَكُمْ الْعَجْمَاءُ ذَاتَ الْبَيَانِ، عَزَبَ رَأْيِي إِمْرِي تَخْلَفُ عَنِّي، مَا شَكَكْتُ فِي الْحَقِّ مَذْأَرِيَّتُهُ، لَمْ يَشْفُقْ مُوسَى خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ، أَشْفَقَ مِنْ غَلْبَةِ الْجَهَالِ وَدُولِ الضَّلَالِ، الْيَوْمَ تَوْقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ)^(٢). ففي مثل هذا الموقف لا بد من أن ينفعل لإنسان، فيأخذ كلامه مدى آخر على وفق أساليب القول والبيان، أي يلجأ إلى المباشرة أو التشبيه الحسي البسيط المعروف، غير أننا وجدنا عكس ذلك هنا، فقد حضرت الاستعارات والمجازات والكنايات، فضلا عن القدرة الفائقة في تماثل الكلام والتوازي وهيمنة الإيقاع الداخلي واستعمال الرمز، الأمر الذي يدل على رباطة جأشه، وعدم ضعف قواه

٣- نهج البلاغة صوت الحقيقة، ٩٩،

٤- المصدر نفسه، ٩٩

٥- الاداء البلاغي في الحديث الشريف، د. صباح عنوز، ١٠٥.

١- م.ن، ١/١٣٩.

٢- نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ١/١٣٧-١٣٨.



ثالثاً: الانفرادات البلاغية وعلاقتها باجتماع أقسام البلاغة في كلام الإمام عليه السلام في العبارة الواحدة وارتقاء الكلام إلى مستوى المثل.

من انفراداته البلاغية عليه السلام مجيء جميع أساليب البلاغة بفروعها الدقيقة حاملة وظائف متعددة للمتلقى في الوقت نفسه، من الانفرادات عليه السلام أن الذي يتبع أساليب البلاغة عنده مجدها حاضرة جميعاً في أقواله بأعلى مراتب الفن القولي، إذ وردت أقسام البلاغة في كلامه مثل: علوم البيان وعلم المعاني والبديع وجميع فروعها في العبارة الواحدة، الأمر الذي يؤكد بلاغة نهجه وفنية قوله، من الانفرادات عليه السلام في الاتجاه البلاغي يتداخل أداءان بلاغيان أكثر من دون أن يكون خرق للبلاغة في قوله، وهذا الفن القولي الرائع قد ألفتاه عند الرسول الأكرم عليه السلام، فكلام السلسلة الذهبية يمتاز بروابط فنية عالية الإبداع، وكيف لا وهم أخذوا علمهم عن رسول الله عليه السلام، مثل قوله عليه السلام: (مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الْغَرُّ الْجَاهِلُ وَيَحْذَرُهَا ذُو اللَّبِّ الْعَاقِلُ) ^(١). فهنا تشبيه مرسل كما في (مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ) وكناية في الوقت نفسه منحت المعنى دلالة إيجابية (لَيِّنٌ مَسُّهَا) والسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، واستعارة وكناية

١- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٢٨/٤.

ومجاز ورمز (يهوي إليها الغرُّ الجاهلُ ويحذرُها ذو اللَّبِّ العاقلُ)، فضلاً عن علمي البديع بالطباق (الجاهل، العاقل) والمعاني بالخبر الطلبي الذي أخذ التأكيد، والخبر الابتدائي الذي خلا من المؤكدات في شق العبارة الثانية. وقوله عليه السلام: (القناعةُ مَالٌ لَا يَنْقُذُ) ^(٢) فكان الاتجاه البلاغي قد جاء بيانياً بالتشبيه المفصل، أي ذكر فيه المشبه (القناعة) والمشبه به (مَالٌ) ووجه الشبه (لا يَنْقُذُ)، وجاء التعبير في علم البياني بالخبر الابتدائي الذي خلا من المؤكدات والمساواة التي تعني (أن يكون الكلام بمقدار معناه، لا ناقصاً عنه، ولا زائداً عليه) ^(٣)، وقد أدى التعبير المختزل وظيفته تربوية، إذ تكثف الكلام حتى ارتقى إلى مستوى المثل. ونجد الأمر نفسه في قوله عليه السلام: (العَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى) ^(٤)، إذ حضر علم المعاني متمثلاً بالتشبيه البليغ، وعلم المعاني متمثلاً بالخبر الابتدائي، وعلم البديع متمثلاً بالطباق أي الجمع بين لفظين مثبتين متضادين (الفقر، الغنى)، وكذلك قوله عليه السلام: (المَالُ مَادَّةٌ

٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ١٤/٤.

٣- الإيضاح، الخطيب القزويني، بإشراف محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٧٧، وظ: المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك، القاهرة ١٣٤١هـ، ٣٥.

٤- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٨٠/٤.



اعتمدت الأمم المتحدة أقواله وعلّقته في أروقتها، ومن أمثلة ذلك قوله عليه السلام: (احذروا صولة الكريم إذا جاع والليث إذا شبع)^(٣)، فهنا تحذير للقائمين على شؤون الناس من عدم تطبيق مفهومي العدالة والمساواة، إذ يُبيّن البعد التداولي للنص بدلالته الإيجابية وجوب النأي عن فوضوية اضطراب المعايير، لأن في ذلك خطراً اجتماعياً، فجاء الاتجاه البلاغي متحققاً بالمجاز المرسل والعلاقة سببية أي، بُني للفاعل وأسند للسبب، وكذلك علاقة اعتبار ما يكون: وبها يُطلق الوصف على شيء باعتبار اتصاف الشيء بهذا الوصف في المستقبل، وإن لم يكن موصوفاً به في زمن الحال، وكذلك تعشق هذا الأداء البياني المجاز المرسل بالكناية تعريضاً، وهو كلام يُطلق ويُشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق ومن ظرف القول^(٤)، وحضر علم المعاني في هذا النص متمثلاً بالإنشاء الطلبي الذي خرج فيه فعل الأمر (احذروا) إلى النصح والإرشاد والتحذير في الوقت نفسه، وحضر أيضاً البديع بمحسناته المعنوية (الطباق) الذي كان فيه اللفظان المتضادان فعلين هما: (جاع، شبع)،

الشّهوات^(١)، فقد تداخل علم البيان بالتشبيه البليغ مع علم المعاني بالخبر الابتدائي مع علم البديع بالجناس الناقص الذي اختلف لفظان فيه في أنواع الحروف (المال، مادة)، ويمثل هذا الأمر علو الشأن البلاغي في الانفراداته عليه السلام، نجد الشيء نفسه في قوله عليه السلام: (الهمّ نصفُ إلهرم)^(٢)، نجد هنا علم المعاني متمثلاً بالخبر الابتدائي، فالكلام خلا من التأكيد، ونجد البديع متمثلاً بالجناس الناقص، وهو بزيادة حرف الراء في الثانية، ونجد علم البيان متمثلاً بالكناية (التعريض) وهو كلام يفهم من السياق، وتم تخصيص صفة بموصوف، فهو كناية عن صفة معنوية لا النعت، لقد أدى هذا التعشق بين الأداءات البلاغية إلى ارتقاء الكلم إلى مستوى المثل كما سنرى في الفقرة اللاحقة، والفقرات السابقة والتالية.

فمن الانفراداته البلاغية هو ارتقاء كلامه عليه السلام بالكثيف أي إيجاز القول حتى صار مثلاً يصح لكل زمانٍ ومكانٍ، فيحاور الإنسان أيّاً كان جنسه ونوعه وعرقه، فجاء بوظائف متعددة، منها مثلاً الوظيفة الاجتماعية، وربما لهذا السبب

٣- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤ / ١٤.
٤- ظ: مفتاح العلوم، السكاكي، ١٩٤، وظ: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، ود. كامل حسن البصير، ط ٢، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ٣٧٣.

١- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤ / ١٤.
٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤ / ٣٤.



ومن أمثلة الجمع بين الوظائف النفسية والاجتماعية والتربوية قول الإمام علي عليه السلام: (الطامع في وثاق الذل)^(١)، لقد أراد الإمام معنى منظورا في المستقبل، فجاء مفهوما الاستباق والاسترجاع واضحين في النص، أي اتصاف الطامع في نهاية الأمر أو في المستقبل بالذل وإن لم يكن موصوفا به في زمن الحال، وذلك بعد ركونه إلى الطمع، لأن الذل هنا وصف جاء لتبين حال الطامع، بعد ازدياد الطمع وليس قبله، أي بما يتصف به الطامع مستقبلا بعد أن ركض نفسه وراء طمعه في الوقت الحاضر، فكان التعبير محمولا بالكنائية تعريضا وإيحاء، فاستوى الكلام إلى مستوى المثل حاملا وظيفة تعليمية إرشادية، لأن الطمع يؤدي إلى هلكة صاحبه، فقد قال عليه السلام: (أكثر مصارع العقول تحت بُرُوق المطامع)^(٢)، فكان الأداء البلاغي متحققا بالاستعارة، وقد قال عليه السلام: (الطمع رُقٌ مؤبَّد)^(٣)، إذ اجتمع علم البيان بالتشبيه البليغ المؤكد، وعلم المعاني بالخبر الابتدائي الذي خلا من المؤكدات في هذه العبارة الواحدة فارتقى الكلام إلى مستوى المثل، وفي مجال تربية النفس وترويضها، وكذلك نجد الأمر نفسه في قوله عليه السلام:

(من نال استطال)^(٤)، أي من أعطى الصدقة فإنه يعلو، فكان الاسترجاع متمثلا بإعطاء الصدقة يؤدي إلى الاستباق الذي يتحقق بنيل الثواب مستقبلا، فكانت الوظيفة التربوية حاضرة.

ففي كلامه عليه السلام نجد المثل المؤدي إلى الحكمة، إذ نجد انفرادته البلاغية في مجال الحكمة تتحقق بتفوق فني يتمثل بتداخل الأداءات البلاغية والارتقاء إلى مستوى المثل بالكثيف الدلالي المتحقق بالإيجاز والحذف، ثم تأتي الحكمة ذات الوظيفة التربوية للإنسان، لأن الإيجاز يعني أن يكون اللفظ أقل من المعنى، أو أن تكون العبارة المؤدية للغرض بأقل ما يكون من الحروف^(٥)، أمّا الحذف فيتمثل بحذف كلمة أو جملة أو أكثر مع قرينة تُعين المحذوف^(٦)، ومن أمثلة ذلك قوله عليه السلام:

(الخلاف يهدم الرأي)^(٧) فحقق المعنى المطلوب بالجمع بين أسلوب الكناية تلويحاً وعلم المعاني بالخبر الابتدائي، فقدم الكلام الذي بات مثلاً يصلح لكل زمان ومكان ووظيفة تربوية حملت النصح والإرشاد، ومثل قوله عليه السلام: (من تذكر

٤- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤/ ٤٩.

٥- العمدة، ١/ ٢٢١. وظ: نهاية الإيجاز، ١٤٥.

٦- المثل السائر، ٢/ ٧٨.

٧- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤/ ٤٩.

١- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤/ ٥٠..

٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤/ ٤٩.

٣- المصدر نفسه، ٤/ ٤٢.



الحديث الشريف للمتلقى وظيفه تربوية إرشادية، ومع تلك المعاني فقد جمعت الأحاديث الشريفة بين الفنية وتعدد الدلالات، إذ وصلت أحاديث الرسول (صل الله عليه وإله سلم) بوساطة السلسلة الذهبية الأئمة الأطهار عليه السلام إلى الناس مدلية وموضحة ومرشدة ومربية، ودالة ومُخبرة^(٢)، إذ نجد مفهومي الاستباق والاسترجاع في قوله عليه السلام في صفة الدنيا: (تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُوتُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَها ثَوَاباً لأوليائِهِ ولا عقاباً لأعدائِهِ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكِبَ بَيْنَهُمْ حَلَواً إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا)^(٣)، لقد جاءت كل أساليب البلاغة هنا، فقد جاء البديع بمحسناته اللفظية جناساً ناقصاً باختلاف اللفظيين في أنواع الحروف في الوسط، كما في (تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُوتُ)، وجاء البديع بمحسناته المعنوية طباقاً إيجاباً، أي الجمع بين لفظين مثبتين (ثواباً، عقاباً)، وجاء البيان بالكنية عن صفة وأقصد الصفة المعنوية لأنها غرارة وضارة وغير باقية، فهي تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُوتُ، و(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى) لم يَرْضَها ثَوَاباً لأوليائِهِ ولا عقاباً لأعدائِهِ) كناية عن عدم جدواها، ثم جاء التشبيه المرسل ليبين حال الدنيا وعدم ثباتها

بعد السفر استعد^(١)، وقد تحقق التعبير البلاغي جامعاً بين علمي البيان والمعاني، فتحقق الأسلوب البياني بالكنية عن موصوف، وتحقق علم المعاني بأسلوب الشرط الذي قام على أسلوب الفصل، فقد كانت الجملة الثانية (استعد) جواباً للأولى (من تذكر بعد السفر)، فبالوظيفة التربوية أوضح الإمام عليه السلام النتيجة مستقبلياً، فحضر مفهوم الاستباق والاسترجاع وتم المعنى، لأن الثانية المتمثلة بالاستعداد للآخرة كانت نتيجة للأولى التذكّر، أو التذكّر كان سبباً لحصول الاستعداد.

ويأتي مفهوم الاستباق والاسترجاع في الحديث الشريف ومنه كلام الإمام علي عليه السلام ليقدم وظائف تربوية للإنسان، لأن (الإستباق يُخْبِرُ عَنِ الْمَجْهُولِ الْقَادِمِ وَالِإِسْتِرْجَاعُ يَذْكُرُ بِمَا تَمَّ عَمَلُهُ فِي الدُّنْيَا، وَلِكِلِيهِمَا نَتَائِجُهُمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِسَبَبِ أَعْمَالِ الْمَرْءِ، فَمَرَّةً يُحَذِّرُ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ مَنْ عَمِلَ السُّوءَ وَمَا يُلْقِيهِ الْعَمَلُ مِنْ أَعْبَاءٍ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَتَارَةً يُخْبِرُ عَنْ ثَوَابِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، إِذْ يَصْبَحُ الْإِنْسَانُ قِبَالَ حَالٍ تَأْتِي بِالْمُسِيرِ أَوِ الْمَخِيفِ مُسْتَقْبَلًا فَيَرَاجِعُ سُلُوكَهُ الْيَوْمِي بِدَقَّةٍ، فَيَزِيدُ مِنْ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَيُنَاقِشُ الطَّالِحَ، إِذْ يَقْدَمُ

٢- الأداء البلاغي في الحديث الشريف، د. صباح عباس عنوز، مطبعة شركة المارد، النجف الأشرف، ٢٠١٨م، ٣٩.

٣- المصدر نفسه، ٩٦/٤.

١- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٦٨/٤.



الركون إلى الدنيا لأنها تمتلك صفات الغرور ومن نتائجه الضرر وبعد ذلك تمرّ في غير باقية، فالليب من أخذ العبرة، لأنه ﷺ وصف حال أهل الدنيا كمن ركبوا مركبا فإذا وصل محطته صاح بهم السائق وأعلمهم وصول النهاية، فالدلالة الإيحائية في هذا الحديث الشريف تُعلن أن لكل حياة نهاية، ونستشف الوظيفة الإرشادية بضرورة الاتعاظ والنأي عن المهلكات التي تأخذ بالفرد إلى الحساب يوم القيامة.

ومن هذه الخصيصة الجمع بين أساليب البلاغة في كلام الإمام علي ﷺ ومن ثم ارتقاء الكلام إلى مستوى المثل، قوله: (الولايات مضامير الرجال)^(٢) في هذا النص الذي حصل التكثيف في العبارة حتى ارتقى إلى مستوى المثل الصالح لكل زمان ومكان، (المضامير: جمع مضمار وهو المكان الذي تضمّر فيه الخيل للسباق، والولايات أشبه بالمضامير، إذ يتبين فيها الجواد من البردون)^(٣)، فحصل اجتماع علم المعاني بوجود الخبر الابتدائي، أي خلو العبارة من المؤكّدات، مع علم البيان بحضور التشبيه البليغ الذي خلا من الأداة ووجه الشبه، فاخترلت العبارة وتكاثفت حتى صارت مثلاً

على حال معينة، فهي لا تُعرف الاستقرار (وإنَّ أهل الدنيا كركب)، وجاءت الكناية بالتعريض (بيننا هم حلّوا إذ صاح بهم سائقيهم فارتحلوا)، أي تمّ إطلاق الكلام وتمت الإشارة به إلى معنى آخر يفهم من السياق ومن ظرف القول - كما مر سابقاً - بمعنى أن الحياة الدنيا رحلة عابرة لم تثبت على حال، وقد أومأت الدلالة الإيحائية إلى معنى آخر هو يجب على المرء أن يستثمر وجوده في الدنيا لعمل الخير، لأنها كرحلة في ركب مهما كان نوعه، وعند الوصول يصيح بهم الرائد أو السائق فيغادرون المركب، وكذلك حال الدنيا، فنجد التشبيه المرسل والتمثيلي أو تشبيه الصورة لأن وجه الشبه محذوف دائماً و) يأتلف من صفات متمازجة ننتزعها من المشبه والمشبه به ونتخيلها صورة تجمع بينها سواء أكانت هذه الصورة محضة أم عقلية^(١)، وجاء علم المعاني بالخبر الإنكاري الذي تم تأكيداً بأكثر من مؤكّد، وهكذا اجتمعت الأداءات البيانية علم البيان بالكناية والتشبيه والكناية عن الصفة المعنوية وعلم المعاني بالخبر الإنكاري وعلم البديع بمحسناته اللفظية (الجناس الناقص)، وبمحسناته المعنوية طباق الإيجاب، فأنتج اجتماع الأداءات البيانية دلالة إيحائية، وأراد الإمام ﷺ عدم

٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤/ ١٠٢.

٣- المصدر نفسه، ٤/ ١٠٢-١٠٣.

١- البلاغة والتطبيق، ٣٠٤.



العلاقة المجازية وظيفية حملت النصح والإرشاد والتحذير لمن يتأمر على مجموعة في حياته الدنيوية، فعليه أن ينأى عن الظلم والإجحاف بحق المرؤوسين^(٢)

وهكذا أدى قول الإمام علي عليه السلام وظيفة اجتماعية وافية معاً ارتقت بالكلام إلى مثلاً يحاور العقول في كل زمان ومكان.

رابعاً: الانفرادات الإمام علي عليه السلام البلاغية وعلاقتها بالعلوم الأخرى.

هناك علاقة بين انفرادته البلاغية والإعجاز العلمي، فقد وقف عند قضايا علمية منها:

أ- وجود المخلوقات في السماء التي أوما إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِلَىٰ الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(٣) نجد في هذا القول اسم الموصول (مَنْ) الذي يُستعمل للعاقل جاء في الآية المباركة للعاقل وغير العاقل في السماوات والأرض. فالعلماء قالوا السماء أكبر من

يصلح لكل زمان ومكان، أعطت معنى للمسؤول بأن ولايته ميداناً للسباق نحو الصالح من الأعمال، وفعلاً يكون هذا الأمر للذي يعي أهمية المسؤولية وثقل واجبها، لأنه يجب على المسؤول يكون راعياً لرعيته ومؤدياً لأمانته، لذلك قال الرسول الكريم ﷺ: (ما من أمير عشرة إلا وهو يجيء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه حتى يكون عمله الذي يطلقه أو يوقفه)^(١)، فالمجاز هنا مجاز عقلي علاقته باعتبار ما كان في الماضي، (وفيها يتم النظر إلى الشيء بما كان عليه في الزمن الماضي، أي ينطبق عليه مفهوم الاسترجاع، فيحمل هذا المجاز وظيفة تربوية وإرشادية، يراجع السامع نفسه عند سماع هذه الأحاديث ويسهم سماع الحديث الشريف في تهذيب النفس، ولا يقتصر مفهوم الاسترجاع على هذا النوع من المجاز لكنه يتوغل في كثير من أنواع البيان، ومثال هذه العلاقة هنا قول الرسول.. فسماه الرسول ﷺ أميراً باعتبار ما كان عليه في الحياة الدنيا من إمارة، فحققت العلاقة المجازية هنا النظر إليه بما كان عليه في الزمن الماضي، وهنا يراجع المتلقي نفسه إن كان مسؤولاً ليصحح مساره ويعالج هفواته لأن حساباً شديداً ينتظره يوم القيامة، وقد حققت

٢- الأداء البلاغي في الحديث الشريف، ٨٨-٨٩.

٣- مريم ٩٣-٩٦.

١- النهاية، ابن الأثير، ٢-٢٠٧.



السموات وهي ثلاث سموات الأثرية، والغازية المحيطة بالأرض والمادية ويقصد بها الكواكب والنجوم والكواكب السيارة حول الشمس (الزهرة والمريخ والأرض وغيرها)، والدليل على أن السماء أكبر من السموات قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٢)، إذ إنه سبحانه لما جاء ب(السموات) قال: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، فجعل المكان للمتقين وهم قلة، ولما جاء ب(السماء) وهي أعم قال: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، فالمؤمنون أكثر من المتقين، فلا يكون المتقي إلا مؤمناً، أما المؤمن فقد لا يكون متقياً، ثم هناك (سارعوا) تتناسب مع القلة بينما سابعوا تتناسب مع الكثرة لأن الذي يسرع في السباق يفوز، ثم جاء بكاف التشبيه لأن السماء أعرض بكثير من السموات.

عوداً على رؤية الإمام علي عليه السلام والانفراداته بلاغياً في هذا الجانب فهو يؤكد وجود مخلوقات في السماء، فقد قسم الملائكة على أربعة أصناف، تدخل الحذف والتشبيه المقترن بالكناية تعريضاً ليفهم السامع الكلام من فحوى النص، إذ قال عليه السلام: (ثم فتق ما بين السموات العلأ فملاهن أطواراً من ملائكته، منهم سجدوا لايركعون، ورُكوعٌ لاينتصبون، وصافون لايتزايلون، ومسبحون لا يسأمون)^(٣)، ثم إنه عليه السلام أول من نبه في خطبته إلى أن الشمس مصدر الضوء وأن ضوء القمر انعكاس لسقوط أشعة الشمس كما قال العلم به الآن، فضلاً عن إشارته إلى دورة الفلك أو الرقيم الذي هو اسم من أسماء الفلك، فقد قال كناية عن موصوف كلاماً يفهم من السياق) وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمرأ منيراً في فلكٍ دائرٍ، وسقف سائر ورقيم مائر^(٤)، (الرقيم: اسم من أسماء الفلك، لأنه مرقوم بالكواكب ومائر: متحرك، ويفسر الرقيم باللوح، وشبه الفلك باللوح لأنه مسطح فيما يبدو للنظر)^(٥)، وبذلك يُعَدُّ الإمام علي عليه السلام قد نبّه إلى هذه المسألة العلمية مبكراً.

٣- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ١/ ١٩.

٤- المصدر نفسه.

٥- المصدر نفسه، ١/ ١٨-١٩.

١- آل عمران/ ١٣٣.

٢- الحديد/ ٢١.



ب- الاتجاه النفسي والوظائف التربوية:

تطالعنا أحاديث الإمام علي عليه السلام وهي تومئ إلى قضايا نفسية كثيرة، فقد أوضح الجوانب النفسية المتعشقة مع الوظيفة التربوية معاً في أحيان كثيرة، فمن المعروف أن النص البشري (قائم على قوانين لغوية تأخذ دلالاتها من خصائص اللغة المعيارية المرتبطة بالمجتمع، لإتاحة عملية التواصل مع المتلقي)^(١)، إذ تقوم عملية التلقي في وقتها بسبب باعث معين، إذ يُمهّد لها البعد، فتُفصح التواصلية عن غاية المتكلم، أنها تحمل وظيفة إقناعية يرومها المتكلم، وهنا تتم مراعاة مقتضى حال المتكلم والمخاطب معاً، فأياً نص أدبي هادف يحمل قصيدة المتكلم بوصفها ردّ فعل على موقف القائل من واقع المعيشي، وتمثل في الوقت نفسه بوح لوجدان المتكلم، فيتجلّى مفهوم الرّفص أو الاستجابة لأحداث ذلك الواقع، والمتأمل في أحاديث الإمام علي عليه السلام يجد الوظائف التربوية والتعليمية والعلمية والإقناعية والجمالية والنفسية وغيرها مرافقةً لفحوى النصوص، ومنها قوله عليه السلام: (تكلّموا تُعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه)^(٢)،

فهنا إشارة واضحة إلى أهمية بدء الكلام الخارج من المتحدث لأنه يُفصح عن

اهتمامه به أو بالاستهلال، فالتكلم يهتم بما يخرج أول مرة بالكلام الذي يحتمل في صدره، إذ يمثل الاستهلال أول دفقة كلامية، وبالتأكيد هو مهم، وقد أسموه العرب سابقاً بحُسن الابتداء، وهو يمثل البنية الأولى في بناء للنص الأدبي، وقد أكد الإمام علي عليه السلام أهميته قائلاً: (ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفات وجهه)^(٣)، فالاتجاه البلاغي كناية بالتعريض، وادئ كلامه وظائف تربوية، ولكن بين القول أهمية الكلام الذي يعتزل في الصدر، ويحش في إطواء النفس، وإذا تناولنا آراء البلاغيين العرب فقد نجد بعضهم قد خص مصطلح براعة الاستهلال بالمنظوم، وذهب إلى أحسن الابتداءات ماناسب المقصود، وقد وضع البلاغيون شروطاً له، منها: ينبغي أن يأتي بأعذب الألفاظ، وأجزؤها وأرقها وأسلسها، وأحسنها نظماً وسبكاً، وأصحها مبنى، وأوضحها معنى، وأخلاها من الحشو والركّة والتعقيد^(٤)، فالاستهلال يتحد مع حسن التخلص وحسن الانتهاء تحت مظلة الوحدة الموضوعية، وعوداً على قول الإمام علي عليه السلام نجد الرؤية النفسية

٣- نهج البلاغة، ٦/٤.

٤- ظ: خزنة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة

الحموي، القاهرة، ١٤٠٣هـ، ٣. و ظ: أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تحقيق شاكّر هادي

شكر، النجف ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م، ٣٤/١

١- اعجازية التكوين الأسلوبي في النص القرآني، ٢١.

٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٩٣/٤.



تتمثل في عملية الكلم منذ انطلاقتها، لأن بدء الكلام يأخذ بالمتلقي إلى التفاعل النصي، ولا سيما في الاستهلال الذي يراه (جينيت) المصطلح الأكثر تداولاً^(١)، فنجد الكناية بالتعريض (تكلّموا تُعرفوا)، ونجد أيضاً علم المعاني بالخبر الطلبي، لأن المتلقي احتاج إلى مؤكّد فجاءت (إن) (فإن المرء مخبوء تحت لسانه)، وفي الوقت نفسه أدت العبارة وظيفية نفسية تعليمية.

ومن الأمور التي وجدناها في أقوال الإمام عليه السلام وتهدف إلى مراعاة مسألة المتلقي وتنبئ عن اتجاه نفسي قوله: (قيمة كل أمرئ ما يُحسّنه)^(٢)، وعلق الشيخ محمد عبده حول هذه العبارة قائلاً وهذه الكلمة التي لا تُصاب لها قيمة، ولا تُوزن بها حكمة، ولا تُقرن إليها كلمة^(٣)، فالأجاء البلاغي تكون من الأداء البياني متمثلاً بالكناية التعريض وعلم المعاني بالخبر الابتدائي الخالي من المؤكّدات، ومن الانفرادات البلاغية في كلام الإمام علي عليه السلام وعلاقتها بالاتجاه النفسي تمثلت في قوله: (الغيبه جهد العاجز)^(٤)، فالأجاء البلاغي تمّ بالأداء البياني بوساطة التشبيه البليغ، إذ تساوى المشبه (الغيبه)

والمشبه به (جهد العاجز)، وهي إيهامه نفسية واضحة تساوي بين الغيبه وجهد العاجز الذي لا يقوى على فعل قيم الفضيلة، وكذلك جاء الكلام بعلم المعاني بالخبر الابتدائي الذي خلا من المؤكّدات، فهو لا يحتاج إلى ما يؤكّده، لأن الغيبه فعل شين يقوم به العاجز عن فعل الخير، فالعاجز ينتقم من عدوه لأنه لا يقوى نفسياً على مواجهه، لذلك جاء الوصف بالتشبيه البليغ والخبر الخالي من المؤكّدات.

ومن الانفرادات البلاغية في كلام الإمام علي عليه السلام وعلاقتها بالاتجاه النفسي، والذي يقدّم وظائف تربوية قوله: (إمش بدائك ما مشى بك)^(٥)، بمعنى (مادام الداء سهل الاحتمال يمكنك معه العمل في شؤونك فاعمل، فإن أعيالك فاسترح له)^(٦) فبيانياً جاء الكلام بالمجاز العقلي بعلاقة سببية، لأن الكلام جاء من طريق المعنى والمعقول في الجملة (إمش بدائك) وليس من طريق الكلمة في اللغة، هو كناية تلويح تشير إلى غيرك من بُعد في الوقت نفسه، وهو في علم المعاني إنشاء طلبية جاء بفعل الأمر (إمش) الذي خرج إلى النصيح الإرشاد، وبذلك توضح الاتجاه النفسي للسامع وقدّم له وظيفة تربوية

١- ظ: عتبات جيران جينيت من النص إلى المناص، عبد الحق بلعابد، ١١٢.

٢- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١٨/٤.

٣- المصدر نفسه، ١٨/٤.

٤- المصدر نفسه، ١٠٦/٤.

٥- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٦/٤.

٦- المصدر نفسه، ٦/٤.



تحتله على كتمان ما يتعرض له مادام الأمر سهلاً، فإن أتعبه فعليه أن يستريح، لكي لا يكون أحدوثةً للآخرين.

ويدخل ضمن الاتجاه النفسي قوله عليه السلام: (أفضل الزهد إخفاء الزهد)^(١)، فهنا خبر ابتدائي بالنسبة لعلم المعاني، وكناية بالتعريض عن عدم التبجح بالنفس، وهنا بديع بالجناس، فأدى كلامه وظيفة نفسية تربوية، كالتي نتلمسها في قوله: (ثَمَرَةُ التَّفْرِيطِ الدَّامَةُ، وَثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلَامَةُ)^(٢)، فبالكناية تعريضاً، وبعلم المعاني بالخبر الابتدائي، قد حث على النأي ومغادرة التفريط في كل جوانب الحياة فحصيلته ذلك الندم، في حين ترافق السلامة التائي، وهذه وظيفة تربوية تدخل ضمن الاتجاه النفسي في أقواله عليه السلام، ومثل ذلك قوله: (رب قول أنفذ من صَوْلٍ)^(٣) هنا كناية عن موصوف، فالصول: السطوة، وهي إيماء لرؤية نفسية تؤكد سطوة القول أحياناً، فعلى المتكلم مراعاة حال السامع.

ج- الانفرادات الاتجاه البلاغي والعلوم النقدية الحديثة:

البلاغة تغور في طي الأزمان، ويكفي أن نقف على قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (٤٠هـ) عندما عرّف البلاغة، فهو أول من عرّفها بقوله: (البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة وإبانة عن مشكل)^(٤)، وعرّف البليغ: (ما رأيت بليغاً قط إلا وله في القول إيجاز وفي المعاني إطالة)^(٥)، وقد أوماً ضمناً إلى التعبير حين قال: (البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة وإبانة عن مشكل)^(٦)، فالإفصاح يقوم على آليات التعبير للقول ومن ثم تتبعه الإبانة، ونجد الأمر نفسه عند الإمام الحسن عليه السلام (٥٠هـ) حين عرف البلاغة بـ (تقريب بعيد الحكمة بأسهل العبارة)^(٧)، وعرّفها أيضاً: (البلاغة إيضاح المتبسات وكشف عوار الجهالات بأسهل ما يكون من العبارات)^(٨)، ومن ثم عرف علماء البلاغة بعد الإمام علي عليه السلام، فهو يعد الرائد في ذلك، إذ وجدنا له تعريفين مختلفين ومثال على ذلك الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فهو في الأول نشد الوظيفة التعليمية وتمسك بالناحية النافعة من القول، فلم يخرج البلاغة عن

٤- كتاب الصنائع، ٥٨.

٥- م، ن، ١٨٠.

٦- كتاب الصنائع، أبو هلال العسكري، تحقيق

محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢،

القاهرة ١٩٧١م، ٥٨.

٧- م، ن، ٥٨.

٨- م، ن، ٥٨.

إذا أوغلنا في الموروث العربي نجد جذور

١- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٦/٤.

٢- المصدر نفسه، ٤٣/٤.

٣- المصدر نفسه، ٩٤/٤.



بالخط، حين تحدث عن دلالة البيان على المعاني، فحدد مدلوله وفصل أدواته فرآها خمسة أشياء وهي: اللفظ والإشارة والعقدة والخط ثم الحال التي تُسمى نُصبة^(٤)، وإذا دققنا في المعجمات العربية نجد إشارة إلى هذا المعنى لاحقاً، فقد رأى ابن فارس (٣٩٥هـ) لفظة (سوم) تدل على معنى (العلامة تجعل في الشيء، والسيما مقصور من ذلك، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٥)، فإذا مدوه قالوا السيمياء)^(٦)، ويقال: {إن أصل (اسم) سمو، وهو من العلو لأنه دلالة على المعنى، فهي تدل على أثر ومعلم تقول (وسمت الشيء وسمًا: أثرت فيه بسمة، والوسمي أول المطر، لأنه يسم الأرض بالنبات، وسمي موسم الحاج موسوماً لأنه معلم يجتمع إليه الناس، وفلان موسوم بالخير، وفلانة ذات ميسم، إذا كان عليها أثر الجمال، والوسامة: الجمال، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾

^(٧) ^(٨)، وقال ابن الأنباري (٣٢٨هـ) في قولهم (سيما فلان حسنة): (معناه علامته،

٤- ظ: فنون بلاغية، د. أحمد مطلوب، ١٥-٢٠، وظ: مصطلحات بلاغية، د. أحمد مطلوب، ٦٩-٧٤، وظ: البلاغة والتطبيق، ٢٥٤.

٦- مقاييس اللغة، ٣/ ١١٩.

٧- الحجر/ ٧٥.

٨- ظ: مقاييس اللغة، ٣/ ٩٨-٩٩.

معناها اللغوي (الإفصاح والإبانة)، أما في التعريف الثاني فقد أشار إلى قضية من صميم خصائص اللغة ويعتمد في تعريفه على إبراز طاقة من طاقاتها الكامنة وهي (الطاقة الإيحائية)^(١). فضلاً عن ذلك فقد تحدّث عن قضايا تمس شغاف العلم والنقد وغير ذلك.

فمثلاً تحدثت المصادر النقدية عن نظرية العلامة، وأرجعتها إلى نقاد غربيين في العصر الحديث كما سنرى لاحقاً، ولكن الباحث الفطن المتأمل يجد الأمر ليس كذلك، فإنه في حقيقة الأمر أن معنى العلامة أو ما يدل عليه ورد في القرآن الكريم إذ جاءت لفظة (سيماهم) في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾^(٢)، وإذا تتبعنا أصولها في الموروث النقدي العربي وجدنا الامام علي عليه السلام قد ذكرها لفظاً في قوله: (الخط علامة، فكلما كان أبين كان أحسن)^(٣)، فكان التشبيه بليغاً، وأرى هذا النص أول إشارة إلى أهمية موضوع العلامة التي تؤكدتها النظرية السيميائية، فهو أول مَنْ أطلق هذا المصطلح فجعل الخط علامة فسماها صراحة، ولم يذكر البلاغيون ذلك، بل نسبوا هذا الأمر للجاحظ (٢٥٦هـ) بأنه أول من قال

١- ظ: التفكير البلاغي عند العرب، ١١٤.

٢- الفتح/ ٢٩.

٣- كنز العمال، ١٠/ ٣١٢.

بالعلاقات التي تربط سدى النص وتتبع نظاما معنا تكون فيه الكلمة على علاقة مع الكلمات السابقة واللاحقة لها، فيكون لها إسهامها في تكوين المعنى ترتيبا وعلاقته، ويرى الكلمات خزينا لغويا يكون لغة كل متكلم^(٤)، وهكذا تمنح العلامة التعبير أهمية بوصفها كلمة أو رمزاً في السياق لأنها (تضيء السياق دلاليا بانضمامها إليه، فهي تقوم على الأبعاد الدلالية أي: علاقتها بما تدل عليه، والتركيبية أي: قدرتها على الانطواء داخل مقاطع النص، والتداولية أي: بما تقدمه من معنى من خلال وظيفتها اللغوية، ويتحقق ذلك حين تكون الكلمة مختارة بعناية، فيؤدي التحام وجودها بالتكثيف الدلالي معنى فنيا مقصود الوظائف، وهذا ما ألفناه في الحديث الشريف)^(٥)، قال الإمام علي عليه السلام: (وَأَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى)^(٦)، بمعنى: (المُنَى - بضم ففتح - جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان)^(٧)، لقد تعدد وظائف التعبير في كلام الإمام علي عليه السلام، وتتجلى التواصلية مقرونة بالتفاعل مع المتلقي لتعليمه تبصيره بأمور الدنيا، وفي هذا النص جاء التعبير قائما على الجمع بين

وهي مأخوذة من وسمت الشيء أَسْمُهُ إذا أعلمته.. قال الشاعر:

غلام رماه الله بالحسن مقبلا
له سيمياء لا تشقُّ على البصر

كأن الثريا علقت فوق نحره
وفي جيدة الشعرى وفي وجهه القمر

فزاد على (سيما) ألفاً ممدودة، ومعنى الحرف في مده كمعناه في قصره)^(١) وبهذا المعنى تلتقي الرؤية المعجمية العربية مع الرؤية الأجنبية، ويرى باحث هذه الرؤية ترجع إلى النواة اللغوية اليونانية القديمة^(٢)، ومهما يكن من أمر فالعلامة مفهوم يستعمل من أجل نقل معلومة أو قول أو إشارة إلى شيء ما، وهي تعد جزءاً من سيرورة إبلاغية تُدرك في حدود وجود سنن ثقافية، وتتكون من عنصرين: (المدال والمدلول) ويشكل ذلك كنه المعنى، إذ يرى (سوسير) هناك وحدة أساسية للبنية اللسانية وهي التي تصنع النسق ويطلق عليها اسم (العلامة sign)، وتعني اتحاد المدال والمدلول^(٣). لقد اهتم (دي سوسير)

المطليبي، بيت الموصل، ١٩٨٨م، ٨٤.

٤ - ظ: علم اللغة العام، ١١٨.

٥ - الأداء البلاغي في الحديث الشريف، ٤٢-٤٣.

٦ - نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤/٤٨.

٧ - المصدر نفسه، ٤/٤٨.

١ - الزاهر في معاني كلمات الناس، ٢/١٤٥.

٢ - ظ: السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو ايكو، ٣٩.

٣ - ظ: علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة يوثيل يوسف عزيز، مراجعة مالك يوسف



علم المعاني بالخبر الابتدائي الذي خلا من المؤكدات، وبين البديع بالجناس الناقص الذي اختلف الحرفان في الوسط الغين والميم (الغنى، المنى)، وبالكناية تعريضاً، إذ يفهم الكلام من السياق، فتم الجمع بين الوظائف التربوية والاتجاهات البلاغية، فحث التعبير المتلقي على تفعيل العقل والتأمل والمقارنة ومن ثم التدبر في أمره، حتى يختار المسار الصحيح في حياته، فكانت الكلمة علامة في التعبير منحت السياق معاني إيجابية، ونجد الأمر نفسه في قول الإمام علي عليه السلام: (بَقِيَّةُ السَّيْفِ أَبْقَى عَدَدًا وَأَكْثَرُ وَلَدًا)^(١) بمعنى: (بقية السيف هم الذين يبقون بعد الذين قتلوا في حفظ شرفهم ودفع الضيم عنهم، وفضلوا الموت على الذل، فيكون الباكون شرفاء نجداء، فعددهم أبقى وولدهم يكون أكثر، بخلاف الأذلاء فإن مصيرهم إلى المحو والفناء)^(٢)، نشاهد الاتجاه البلاغي قد رسم بعلم البلاغي بالخبر الابتدائي، وبعلم البيان بالكناية تعريضاً، فكانت كلمة (السَّيْفِ) علامة دارت حولها دوائر المعنى، وقدمت بانضمامها للسياق معنى تجلّى فيه مفهوم الاستباق والاسترجاع بالمعنى، لأنهم فضلوا الموت على الذل في حينه، فكانت الأفضلية لهم مستقبلاً،

فعدد ذريتهم أبقى وأكثر، بخلاف الطرف المعاكس فأن مصيرهم آيل أي الزوال. ومن ذلك قوله عليه السلام: (عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنُطُ وَمَعَهُ الْإِسْتِغْفَارُ)^(٣)، فالإستغفار درع حصين للمستغفر، إذ ورد عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: {كَانَ فِي الْأَرْضِ أَمَانٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمْ الْآخَرُ فَتَمَسَّكُوا بِهِ. أَمَّا الْأَمَانُ الَّذِي رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَّا الْأَمَانُ الْبَاقِي فَلَا إِسْتِغْفَارَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٤)، (وهذا من محاسن الإستخراج ولطائف الإستنباط)^(٥)، وعوداً على قول الإمام علي عليه السلام فإنه تعجّب من الذي ييأس ومعه التوبة، فعلى الإنسان أن لا ييأس من لطف الله ورأفته، وقد جاء الاتجاه البلاغي جامعاً بين علمي المعاني بالخبر الابتدائي، وعلم البيان بالكناية تعريضاً، إذ يفهم الكلام من السياق، فحقق التعبير وظائف نفعية للسامع، إذ نجد دائماً الوظائف الإرشادية وغيرها في الحديث الشريف، فضلاً عن ما تحقّقه (من وظائف جمالية ودلالية وإيجابية، وصلت السمة الفنية في الحديث الشريف

٣- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١٩/٤.

٤- الأنفال/٣٣.

٥- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده،

١٩/٤ - ٢٠

١- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١٩/٤.

٢- المصدر نفسه، ١٩/٤.



بها آثار الأدب وتأثيره في قرائه^(٢)؛ لأن دراسة عملية الإبداع أو دراسة الأنماط التي تدرس في العملية الإبداعية تهتم بدراسة فرعين هما: السايكلوجية والفن. إذ تتكون الأنماط من السايكلوجية التي نستشفها من تأثير الرواية في المجتمع والفن، وهما اتجاهان تربويان ملازمان لدراسة الأدب^(٣)، فهناك علاقة بين الأدب والمجتمع والنظرية الأدبية، لأن الأدب مؤسسة اجتماعية أداته اللغة التي هي من صنع المجتمع، فضلاً عن الوسائل التقليدية فهي اجتماعية في صميم طبيعتها^(٤)، ثم يأتي الأدب والأفكار بما يتضمنه الشكل من معنى مؤثر، فعلى الدارس للأدب من الداخل، أي المضمون أن يعرف ما يتضمنه من موضوعات مختلفة الأغراض، لأن المتكلم يقصد حضورها في نصه.

وقد أخذ الدرس التربوي في أقوال الإمام علي عليه السلام حيزاً مهماً، إذ نجد الوظيفة التربوية تعضد الجانب الأخلاقي كثيراً، ومن ثم فإن هذا الاهتمام يقدم وظيفة نفسية للسامع، فقد قال عليه السلام: (لا طاعة

٢- ظ: نظرية الأدب، أوستن وأرين، رينيه ويلييك، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، مطبعة الطرايشي، ١٣٩٢ هـ، ١٩٧٢ م، ١٠١.

٣- المصدر نفسه، ١٠١.

٤- المصدر نفسه، ١١٩.

عبر الأداء البلاغي بأنواعه إلى أقصى طاقاتها، جامعة غرض القول والمواءمة بينه وبين انتقاء النوع من الأداء البلاغي مرة، والجمع بين أداء بلاغي وآخر من أساليب البيان أو علم المعاني أو البديع مرة أخرى من دون أن يؤثر ذلك في دلالة الحديث الشريف المقصودة^(١)، فكانت كلمة (الإِسْتِغْفَارُ) علامة، لأن المعنى تم بها، فقوله عليه السلام: (عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ...) أي شيء؟ يأتي الجواب (الإِسْتِغْفَارُ)

فكانت الكلمة علامة، لأن العلامة مفهوم يستعمل من أجل نقل معلومة أو قول أو إشارة إلى شيء ما، وتتكون من اتحاد الدال والمدلول في إطار النسق ليتشكل بذلك صميم المعنى، وهكذا شاهدنا الكلمات في الأحاديث الشريفة قد منحت النصوص دلالات يحائية.

د- الاتجاه الأخلاقي وترويض النفس.

يظهر مفهومان في عملية الإبداع الأدبي هما سيكلوجية الأدب و سيكلوجية الجمهور، ونعني بسيكلوجية الأدب الدراسة النفسية للكاتب بوصفه نموذجاً وفرداً، أو دراسة عملية الإبداع، أو دراسة الأنماط والقوانين التي توجد في الأعمال الأدبية، أمّا سيكلوجية الجمهور فنعني

١- الأداء البلاغي في الحديث الشريف، ٤٢-٤٣.



لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ^(١)، فنجد الاتجاه الأخلاقيَّ يركّز على تربية النفس وحثها على طاعة الله سبحانه وتعالى، فطاعته عز وجل لا تدانيها أي طاعة، فكيف إذا كان الإنسان مطيعاً للإنسان آخر وهو في خضم المعاصي، وأن هذا المخلوق على علم بذلك. فالنهي هنا جاء على وجه الاستعلاء والإلزام، فاتفق مع الأمر في الاستعلاء واختلف معه بأنه دال على المنع، بينما يدل الأمر على الطلب، وفي موضع آخر قال ﷺ: (مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتْ الْخَيْرَةُ بِيَدِهِ)^(٢)، بمعنى (لو أسرَّ عزيمة فله الخيارُ في إنفاذها أو فسخها، بخلاف ما لو أفشاها، فربما ألزمته البواعث على فعلها أو أجبرته العوائق التي تعرض له على فسخها، وعلى هذا القياس)^(٣)، فقد تحقق المعنى باجتماع أسلوب علم المعاني بأسلوب الشرط، وعلم البيان بالكناية تعريضاً، وتجلّت الوظيفة التربوية والنفسية معاً، ومن ذلك قوله ﷺ في وصيته لمحمد بن الحنفية: (أَلِقْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهَمُومِ بَعَزَائِمِ الصَّبْرِ فَنَعَمْ الْخُلُقُ الصَّبْرُ، وَاحْمِلْهَا عَلَى مَا أَصَابَكَ مِنْ أَهْوَالِ الدُّنْيَا وَهَمُومِهَا)^(٤)، فقد خرج الإنشاء الطلبي بأسلوب الأمر إلى غرض

مجازي هو الوجوب أي كان أمراً واجباً، فقد قال تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٥).

ومن الاتجاه الأخلاقي في تربية النفس وترويضها نطالع التفاتات الإمام علي عليه السلام العلمية التي تؤكد الاتجاه الأخلاقي في تربية النفس وترويضها، وقد نظرت إليها العلوم التربوية بأن محاسبة النفس أجدى نفعاً من محاسبة الآخرين، لأن تقويم الفرد لنفسه وتنقيفها من الاعوجاج يبدأ من نفسه، إذ إن محاسبة النفس أقوم وأجدى قال ﷺ: (مَنْ أَصْلَحَ سِرِّرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَاقَتَهُ، وَمَنْ عَمَلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ. وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ)^(٦)، فإصلاح سريرة: اسم وجمعها سرائر، السريرة: مَا يُكْتَمُ وَيُسْرُّ، وطيب السريرة: طيّب القلب، صافي النيّة^(٧)، يؤدي فتعاقد علما المعاني بأسلوب الشرط، وعلم البيان بأسلوب الكناية في إظهار المعنى، وجاءت الوظيفة التربوية واضحة، لأن معاينة الإنسان لتصرفاته ومحاوره نفسه في كل سلوك أفضل وأصوب في تقويم بنائه النفسي والأخلاقي الإيجابي.

١- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤/ ٤١.

٢- المصدر نفسه، ٤/ ٤١.

٣- المصدر نفسه، ٤/ ٤١.

٤- الوسائل ج ١١/ ٢٠٨ ح ٣.

٥- آل عمران/ ٢٠٠.

٦- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٤/ ٩٩.

٧- ظ: معجم المعاني الجامع.



والوظيفتان التربوية التعليمية والنفسية، حتى يعي المتكلم أهمية نشر العلم، إذ إن (بذل العلم زكاة العلم)^(٦) و (زكاة العلم نشره)^(٧)، فيجب أن لا يقف العلم على اللسان.

ومن الانفراداته البلاغية التي تنضوي تحت الاتجاه الأخلاقي في تربية النفس ملاحظة ظاهرة يقوم بها المدعون، المتبجحون بالعلم، الممتثلون فراغاً، إذ وصفهم إمامنا عليه السلام قائلاً: (رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ)^(٨)، أي (هو العالم الذي يحفظ ولا يدري، أو يعلم ولا يعمل، أو ينقل ولا بصيرة له)^(٩)، فالاتجاه البلاغي لهذا القول كناية عن ما ورد.

عدم السكوت عن قول الحق من انفراده البلاغية الوصف الذي يرتقي إلى مستوى المثل والصالح لكل زمان ومكان، مثل: وصفه الساكتين عن الحق، فمثلاً جاء قوله عليه السلام بالتشبيه والكناية والبديع معاً، فأصبح الكلام مثلاً يصلح لكل زمان ومكان: مثل قوله واصفاً البرج بن مسهر الطائي: (فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ ضَيْلًا شَخْصُكَ، خَفِيًّا صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا

ومن الاتجاهات الأخلاقية المهمة في تربية النفس وحثها على عدم التقهقر أمام قول الحق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْسُؤُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾^(١)، أي لا تخطووه به، وقد قال الإمام عليه السلام في موضع آخر بالخبر المؤكد والكناية تعريضاً: (لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ وَلَا يُضَارِعُ وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ)^(٢)، فالمعنى (لا يصانع أي لا يداري في الحق، والمضارعة المشابهة، والمعنى أن لا يشتهه عمله بالمبطلين، واتباع المطامع الميل معها المطامع وإن ضاع الحق)^(٣).

فقد تحدث الإمام علي عليه السلام عن المرائين الساكتين عن قول الحقيقة العلمية، الذين يتلفظون بها ولا تظهر في سلوكهم، إذ قال عليه السلام: (أَوْضَعَ الْعِلْمَ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ)^(٤)، فالمعنى: (أوضع العلم أي أدناه ما وقف على اللسان ولم يظهر أثره في الأخلاق والأعمال، وأركان البدن أعضاؤه الرئيسة كالقلب والمخ)^(٥)، فأظهر الوظيفة التربوية مميزة مهمة ينبغي أن تتمثل في أخلاق القائل وأعماله، فهنا بيان بالتشبيه التمثيلي وعلم المعاني بالمساواة، وتمت

١- البقرة/ ٤٢.

٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٢٦/٤.

٣- المصدر نفسه، ٢٦/٤.

٤- المصدر نفسه.

٥- المصدر نفسه، ٢٠-٢١.

٦- غرر الحكم، ٤٤٣٦.

٧- المصدر نفسه.

٨- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٢٥/٤.

٩- المصدر نفسه، ٢٥/٤.



نَعَرَ الباطل نَجَمَتْ نُجُومٌ قَرْنَ الماعزِ^(١)، أي كناية عن هزولك وضعفك في قول الحق، وتشبيها إذا نَعَرَ الباطل أي صاح، ونجمت: ظهرت وبرزت، والتشبيه بقرن الماعز التي تظهر فجأة على غير شور^(٢)، ثم تجدد الطباق في: ظهر خفي والجناس في نجمت ونجوم، لأنه ﷺ أكد في موضع آخر بالخبر والكناية (مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ)^(٣)، فتجلى الاتجاه الأخلاقي في تربية النفس وترويضها في أقواله، وكثيرة أحاديثه ﷺ في هذا الجانب، فقد يطول الكلام عنها، وليس بمقدور أحد أن يلّم بالانفراداته في هذا الجانب أو غيره، مالم تنبري مؤسسات مكونة مجموعات من الباحثين ليدرسوا كلامه على وفق منهج علمي رصين.

هـ - الانفرادات الاتجاه البلاغي وعلاقته بالتأمل الفكري وأنواع الدلالة وفنية القول:

إن فهم النص من حيث طبيعته الخاصة وعلاقته العامة بوظيفة القول يرتبط بإعمال الفكر وصولاً إلى المراد، إذ إن الوظيفة الأولى والرئيسة للنص يجب أن يحقق القصديّة على وفق مراد المتكلم،

١- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٢/ ١١٤-١١٥.

٢- ظ: المصدر نفسه، ٢/ ١١٤-١١٥.

٣- المصدر نفسه، ٤/ ٩٥.

ومن هنا يأتي التأمل الفكري مهما لأنه يلج إطواء النص بحثاً عن غاية المتكلم، فبالتأمل الفكري يتم فهم المضمون، معرفة مكونات الشكل بجوانبه الفنية ومعرفة الأجناس الأدبية، والصياغة، ومن ثم فهم الغاية المركزية للنص الأدبي بوصفه يُسهم في حل إشكالات المجتمع وإشكالات الإنسان، فتأتي الدلالات بأنواعها، لتسهم في عملية تصوير الفكر والوصول إلى قصيدة المتكلم، مثل:

١- الدلالة الصوتية والإيقاع: التي تعمل مُؤاءمة بين التكوين الأسلوبي للنص وبين حروف البناء الخاص بالكلمة من خلال وجودها في السياق إذ تستمد الدلالة الصوتية نغمتها وجرسها من طبيعة الأصوات، فتوحي بوقع موسيقي خاص يُستنبط من ضم الحروف بعضها إلى بعض، فتعطي الحروف مجتمعة لفظاً موسيقياً خاصاً يمنحها الخصوصية بجرسها الخاص المؤثر في الحس والوجدان، إذ لا يمكن لأي ناقد تجاهل دوراً للموسيقى في عملية الإبداع؛ لأنّ التشكيل الموسيقي في مجمله يخضع مباشرة للحال النفسية والشعورية التي يصدر عنها النص، وفي هذا الاعتبار (صورة موسيقية متكاملة تتلاقى فيها الأنغام وتفترق، محدثة نوعاً من الإيقاع الذي يساعد على تنسيق



مشاعره وأحاسيسه^(١)، وبذلك ترتبط الموسيقى في أي نص (ارتباطاً وثيقاً بحركة النفس وتموجاتها، وبحركة الانفعال وذبذبته)^(٢)، لأنّ المنشئ يستعمل الكلمات (استعمالاً خاصاً من شأنه ان يبرز جوانبها الوجدانية ومضامينها العاطفية، ويمكن ان يصل إلى هذه النواحي عن طريق دراسة صلة الكلمات بمدلولاتها الاجتماعية، فللكلمات لها معانيها ومغزاها، وتفاعلها مع نصوصها التي وجدت فيها تتضح لنا قيمتها الوجدانية فضلاً عن مضمونها الفكري)^(٣)، لأنّ اختيار الكلمات يخضع لسيطرة شعور، وبذلك تكون الوحدة الحيوية نتاج التحام المشاعر مع الدلالات الخارجية لمفردات في النص؛ وبذلك قال هيجل (إن العمل الفني يؤلف بين عناصر عقلية وعناصر حسية، ومن ثم فإنّ الفنان يستعين بعقل إيجابي نشط وحساسية حية عميقة)^(٤)، ويحاول المتكلم الحفاظ على وحدة النص منذ بدء انطلاقه في الفعل الإبداعي على الرغم

من مهاجمة الأفكار لذاكرته، وذلك من خلال إقامة العلاقات بين عناصر النص، وبذلك يكون حضور الشعور المكثف طاقة أخرى يوظفها المتكلم للحفاظ على تماسك وحدة النص، وعن طريق التداعي ينزع المنشئ إلى الحصول على كمية كبيرة من الشعور يودعها نصه، لأنّ التداعي نتيجة تطرأ بعد التفاعل بين النفس والوقائع الخارجية وما يقفز إلى الذهن من رؤى؛ لأنّ (ما يقوم به التداعي هو أشبه ما تقوم به الجاذبية في الموجودات المشتتة حيث يقوم بعملية الاستدعاء اللاشعوري لمحتويات الذات الكامنة)^(٥)، وعن طريق التوليد للأفكار وتفاعلها مع نفسية المتكلم تتحقق وحدة الشعور اللوني، فهي تتأسس على تلازم وتكاثف الأجزاء الشعورية الحاصلة من انسجام العواطف مع الأفكار، فالدلالة الصوتية تثمر إيقاعاً يحقّق مؤاممة بين التكوين الأسلوبى للنص وبين حروف البناء الخاص بالكلمة من خلال وجودها في السياق، إذ تستمد الدلالة الصوتية نغماتها وجرسها من طبيعة الأصوات الداخلة في إطواء السياق المختار لحمل الدلالة، وسنرصده هذه الفكرة في أحاديث الإمام علي عليه السلام، فلتأمل قوله: (سُوسُوا إِيْمَانَكُمْ

٥- تداعي الوعي في الشعر الجاهلي، ناصر اسطنبول، جامعة وهران، الجزائر، ١٩٨٦م: ١٦٨

- ١- الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، ٦٣
- ٢- لغة الشعر العربي الحديث، د. السعيد الورقي، ٢٣٣
- ٣- عضوية الموسيقى في النص الشعري، عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الأردن، ط ٢، ١٩٨٥م، ٣٦.
- ٤- الأسس النفسية للإبداع الفني، د. مصطفى يسوف، ١٨٨



بِالصَّدَقَةِ - وَحَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ
وَأَدْفَعُوا - أَمْوَاجِ الْبَلَاءِ بِالْدُّعَاءِ^(١)، فمن
الانفرادات الإمام عليه السلام في الاتجاه البلاغي
أنه جمّع بين الفنية والوظيفة الإفهامية
والإرشادية في عملية التلقي ومراعاة
وظائف الكلام، فخرج الأمر مثلاً إلى
النصح والإرشاد، فنجد أساليب البلاغة
حاضرة بعلم البديع جناساً، وبعلم البيان
بوساطة الكناية تعريضاً، وبعلم المعاني
بوساطة الإنشاء الطلبي بفعل الأمر
الذي خرج إلى النصح والإرشاد بأفعال
الأمر: (سُوسُوا، وَحَصَّنُوا، ادْفَعُوا) فقدّم
الغرض المجازي وظيفه تربوية إفهامية،
وقال عليه السلام: (مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الْإِعْتِبَارَ)،
فنجد هنا المواءمة حاضرة بين سياق
النص وحروف الكلمات التي قام عليها
بناء الجملة، فاكسبت الدلالة الصوتية
نغمتها وجرسها وأوحت بوقع موسيقي
خاص، عمله تكرار الراء (الْعِبَرَ،
الْإِعْتِبَارَ)، فكان علم البدع حاضراً
بالجناس الناقص، أي اختلاف اللفظين
في أعداد الحروف، وبالتضاد أو طباق
الإيجاب وهو الجمع بين لفظين مثبتين
متضادين في كلمتي (أَكْثَرَ وَأَقَلَّ)، حضر
علم المعاني بالإنشاء غير الطلبي بوساطة
أسلوب التعجب، بصيغة (ما أفعل) (مَا
أَكْثَرَ وَأَقَلَّ الْإِعْتِبَارَ)، فأعطت الحروف

مجتمعة لفظاً موسيقياً خاصاً منح التعبير
خصوصية اتسمت بجرسها الخاص المؤثر
في الحس والوجدان، فتجلّت الانفرادات
الاتجاه البلاغي وتوضّحت علاقته بالتأمل
الفكري والدلالة الصوتية، وانعكس ذلك
على فنية القول.

٢- الدلالة الاجتماعية: وهي الدلالة التي
تستقل بها الكلمة عما سواها بما توحيه
من فهم خاص بها، أي هي دلالة لغوية
في حدود العُرف العام بما يكون متبادراً
إلى الذهن منها عند الإطلاق وقد يطلق
عليها اسم الدلالة المركزية التي يسجلها
اللغوي في معجمه فمرجعها التبادر العام
في العُرف العربي بما يعطي للكلمة من
دلالة خاصة، إذ قال عليه السلام: (أَيُّهَا النَّاسُ
شُقُّوا أَمْوَاجِ الْفِتَنِ بِسُفَنِ النَّجَاةِ..)^(٢)

فدلالة الاستعمال اللفظي (أَمْوَاجِ
وَسُفَنِ) دلالة اجتماعية إذ تأتي كلمة
(أَمْوَاجِ) في مناط استعمال كلمة (البحر)،
ولكن الموقف هنا أخذ حكمةً ووظيفة
تربوية وفنية، فالتربوية تمثلت بالنصح
والإرشاد، والفنية تمثلت بالعدول
حين عدلت الكلمتان (أَمْوَاجِ وَسُفَنِ)
بإضافتهما (أَمْوَاجِ الْفِتَنِ، سُفَنِ النَّجَاةِ)
فحصل انزياح أنتج صورةً فنيةً قامت
على الانفرادات الاتجاه البلاغي الذي

١- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤ / ٣٥.

٢- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١ / ٤٠.



فكلمة (الحِلْمُ) لها دلالة اجتماعية، أي لها استعمال لفظي خاص، ولكنها في مناسبات استعمال آخر، أي أن (حُلِقَ الحِلْمُ) يجمع إليك من معاونة الناس لك ما يجمع لك بالعشيرة، لأنه يوليكم محبة الناس فكأنه عشيرة^(٢)، لأن معنى الحِلْمُ: الأناة وضبط النفس والعقل، وجمعه: أحلام وحلوم^(٣)، فالْحِلْمُ: خلاف الطيش، وهو ضبط النفس والتحكم بها في لحظات الغضب، ولأهمية الحِلْمُ فقد اشتقت منه صيغة الحليم وصارت اسماً من أسماء الله الحسنى، وعوداً على قول الإمام علي عليه السلام: (الحِلْمُ عَشِيرَةٌ) نجد العبارة ارتقت إلى مستوى المثل وصارت حكمة، فكانت وظيفة النص تربوية وفنية في آن واحد، فالتربوية تمثلت بالنصح والإرشاد، والفنية تمثلت بالعدول حين عدلت الكلم (الحِلْمُ) أي معنى آخر فحصل انزياح أنتج صورة فنية قامت على الانفرادات الاتجاه البلاغي الذي قامت تكويناته الأسلوبية على علم البيان بتشبيه البليغ المركب من العقلي والحسي، وبعلم المعاني بوساطة أسلوب الخبر الابتدائي فضلاً عن حضور علم البديع بالتورية في كلمة (الحِلْمُ)، لأنه ظهر معنى آخر لها كانت دلالاته خفية فاحتاجت إلى تأويل وتأمل

قامت تكويناته الأسلوبية على علم المعاني بأسلوب الإنشاء الطلب، فكان النداء ب(أي) المضافة إلى المخاطب، ثم فعل الأمر (شُقُّوا) الذي خرج إلى غرض مجازي هو النصح والإرشاد، فضلاً عن حضور علم البيان بالكناية تعريضاً، وعلم البديع بالتورية في عبارة (أمواج الفتن يسفن النجاة)، إذ ظهر معنى كانت دلالاته خفية احتاجت إلى تأويل وتأمل فكري، فأسهمت الاتجاهات البلاغية في تفعيل التأمل الفكري وكانت المهيمنة فيه الدلالة الاجتماعية، فانعكس هذا الأمر بتفاصيله على فنية القول.

فمن الدلالة الاجتماعية الانفرادات الاتجاه البلاغي في نصوص الإمام علي عليه السلام المعبرة عن الحال النفسية والمؤدية إلى وظائف اجتماعية، بوساطة الدلالة الاجتماعية، وهي دلالة لغوية في حدود العُرف العام بحسب يتبادر إلى ذهن المتلقي عند إطلاق اللفظ، أي هي الدلالة المركزية التي تستقل بها الكلمة عما سواها بما توحيه من فهم خاص بها، كما في قوله عليه السلام: (الحِلْمُ عَشِيرَةٌ)^(١)، فهنا تكثيف الكلام بأداء بلاغي تم بتشبيه البليغ المركب، فالمشبه عقلي (الحِلْمُ) والمشبه به حسي (عَشِيرَةٌ)، وتم بعلم المعاني بوساطة الخبر الابتدائي، إذ خلا من المؤكدات،

٢- نفس المصدر.

٣- معجم المعاني الجامع (الحلم).

١- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٩٨/٤.



فكري، فأسهمت الاتجاهات البلاغية في تفعيل التأمل الفكري وكانت المهيمنة فيه الدلالة الاجتماعية، فانعكس هذا الأمر هذا بتفاصيله على فنية القول، ولأهمية (الحلم) فقد جاءت مفردة حليم (خمس عشرة مرة) في القرآن الكريم اقترنت منها بالمغفرة والعلم والرشد والغنى والشكر والإنابة (أواه منيب) أي دعاء مترحم، قال تعالى: ﴿إِنْ تُقْضُوا إِلَهُ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفَهُ لَكُمْ وَغَفَرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١)، ولأهمية الحلم أيضاً فقد قال الإمام عليه السلام في موضع آخر قال أيضاً: (الحلم غطاء ساتر، والعقل حاسم قاطع)^(٢)، بأسلوب البيان بوساطة التشبيه البليغ المركب من العقلي والحسي، وبعلم المعاني بالخبر الابتدائي، فتحققت الدلالة الاجتماعية عندما استقلت بها كلمة (الحلم) بما منحته من إيجاء وفهم خاص بها في هذا السياق لغوياً في حدود العرف العام، وعلى وفق ما تبادر إلى الذهن من معنى يخص السياق هذا، فكانت الدلالة المركزية منحت مفردة (الحلم) دلالة خاصة تحققت بالانفرادات المكونات البلاغية وعلاقتها بالتأمل الفكري وفنية القول.

٣- الدلالة الهامشية.. هي التي تصاحب

١- التباين/ ١٧.

٢- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٩٩/٤.

اللفظ عند إطلاقه فتكسب دلالة معينة يسفيد منها السامع بحسب تجاربه، أو هي التي تجري مجرى الفهم الخاص بما يوحيه معنى اللفظ، وهي أكثر التصاقاً بالتأويل، أي ترتبط بما لا يدل عليه ظاهر اللفظ، فتحمل في طياتها العدول وتعتمد على التخصص في تمكينه من الاستنتاج أي تجري مجرى الفهم الخاص عند كل متلقٍ، فهي مجال خصب لمختلف الاجتهادات لذلك فرعوها أي (قسموها) بحسب تخصص المتلقي فمثلاً:

اللغوي: ينظر نظرة جانبية بحسب حروف المعجم العربي فيحقق بذلك ضالته في تأكيد هذا الجانب من الألفاظ، أي لا ينظر إلا لحروف الألفاظ وكيف كوّنت حروف إلهجاء.

النحوي: ينظر إلى النص من جانب تخصصه، أي يفيد النحوي من النص بحسب التخريجات وتوجيه المعنى أداءً بحسب قصدية النص، فنظر إلى ما تولده الدلالة إلهامشية من معنى بحسب تخصصه.

المنطقي: ينظر إلى النص أيضاً من وجهة نظره المحدد بين التصور والتصديق، وهكذا، فبالتأمل الفكري تتم الاستعانة بأساليب الثقافة في تفسير العمل الأدبي، ومعرفة الاتجاهات النفسية، والاتجاهات





الاجتماعية، والاقتصادية، والتأريخية، والفلسفية، بالتأمل الفكري يحدد المتلقي الفطن. العملة الإبداعية، لأنه أحد أطراف ثلاثة في العملية النقدية هي: النص، ومنشئ النص، والمتلقي وهو السامع والتأمل، وهذا العمل كله يسمى بنظرية التواصل (التواصلية)، فهناك البعد الفكري أي ما يعين للمنشئ في أول مرة، ثم يأتي البعد التكويني، ويسمى أيضاً بالبعد الأسلوبي، ثم البعد التواصلية، لأن التواصل يحقق فهم غايات النص بسبب التفاعل مع عناصر مكونات النص المتعددة، فيتهيأ التأمل والتفكير لدى المتلقي. المتلقي هو الذي يستطيع أن يركز على أساليب المبدع التي صنعت المعنى ويرجع به إلى المعجمات، وإلى الأساليب النحوية، فيقف عند التركيب السياقي بشقيه: الظاهري، والتوليدي، فيتأمل القارئ المتأمل عما يثيره النص من المعاني الواردة في التعبير، فيخطو بوساطة تحليل النص على وفق الثقافات التي يشكلها شكل النص ومحتواه، وهنا تأتي قيمته مما يأتي به المضمون مؤثراً في السامع، فقد يؤول النص كما فعل الرمزيون وأصحاب نظرية الفن للفن، وينظر اللغوي نظرة جانبية فعلية إنتاج العمل الإبداعي تعتمد عناصر يوظفها المنشئ، ومن ثم يستنطق السامع المتأمل دلالتها إلهامشية

أو غيرها بحسب وجودها في نصه معتمداً على العناصر التي يستعملها المتكلم من لغة وعاطفة وخيال وفكر، لهذا السبب اتجه النقاد إلى مناقشة ثنائية اللفظ والمعنى، أو الشكل والمحتوى، ومن هذه الرؤية يمكن أن نقف عند تميز كلام الإمام علي عليه السلام بانفراداته البلاغية الخاصة وعلاقتها بالتأمل الفكري وأنواع الدلالة وفنية السياق في نصوصه، وذكرنا سابقاً أن فهم النص من حيث طبيعته الخاصة وعلاقته العامة بوظيفة القول يرتبط بإعمال الفكر وصولاً إلى المراد، ومن ثم يستعمل المتلقي أدواته النقدية التي اكتسبها بالمعرفة والمهارة، ليستتج تفاعل الذات المبدعة مع الواقع المعيش لأن المبدع لا يكتب إلا بسبب واقع خارجي، وسنقف عند قول الإمام علي عليه السلام: (نَفَسُ المرء خُطَاهُ إلى أَجَلِهِ) ^(١) تحقق المعنى بالأداء البياني بالتشبيه التمثيلي، وبعلم المعاني بالخبر الابتدائي الذي خلا من المؤكدات، فكانت الوظيفة علمية نفسية تعليمية تربوية فلسفية بتأمل فكري، لأننا حين نتنفس إنما نعد لحظات من أعمارنا تقترب من النهاية، فتحققت القصيدة بالانفرادات التكوينية البلاغية وعلاقته بالتأمل الفكري، وانعكس الفعل الإبداعي على فنية القول، لأن الدلالة الهامشية هي التي تصاحب اللفظ عند



إطلاقه فتكسب دلالة معينة يستفيد منها السامع بحسب تجاربه من الجانب اللغوي أو النحوي أو المنطقي، فهي التي تجري مجرى الفهم الخاص بما يوحيه معنى اللفظ، وهي أكثر التصاقاً بالتأويل، فالخطى تسير إلى مثابة مقصودة لكنها هنا سارت إلى الأجل، وهذا هو المنطق لأن الانسان يقترب من أجله كلما مرّ يومٌ من حياته، وعلى وفق هذا التحليل يأتي قوله ﷺ: (إِلَهُمَّ نَصِفْ إِلَهْرَمَ)^(١)، فكلمة (إِلَهُمَّ) حققت هنا نصف (إِلَهْرَمَ) أو الكبر، فعلمياً يسهم (إِلَهُمَّ) في حرق الخلايا الجسمية وله دور في تسريع الشيخوخة، وقد رسم البيان البلاغي بالتشبيه البليغ والكنية معاً، وبالخبر الابتدائي في علم المعاني، وهذه الحال من الانفرادات ﷺ بالجمع بين أساليب البلاغة أو الجمع بين أدائين في علم واحد، فسارت الدلالة إلهامشية مجرى الفهم الخاص بما منحه معنيان اللفظيين (إِلَهُمَّ وإِلَهْرَمَ)، فبالانفرادات الاتجاه البلاغي وعلاقته بالتأمل الفكري والدلالة الهامشية تحققت فنية القول، ونجد الأمر نفسه في قوله ﷺ: (أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ)^(٢)، فقد تحقق الاتجاه البلاغي بالخبر الطلبية لوجود أداة التأكيد (إِنَّ) وبأسلوب الإنشاء

الطلبية بفعل الأمر (أفيسوا) الذي وخرج إلى غرض مجازي هو النصح والإرشاد، وتم الأسلوب البياني بالكنية رمزا بكلمة (الذِّكْر) وتعريضاً بما منحه السياق من معنى للمتلقى، فاشتغلت الدلالة الهامشية أيضاً وقدمت وظيفة تربوية للمتلقى، إذ تحقق الأسلوب البلاغي بالجمع بين أنواع الأداءات في الأسلوب الواحد من جهة، وبين العلوم البلاغية مجتمعة من جهة أخرى، وقد وردت أنواع البديع بمحسناته اللفظية والمعنوية في أحاديثه مع علمي المعاني والبيان، ففي قوله ﷺ: (إِذَا زِدَحَمَ الْجَوَابَ خَفِيَ الصَّوَابُ)^(٣)، بمعنى: (ازدحام الصواب تشابه المعاني حتى لا يدري أيهما أوفق بالسؤال وهو مما يوجب خفاء الصواب)^(٤) ورد الطباق في لفظتي (ازدحم، خفي)، وورد الجنس باختلاف اللفظيين في أنواع الحروف في لفظتي (الجواب، الصواب)، وورد علم المعاني بأسلوب الشرط، والبيان تعريضاً، فنجد الدلالة الهامشية قد فعلت المضمون قد منحت النص فهماً خاصاً بما أوحته معاني الألفاظ في النص، فكانت أكثر التصاقاً بالتأويل، ونجد الأمر نفسه

في قوله ﷺ: (وصحة الجسد من قلة

١- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤/ ٣٤.

٢- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ١/ ٢١٦.

٣- نهج البلاغة، شرح محمد عبده، ٤/ ٥٤.

٤- المصدر نفسه، ٤/ ٥٤.



الحسد^(١)، فنجد هنا علم البديع بمحسناته اللفظية متمثلاً بالجناس الناقص باختلاف الحرفين في أنواع الحروف (الجسد، الحسد)، والمحسنات المعنوية بحسن التعليل، وبعلم المعاني بالخبر، فتجلت الوظيفة التعليمية، وحققت الدلالة إلهامشية فنية الكلام.

وفي قوله عليه السلام: (الحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ) لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونُهُ مُسْتَحْكَمٌ^(٢)، تعانق أكثر من موضوع بلاغي فجاء البديع بحسن التعليل، والمعاني بالخبر الإنكاري الذي احتاج إلى أكثر من مؤكّد، وعلم البيان بالتشبيه البليغ (الحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ)، والكناية تعريضاً (فإن لم يندم فجنونُهُ مُسْتَحْكَمٌ)، وبذلك تجلت الانفرادات البلاغية وظهرت الدلالة إلهامشية مسايرة

مجرى الفهم الخاص بما منحه معنى مفردة (الحِدَّةُ، الجنون) من علاقة بالتأمل الفكري، فحققت الدلالة إلهامشية فنية القول، وأسهمت في منح المتلقي فهماً خاصاً بحسب ما أعطاه معنى اللفظين، فكان السياق أكثر التصاقاً بالتأويل، ونجد الأمر نفسه في حديثه عليه السلام: (الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ)^(٣)، بمعنى ما يتناول

البصر يُحَفِّظُ في القلب كأنه يكتب فيه^(٤)، فحضر علم البديع بالتورية في مفردة (مُصْحَفٌ)، لأن التورية هي أن يذكر لها معنيان بالاشتراك أو التواطؤ أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، فيقصد المتكلم المعنى البعيد^(٥)، وهذا الأمر من ضروب الإعجاز القولي لأنه احتاج إلى تأويل فكان الكلام ملتصقاً بالدلالة الهامشية، وحضر علم المعاني بالخبر الابتدائي الذي خلا من المؤكّدات، فقدمت الدلالة الهامشية وظيفة نفعية للمتلقى، لأنها هي التي تصاحب اللفظ عند إطلاقه فتكسب دلالة معينة يفيد منها السامع بحسب تجاربه، وهي التي تجري مجرى الفهم الخاص بما يوحيه معنى اللفظ، وهي أكثر التصاقاً بالتأويل،

وتظهر لنا عملية الفعل الإبداعي في أحاديث الإمام علي عليه السلام قد اعتمدت على عناصر وظفها الإمام من خزينة المعرفي المعتمد على العلم اللدني الذي يمتلكه من رسول الله النبي محمد ﷺ فهو باب

٤- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٩٦/٤.
٥- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، القاهرة، ١٣٠٤هـ، ٢٣٩، وظ: أنوار الربيع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكر، النجف، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ٥/٥. وظ: الإيضاح، الخطيب القزويني (بإشراف محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة، ٣٥٣.

١- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٥٦/٤.
٢- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٥٦/٤.
٣- نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ٩٦/٤.



الخلاصة

وقف البحث بإيجاز عند مسألة عدم تدوين الحديث، إذ يكمن أمر وراء القول بعدم تدوين الحديث غرضه حجب أسماع الناس عن فضائل أهل البيت عليهم السلام التي ذكرها الرسول ﷺ فيهم، ثم تناول البحث الأداء الخاص لأي منشئ، إذ تعدُّ ركيزتا الانزياح والتفرد علامة مهمة سَلَّم الرُقْيَى التعبيري للمنشئ الذي يتجاوز الآخرين تعبيرياً بتمييز، فقامت الأسلوبية على ركيزتين هما: الانزياح والتفرد، وقد وجدنا هاتين الخصيصتين في كلام الإمام علي عليه السلام، فهما اللتان ترسمان القدرة الإبداعية في كلامه عليه السلام، لأنَّ المتأمل في أقواله يجدُ التميز الإبداعي الذي لم يرق إلى مصافه المبدعون، فقد رصدت المنهجية الأسلوبية كفيات الكتابة الإبداعية في التجارب الاستثنائية بحثاً عما يجعلها متفردة موصولة بكتابها ومتنسبة له، ولدى تتبعي وجدتُ ذلك الاستثناء والتميز في نصوص نهج البلاغة، فمن المعروف أن المنشئ البشري إذا ركَّز على المضمون ضَعُف عنده الشكل أو الصورة، وكذلك العكس، لكننا وجدنا موازنة بين الشكل والمضمون في أقوال الإمام علي عليه السلام وبالعكس، وكذلك نجدُ الحال هذه في عموم الحديث الشريف، الأمر الذي جعل

علمه، ومن معرفته اللغوية، وقدرته البلاغية التي تربعت على قمة التعبير البشري بعد قول النبي الأكرم، معتمداً على العناصر التي استعملها في تعبيره بتفوق ورُقْيَى معرفيٍّ من لغةٍ وعاطفةٍ وخيالٍ وفكرٍ، وهنا يأتي دور التلقي أو التواصلية، إذ يستنطق السامع المتأمل دلالات التعبير بأنواعها بحسب وجودها في نصوص الإمام علي عليه السلام، ليقف على ثنائية اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون في تعبيره الإبداعي، لأنَّ لسياقات كلامه دلالةً فنيّةً خاصّةً، ومن هذه الرؤية يمكن أن نقف عند تميّز كلامه عليه السلام من سواه، ونتأمل الانفراداته البلاغية الخاصة، وعلاقتها بالتأمل الفكري وأنواع الدلالة وفنية السياق في نصوصه الحاملة للوظائف النبيلة بأنواعها، فضلاً عن البناءات الفنية المرسومة بقيم الإبداع العليا، وليس على المتلقي إلاَّ إعمال الفكر - كما ذكرنا سابقاً - وصولاً نحو القصدية إلهادفة إلى تعليم السامع، لأن فهم النص من حيث طبيعته الخاصة وعلاقته العامة بوظيفة القول يرتبط بإعمال الفكر وصولاً إلى المراد.

والحمد لله رب العالمين



الأسلوب، تؤكد استعماله لعلوم البلاغة كلها بأعلى مراتب التعبير الفني ورُقيّه، وهذه أولى الانفرادات التي يؤشرها الباحث المتخصص فاجتمعت أقسام البلاغة في كلامه عليه السلام في العبارة الواحدة ليرتقي الكلام إلى مستوى المثل، لتشكل الصورة المبتكرة ووحدات الفعل الإبداعي في أقوال الإمام علي عليه السلام، فجاء الانزياح بأقصى طاقاته موصوفاً بالفردة، فتجلت الفنية والابتكار والأداء الإبداعي الخاص في نصوص الإمام علي عليه السلام، إذ تماسك السياق اللغوي بتعاشق الأبعاد الثلاثة (الدلالي، والتعبيري، والتأثري)، فكانت العبارات تحمل وظيفة إقناعية للمتلقي، وفي الوقت نفسه أومأت إلى قضايا علمية قال بها العلم الحديث، فبانت الانفرادات البلاغية وعلاقتها بالعلوم المختلفة، وظهر المستوى التركيبي بالانفرادات بلاغية ظهر أثرها في البناءات الفنية المرسومة بقيم الإبداع العليا، وليس على المتلقي إلا إعمال الفكر - كما ذكرنا سابقاً - وصولاً نحو القصيدة الهادفة إلى تعليم السامع، لأن فهم النص يرتبط بالتأمل الفكري لاستخراج قصيدة الكلام، فحققت الانفرادات التعبيرية في كلام الإمام علي عليه السلام وظائف تعليمية متعددة ببناءات بلاغية عليا في أثناء عملية التعبير، فحصل التلازم بين الفعل الإبداعي بالانفرادات البلاغية وبين

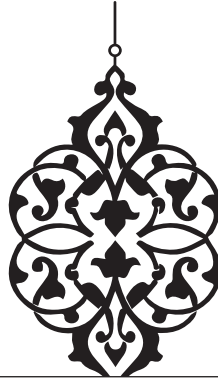
أساطين الكلام والباحثين يصفون كلامه عليه السلام بصفات الثناء والإكبار، فالتعبير في نهج البلاغة بمستواه التركيبي والتوليدي يمتاز بالابتكار والإبداع، ويؤدي وظائف مختلفة الاتجاهات بسبل فنية عالية الدقة والبناء، إذ تُعد الفنية والابتكار في نصوص نهج البلاغة من علامات الانفرادات البلاغية للإمام علي عليه السلام، فأسلوبه يمتدُّ إلى مدرسة النبي محمد صلى الله عليه وآله. ويجد الباحث الفطن أحاديث الإمام علي عليه السلام قد تناولت جوانب الحياة المتشعبة، فتفاعلت النصوص مع الواقع بحسب امتلاك الإمام لخزينة المعرفي المعتمد على العلم اللدني الذي يمتلكه من رسول الله محمد صلى الله عليه وآله فهو باب علمه، وقد وظّف طاقاته التعبيرية بأدائه الإبداعي الخاص، بأسلوب تكويني قائم على عناصر تمّ توظيفها للحديث عن موضوعات أدبية وفنية واجتماعية وعلمية ونفسية وغيرها، ومن ثمّ تمّ إقناع المتلقي، فتجلّت القدرة البلاغية مترتبة على قمة التعبير البشري بعد قول النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، فبان التفوّق والرّقيّ المعرفيّ في كلامه، فضلاً عن تميّز سياق التعبير بسمات إبداعية حضرت في اللغة والعاطفة والخيال والفكر، فتميّز كلامه عليه السلام من سواه بالانفرادات بلاغية قامت على أداء خاص، سمّاه التفرد في





والتواصلية للنص، وأثر تلك المواءمة الخاص في الحس والوجدان، فتجلّت على وفق ذلك الانفرادات الاتجاه البلاغي وتوضّحت علاقته بالتأمل الفكري وأنواع تلك الدلالات مثل: الدلالة الصوتية والإيقاع: الدلالة الاجتماعية والدلالة إلهامشية، ومن ثم تابع البحث انعكاس معانيها على فنية القول.

القضايا العلمية في أحاديثه عليه السلام فضلاً عن الجوانب النفسية والأخلاقية والانفرادات الاتجاه البلاغي والعلوم النقدية الحديثة، وتجلّت أيضاً الانفرادات الاتجاه البلاغي وعلاقته بالتأمل الفكري وأنواع الدلالة وفنية القول، فقدّم التعبير الغاية المركزية للنص الأدبي والتي أسهمت في حل إشكالات المجتمع وإشكالات الإنسان، فجاءت الدلالات بأنوعها، للمشاركة في عملية تصوير الفكر والوصول إلى قصيدة المتكلم، بفنية عالية، فوقف البحث عند بعض من أنواع الدلالات التي عملت مواءمة بين المكونات الفكرية والأسلوبية



أبواب المعرفة

المصادر والمراجع

مجمع الإمامين الحسينين عليه السلام، بيروت، ط ١، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.

٧- أنوار الريع في أنواع البديع، ابن معصوم المدني، تحقيق شاكر هادي شكر، النجف الاشرف ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م.

٨- الإيضاح في علو البلاغة، الخطيب القزويني، (ت ٧٣٩ هـ) مكتبة ومطبعة محمد علي صلح وأولاده، القاهرة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، وظ: طبعة (باشراف محمد محيي الدين عبد الحميد)، القاهرة.

٩- بحار الأنوار، محمد باقر محمد تقى المجلسي (١١١١ هـ)، المطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٨٨ هـ.

١٠- البلاغة والتطبيق، د.أحمد مطلوب، ود.كامل حسن البصير، ط ٢، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١١- البيان والتبيين، دار أحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٩٦٨.

١٢- تاريخ الفسوي، (مخطوط) يعقوب بن شعبان الفسوي، استانبول مكتبة روان كشاء رقم ١٥٥٤.

١٣- تداعي الوعي في الشعر الجاهلي،

١- الاداء البلاغي في الحديث الشريف، أ.د. صباح عباس عنوز، مطبعة شركة المارد، النجف الأشرف، ٢٠١٨ م.

٢- الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، د.عبد القادر فيدوح، منشورات إتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٢ م.

٣- الأسس النفسية للإبداع الفني (في الشعر خاصة)، مصطفى سوييف (الدكتور)، دار المعارف، مصر، ط ٣، ١٩٦٩ م.

٤- الأصول دراسة الاستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، تمام حسان (الدكتور)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨ م.

٥- أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، دار الكاتب العربي، ط ٧، ١٩٦٨ م.

٦- إعجازية التكوين الأسلوبي في النص القرآني، ومهمتا البيان التفسيرية والتأويلية، د. صباح عباس عنوز المركز الإسلامي الثقافي، لبنان

ناصر اسطنبول، جامعة وهران،
الجزائر، ١٩٨٦م.

٢٢- شرح ديوان الحماسة، المرزوقي،
نشره أحمد أمين بالاشتراك مع
مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ط ١
١٩٥٢.

١٤- التفكير البلاغي عند العرب
أسسه وتطوره إلى القرن السادس،
د. حمادي صمود، منشورات الجامعة
العربية التونسية، ١٩٨١م

٢٣- الشعر العربي المعاصر قضاياها
وظواهره الفنية والمعنوية، عز الدين
إسماعيل.

١٥- تقييد العلم، الخطيب
البغدادي (٤٦٣هـ)، تحقيق يوسف
العش، دار احياء السنة واعادته
١٩٤٩م، طبع دمشق، ط ٢، ١٩٧٤م.

٢٤- عتبات جيران جينيت من النص
إلى المناس، عبد الحق بلعابد،
منشورات الاختلاف، ٢٠٠٨.

١٦- جان لا بلاش و، ب بوتتاليس،
معجم مصطلحات التحليل النفسي،
ترجمة محمد الولي ومحمد العمري،
المغرب، دار توبقال للنشر، الدار
البيضاء، ١٩٨٦م.

٢٥- عضوية الموسيقى في النص
الشعري، عبد الفتاح صالح نافع،
مكتبة المنار، الأردن، ط ٢، ١٩٨٥م.

١٧- جدلية الخفاء والتجلي، كمال أبو
ديب، دار الملايين، ط ٣، بيروت،
١٩٨٤م.

٢٦- علم اللغة العام، فرديناند دي
سوسير، ترجمة يوثيل يوسف عزيز،
مراجعة مالك يوسف المطلبي، بيت
الموصل، ١٩٨٨م.

١٨- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن
حجة الحموي، القاهرة، ١٤٠٣هـ.

٢٧- علم النفس الفني، د. أبو طالب
محمد سعيد، جامعة بغداد، كلية
الفنون الجميلة ١٤١٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩- دراسات في الحديث والمحدثين،
هاشم معروف الحسني، دار التعارف
للمطبوعات، بيروت ط ٢، ١٩٨٧م.

٢٨- العمدة، ابن رشيق القيرواني،
تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحמיד، القاهرة، ط ٣، ١٣٨٣هـ -
١٩٦٣م.

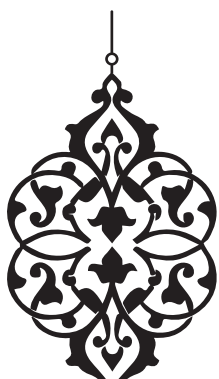
٢٠- الزاهر في معاني كلمات الناس.
٢١- السيميائية وفلسفة اللغة، امبرتو



- ٢٩- غرر الحكم، ٥٤٤٤.
- ٣٠- الفتنة الكبرى، د. طه حسين، دار الجمال، بيروت.
- ٣١- فنون بلاغية، الدكتور أحمد مطلوب، بيروت، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.
- ٣٢- قضايا في النقد الأدبي، ك. ك. روثفن، ترجمة د. عبد الجبار المطلبي، مراجعة د. محسن جاسم الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٨٩ م.
- ٣٣- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، القاهرة ١٩٧١ م.
- ٣٤- كنز العمال في شتى الاقوال والافعال، للهندي علي بن المتقي بن حسام الدين (٩٧٥) طبعة صفوة السقا، ط ٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ٣٥- لغة الشعر العربي الحديث، د. السعيد الورقي،
- ٣٦- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، عالم الكتب، ط ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م، وظ: عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠١ م.
- ٣٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م.
- ٣٨- مذهب التحليل النفسي والفرويدية الجديدة، فاليري ليين، دار الفارابي، ط ١، ١٩٨١.
- ٣٩- مسألة اللاوعي في الصورة الشعرية، د. صبحي البستاني، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع ٢٣، ١٩٨٢ - ١٩٠٣.
- ٤٠- المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك، القاهرة ١٣٤١.
- ٤١- مصطلحات بلاغية، الدكتور، أحمد مطلوب، بغداد، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٤٢- معجم المعاني الجامع (الحلم).
- ٤٣- مفتاح العلوم، السكاكي، القاهرة، ١٩٥٦ هـ - ١٩٣٧ م.
- ٤٤- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، القاهرة.
- ٤٥- منع تدوين الحديث، علي الشهرستاني، دار الغدير، قم، ٢٠٠٥ م.



- ٤٦- منهج البلاغة وسراج الادباء، القرطاجني، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، تونس، ط ١، ١٩٦٦ م.
- ٤٧- نظرية الأدب، أوستن وأرين، رينيه ويليك، ترجمة محي الدين صبحي، مراجعة حسام الخطيب، مطبعة الطرايشي، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- ٤٨- نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، شرح: ابن أبي الحديد، دار الكتاب العربي، بغداد، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- ٤٩- نهج البلاغة الإمام علي بن أبي طالب، شرح محمد عبده، مكتبة النهضة، بغداد.
- ٥٠- النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، منشورات دار ومكتبة إلهلال، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ٥١- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، فخر الدين الرازي، القاهرة، ١٣١٧ هـ.
- ٥٢- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير (٦٠٦ هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣١٩ هـ، وظ: طبعات أخرى.
- ٥٣- نهج البلاغة صوت الحقيقة، دراسة اثباته في ضوء النص النقلي وماهية المنجز الفني، أ.د. صباح عباس عنوز، مؤسسة نهج البلاغة، العتبة الحسينية المقدسة، دار الكفيل، سلسلة الكتب العلمية (١)، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- ٥٤- وسائل الشيعة إلى تحصيل الشريعة، الحر العاملي، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت (عليه السلام)، قم، ط ٢، ١٤١٤ هـ.





أَبْوَابُ الْمَعْرِفَةِ



المعالم الدستورية في حكم علي عليه السلام

المهندس الدكتور علي ناجي عطية



كلية الهندسة / جامعة الكوفة





المقدمة

حكم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فيها سنوات قليلة بقعة شاسعة من الأرض امتدت من طرابلس في ليبيا غرباً حتى هرات في أفغانستان شرقاً، ومن تبليسي في جورجيا شمالاً حتى صنعاء في اليمن جنوباً. لم يكن سبب خلود هذا الحاكم سعة دولته وإنما الطريقة التي حكم بها تلك الأرض الواسعة مما جعل الأمم المتحدة في عام ٢٠٠٢ تستشهد ببعض أقواله من أجل وضع سياسة للتنمية من أجل الأجيال القادمة. أورد التقرير الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP بعض العبارات من كتاب نهج البلاغة ضمن استعراض السياسات التي يجب أن تتبناها البلدان العربية في التنمية البشرية وتطوير القدرات. الاستشهاد الأول كان في الفصل الخاص بمجتمع المعرفة حيث أشار التقرير إلى سياسة الإمام عليه السلام في بناء المجتمع على أساس الوعي والمعرفة واستشهد بالعبارات الآتية (١):

■ كل وعاء يضيق بما جُعِلَ فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع.

■ إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم.

■ لا غنى كالعقل ولا فقر كالجهل ولا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة.

■ الحكمة ضالة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق.

■ قدر الرجل على قدر همته.

■ لا مال أَعَوَّدَ مِنَ العقل، ولا وَحْدَةَ أَوْحَشَ مِنَ العُجْب، ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوى، ولا قرين كحُسن الخلق، ولا ميراث كالأدب، ولا قائد كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح، ولا شرف كالعلم.

■ العلم خيرٌ من المال، والعلم يحرسك وأنت تحرس المال، والمال تُنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله، والعلم دين يُدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدث بعد وفاته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، هلك خُزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة.

■ العلم مقرون بالعمل فَمَنْ عِلِمَ عَمِلَ.

■ والعلم يَتَبَفُّ بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه.





يستكثرون الكثير.

■ اختر للحكم بين الناس أفضل رعتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم، ولا يتهاذى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، أصبرهم على تكشف الأمور، وأصرهم عند اتضاح الحكم، ممن لا يزدهيه إطراء ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل.

لم تكن تلك القبسات التي أوردها تقرير الأمم المتحدة سوى غيظ من فيض وإضاءة بسيطة على تراث عظيم تركه أمير المؤمنين عليه السلام في الحكم الرشيد في زمن تنشد فيه البشرية العدالة والحرية. من جهة أخرى تتسابق في زمن العولمة الأمم المتحضرة في الشرق والغرب في التفاخر بأنظمتها الديمقراطية وتوفير الحياة الكريمة لشعوبها فهل كان التراث الإسلامي خلاف ذلك؟

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على المنهج الإسلامي في الحكم الذي جسده أمير المؤمنين عليه السلام في صدر الإسلام ومقارنة تلك المعالم المشرقة مع مبادئ

أما في الفصل الخاص بالحكم والتنمية البشرية أشار تقرير الأمم المتحدة إلى بعض أقوال الإمام عليه السلام في الحكم الصالح ومواصفات من يتصدى له والسياسات الواجب اتباعها لتحقيق ذلك (١):

■ من نصّب للناس نفسه إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، فمعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

■ وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد.

■ وأكثر مدارس العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

■ لا خير في الصمت عن الحكم كما إنه لا خير في القول بالجهل.

■ المتقون فيها من أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيمهم التواضع، لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا



الديمقراطية الحديثة التي صارت حلم شعوب تسلط عليها فراغة هذا الزمان لاسيما في بلدان العرب والمسلمين.

ضرورة الدستور في الفكر الإسلامي

عُرِّفَ الدستور بتعاريف عديدة فقد عرّفه د. رمزي الشاعر بأنه الوثيقة القانونية التي تصدر من هيئة معينة طبقاً لإجراءات خاصة تتضمن القواعد المتعلقة بنظام الحكم في دولة معينة في وقت معين وعرّفه د. يحيى الجمل بأنه عبارة عن القواعد القانونية الواردة في الوثيقة التي تحوي النصوص الدستورية وهو يتعلق بتنظيم السلطات العامة في الدولة من حيث كيفية تكوينها واختصاصها وعلاقاتها ببعضها وعلاقتها بالمواطنين. ويذكر الباحثون بأن مفهوم الدستور قد اتسع ليشمل تنظيم الحياة بكل أبعادها وجوانبها إذ الدستور مسؤول عن تحديد هوية الدولة الفكرية ومذهبها الاجتماعي وخطها السياسي العام ومسؤوليات الدولة الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والدفاعية والثقافية والعمرانية (٢). ويضيف د. عادل الفقي بأن الوثيقة الدستورية تحتل مكانة سامية في النظام القانوني للدولة

فهو التشريع الوضعي الأسمى صاحب الصدارة على ما دونه من تشريعات (٣). حاول بعض الباحثين إيجاد جذور تاريخية لتدوين الدستور في صدر الإسلام بالرغم من شيوع فكرة إن الدساتير قد نشأت في المجتمع الغربي حيث اعتبر السيد هاشم الموسوي في عهد الامام علي عليه السلام إلى واليه على مصر مالك الاشرع أول دستور متكامل لإدارة شؤون الدولة في الإسلام (٢). واعتبر باحث آخر وهو عبد الرزاق الصالحى إن وثيقة المدينة المنورة التي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم عند تأسيسه الدولة الإسلامية في يثرب تمثل المشروع السياسي الذي أسست عليه الدولة النبوية (٤). واعتقد آخرون إن الأفكار والمبادئ الإسلامية خير مادة للدساتير الحاكمة في الشعوب حيث يقول السنهوري باشا وهو من كبار فقهاء القانون في العالم العربي: «إن في هذه الشريعة عناصر لو تولتها يد الصاغة فأحسن صياغتها لصنعت منها نظريات ومبادئ لا تقل في الرقي والشمول وفي مساهمة التطور عن أخطر النظريات الفقهية التي تلقاها اليوم عن الفقه الغربي الحديث» (٥). ذهب أحد علماء الإسلام أبعد من ذلك في أوائل القرن العشرين فقد ذكر الشيخ محمد حسين النائيني في كتابه تنبيه الأمة





والثاني ما قدمه السيد الشهيد محمد باقر الصدر قبل شهادته بفترة قليلة عام ١٩٨٠ م.

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تعرضت إيران إلى أزمة سياسية عندما قامت السلطة الحاكمة فيها بتعطيل الدستور وإلغاء مجلس النواب بعد ستين فقط من إنشائه بحجة أن الحكم الدستوري بدعة والخليفة الحاكم في النظرية الإسلامية سلطته مطلقة وغير مقيدة بدستور وليست خاضعة لمحاسبة برلمان أو غيره. نتيجة لذلك تصدى مجموعة من مراجع الدين في النجف الأشرف لهذا الأمر وأصدروا الفتاوى وكتبوا الرسائل والبحوث لتوضيح أساس النظرية الإسلامية في الحكم وهل هي قائمة على الحكم الاستبدادي أم الدستوري؟ ومن بين هؤلاء العلماء كتب الشيخ النائيني بحثه الشهير تنبيه الأمة وتنزيه الملة في إثبات إن الحكم الإسلامي الدستوري راجح في جميع الأحوال على الحكم الاستبدادي بل لا وجود للاستبداد في الحكومة الإسلامية مطلقاً.

كتب الشيخ النائيني في هذا البحث: «أما كيفية استيلاء السلطان وتصرفه في البلاد من حيث كونه تملكاً أو ولاية فهي على نحوين لا ثالث هما: الأول

وتنزيه الملة إن نظريات السياسة عند الغربيين - ومنها كتابة دستور للبلاد - قد أخذت من أصول إسلامية ويصف ذلك بقوله: «إن المطلعين على تاريخ العالم يعلمون بأن الأمم المسيحية والأوروبية لم يكن لها قبل الحروب الصليبية أي نصيب من العلم والمدنية والنظم السياسية وهذا يرجع إلى أحد أمرين: فأما إن الشرائع التي آمن بها الأوروبيون لم تكن تنطوي على ذلك أو إنهم حرفوا تلك الشرائع والكتب.

وبعد وقوع تلك الواقعة العظيمة - الحروب الصليبية - عزوا انكسارهم إلى تخلفهم وجاهليتهم فجعلوا معالجة هذا المرض - وهو أساس كل الأمراض - نصب أعينهم وأهم أهدافهم وانطلقوا نحو هدفهم هذا بشوق وحنين فأخذوا الأصول الإسلامية في حقل التمدن والسياسة من الكتاب والسنة ومن خطب ومواقف أمير المؤمنين عليه السلام وبقية المعصومين» (٦). وليان موقع الدستور في نظريات الحكم الإسلامي في عصر الغيبة سيتم التطرق إلى نموذجين من تلك الأطروحات التي قدمها اثنان من كبار فقهاء الإسلام في هذا المضمار الأول ما كتبه الشيخ محمد حسين النائيني المتوفى عام ١٩٣٦ م في أوائل القرن العشرين



هو الاستيلاء على نحو التملك وهو أن يتعامل السلطان مع مملكته كما يتعامل المالكون مع أموالهم الشخصية، فيعتبر البلاد وما فيها ملكاً شخصياً له ويجعل الشعب عبيداً له. والثاني ألا تقوم السلطة على الملكية ولا القاهرية ولا الفاعلية بما يشاء ولا الحاكمية بما يريد وإنما على أساس إقامة تلك الوظائف والمصالح النوعية المطلوبة من السلطة، وأن تكون اختيارات الحاكم محدودة بحدود هذه الوظائف ومشروطة بعدم تجاوزه حدود الوظائف المقررة عليه، وهي عبارة عن أمانة نوعية في صرف قدرات البلد في مصالحه لا في الشهوات والميول الفردية. ولذا فإن سلوك الحاكم محدود بحدود الولاية على هذه الأمور ومشروط بعدم تجاوزها وأفراد الشعب شركاء معه في جميع مقدرات البلد التي تنتسب للجميع بشكل متساو وليس المتصدون للأمور إلا أمناء للشعب لا مالكيين أو مخدومين.

وبعد أن بينّ سمّاحته الأساس الفكري للحكم في جميع النظم السياسية بنوعيه ذكر أسلوباً لضمان تحقيق النوع الثاني من السلطة والحيلولة دون سيطرة الاستبداد على الفئة الحاكمة بقوله: «ويتقوم هذا النوع من السلطة بالولاية والأمانة ولذا فهو كسائر الأمانات والولايات مشروط

بعدم التجاوز ومقيد بعدم التفريط، والعامل الذي يحفظ هذا النوع من السلطة ويحول دون انقلابه إلى مالكية مطلقة ويردعه عن التعدي والتجاوز إنما هو المراقبة والمحاسبة والمسؤولية الكاملة» (٦). وهكذا يكون الضمان الوحيد لمنع الاستبداد هو تقييد الحكومة بقوانين محددة ومراقبتها من قبل جهة يخولها الشعب بذلك ومن ثم محاسبتها وتحملها المسؤولية الكاملة عند ثبوت خروجها عن هذه الحدود وخيانتها للأمانة وقد عبر الشيخ النائيني عن ذلك بقوله: «وغاية ما يمكن إيجاده مع غياب المعصوم - كبديل بشري طبيعي عن تلك العصمة العاصمة - هو حل يتوقف على أمرين الأول إيجاد دستور واف بالتحديد المذكور بحيث تتميز الوظائف التي يُلزم السلطان بإقامتها عن المجالات التي لا يحق له التدخل فيها والتصرف بها، ويتضمن أيضاً حرية الأمة وما لفئاتها وطبقاتها من حقوق ويكفي لصحته ومشروعيته عدم مخالفة فصوله للقوانين الشرعية. والثاني إحكام المراقبة والمحاسبة وإيكال هذه الوظيفة إلى هيئة مسددة من عقلاء الأمة وعلمائها الخبراء بالحقوق الدولية المطلعين على مقتضيات العصر وخصائصه ليقوموا بدور المحاسبة والمراقبة تجاه لالة الأمور الماسكين بزمام الدولة. وهؤلاء هم



مندوبوا الأمة والمبعوثون عنها ويمثلون قوتها العلمية والمجلس النيابي عبارة عن المجمع الرسمي المكون منهم» (٦).

كتب المفكر الإسلامي الشهيد السيد محمد باقر الصدر كتابه الإسلام يقود الحياة لإثبات أن الإسلام منهج متكامل لقيادة الدولة وإصلاح الوضع الاجتماعي والاقتصادي للبلد كما هو منهج متكامل لبناء الفرد المسلم. يبين الشهيد الصدر في نظريته حول الحكومة الإسلامية بأن مواصفات الدستور الإسلامي يمكن تلخيصها بالعبارات الآتية: «إن أحكام الشريعة الثابتة بوضوح فقهي مطلق تعتبر بقدر صلتها بالحياة الاجتماعية جزءاً ثابتاً في الدستور، وإن أي موقف للشريعة يحتوي على أكثر من حاجتها يعتبر نطاق البدائل المتعددة من الاجتهاد المشروع دستورياً ويظل اختيار البديل المعين من هذه البدائل موكول إلى السلطة التشريعية التي تمارسها الأمة على ضوء المصلحة العامة. وفي حالات عدم وجود موقف حاسم للشريعة من تحريم أو إيجاب يكون للسلطة التشريعية التي تمثل الأمة أن تسن من القوانين ما تراه صالحاً على ألا يتعارض مع الدستور وتسمى مجالات هذه القوانين بمنطقة الفراغ» (٧).

الدستور عند الشهيد السيد الصدر

موجود أصلاً في النظام الإسلامي لكونه يقرر أن جميع الأحكام الشرعية المتفق عليها هي جزء من الدستور وإن لم ينص عليها. ولكون الشريعة الإسلامية هي الخاتمة للشرائع السماوية ولا بد لها أن تتناسب مع كل زمان يثبت الشهيد الصدر أن الدستور الإسلامي فيه نوعان من الأحكام الأول ما هو ثابت ومتفق عليه والثاني ما هو متغير ومتحرك بحسب طبيعة الظرف الذي تعيشه الأمة ومتطلبات العصر التي تزايد تعقيداً يوماً بعد يوم وهو ما اصطلاح عليه منطقة الفراغ. ما أدقه من تشبيه حيث إن هذه المنطقة غير ثابتة قد تتوسع أو تضيق ومن جهة أخرى لا بد من ملئها بالأحكام والتشريعات المطلوبة.

بذلك توصل سماحته إلى أنه لا غنى عن وجود سلطة تشريعية تكون مهمتها تشريع القوانين تلبية لحاجات المجتمع وهذه التشريعات إنما هي امتداد طولي للأوامر الإلهية ولا تتعارض مع كون الله سبحانه وتعالى المصدر الحقيقي للسلطات ومنها التشريع حيث يذكر سماحته: «إن السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية قد أسندت ممارستها إلى الأمة، فالأمة هي صاحبة الحق في ممارسة هاتين السلطتين بالطريقة التي يعينها الدستور وهذا الحق حق



استخلاف ورعاية مستمدة من مصدر السلطات الحقيقي وهو الله تعالى». ومن المناسب هنا ذكر تعليق الباحث شبلي الملاط في كتابه تجديد الفقه الإسلامي على هذه العبارة: «إلى جانب كون الولاية أي السيادة أو السلطة العليا منوطة بالخالق يسلم نظام الصدر أيضاً ببواعث شرعية منبثقة عن الشعب أو كما يتردد في رسالته الدستورية بأسس مستمدة من الأمة» (٨).

مبادئ الديمقراطية:

على الرغم من اتفاق الباحثين والمختصين على أن مصطلح الديمقراطية أصله إغريقي وجاء من دمج كلمتي ديموس ومعناها الشعب وكراتوس ومعناها حكم - أي حكم الشعب - يبقى تعريف الديمقراطية بالمعنى الجامع المانع الذي يحتوي كل مفرداتها غير واضح. فمنهم من ينظر للديمقراطية على إنها فلسفة ونظرية للحكم وآخرون يرونها منهجاً تطبيقياً لآلية إدارة شؤون الدولة ولكن يذكر الباحث يوروفسكي أستاذ التاريخ والسياسة العامة في جامعة كومنولث في الولايات المتحدة إن أنسب تعريف للديمقراطية هو عبارة الرئيس الأمريكي السابق لينكولن التي أطلقها عام ١٨٦٣ م: «حكومة من الشعب يختارها الشعب من أجل الشعب يجب أن لا تزول

من على وجه الأرض» (٩). ويبين الأستاذ يوروفسكي أن أهداف الديمقراطية يمكن جمعها في ثلاثة أمور: الأول السلطة النهائية في يد الشعب والثاني على سلطات الحكم أن تبقى مقيدة والثالث على حقوق الأفراد أن تبقى مصانة. ويضيف يوروفسكي أنه بالرغم من ذلك لا يمكن وضع نموذج واحد للديمقراطية في جميع بقاع العالم بل على كل بلد أن يقيم حكماً ينبع من ثقافة تاريخه، على أية حال حاول يوروفسكي مع مجموعة من الأساتذة المختصين وضع مبادئ أساسية للديمقراطية ينبغي أن تكون متواجدة بطريقة أو بأخرى في كل حكم ديمقراطي وتوصلوا إلى أن الأسس الجوهرية يمكن حصرها في أحد عشر مبدأً تلخص بالآتي (٩):

١- الدستورية أو حكم القانون: وتعنى أن يكون لسلطة القيادات ومؤسسات الحكم حدود وأن يكون فرض هذه الحدود ممكناً من خلال إجراءات قائمة وبوصفها مجموعة من المبادئ الأساسية والقانونية. إن الدستورية تعني حكماً مكرساً في المقام الأول لخير المجتمع بأكمله ولصون حقوق الأفراد.

٢- الانتخابات الديمقراطية: الحكومات تستمد سلطاتها من رضا المحكومين



والانتخابات الحرة النزينة ضرورية لضمان رضا المحكومين الذي يشكل أساس السياسة الديمقراطية.

٣- الفيدرالية: هي نظام توزيع الصلاحيات بين حكومتين أو أكثر تمارسان السلطة على مجموعة الناس نفسها وعلى الإقليم الجغرافي ذاته. وليست الفيدرالية شرطاً لنجاح الديمقراطية ولكنها عنصر وقاية

مهم في البلدان الكبيرة المتنوعة السكان.

٤- سن القوانين: إن صنع القوانين بطريقة ديمقراطية هي موافقة المحكومين وإشراك الشعب في كافة مستويات وضع القوانين. والأمر المهم في ذلك هو الشعور بالخضوع إلى محاسبة المواطنين وضرورة تلبية رغبات الشعب بسن القوانين التي فيها مصلحته وإلا تواجه هيئات صنع القانون الهزيمة في الانتخابات المقبلة.

٥- القضاء المستقل: المحاكم شديدة التأثير في الأنظمة الديمقراطية وتعتبر الوسيلة التي يتم بواسطتها تفسير التقييدات الدستورية وتطبيقها.

لذلك بوسعها إعلان بطلان قرارات أو قوانين تصدر عن البرلمان

باعتبارها مخالفة للدستور وكذلك هي المدافع الأكبر عن حقوق الإنسان فإذا كانت الديمقراطية الحقيقية هي حكم الأغلبية فحماية حقوق الأفراد وتأمينها هي المهمة الأساسية للنظام القضائي. وهذا لا يتحقق إلا باستقلال النظام القضائي.

٦- صلاحيات الرئاسة: في النظام الديمقراطي يتمكن الشعب من أن يمنع رئيساً متسلحاً بسلطة امتيازيه كبيرة من أن يصبح ديكتاتوراً من خلال المبادئ التالية: الفصل بين السلطات وعدم ممارسة السلطة لفترة طويلة دون خضوعها لمراجعة تشريعية أو قضائية واعتماد الفيدرالية بحيث إنه في حال فشل المؤسسات القومية يمكن للولايات أن تعمل واعتماد الديمقراطية بحيث يظل الرئيس وحزبه مسؤولين أمام الناخبين خلال فترة محددة. إن السلطة الرئاسية إلى حد كبير هي القدرة على إقناع مجلس النواب والشعب بدعم التغييرات المهمة في السياسة العامة.

٧- دور وسائل الإعلام الحرة: من أجل أن يعتبر أي مجتمع بأنه حقاً



ديمقراطي عليه أن يؤمن درجة عالية من الحماية للتعبير عن الفكر المنشور حيث يمكن لوسائل الأعلام التقصي عن أعمال الحكم ونشر أخباره دون خشية. وبذلك تعمل وسائل الإعلام كوكيل عن المواطن بحيث تنقل إليه المعلومات الخاصة عن برامج عمل الحكومة.

٨- حق الشعب في أن يعرف: على أعمال الحكم أن تكون شفافة قدر الإمكان أي أن المداومات والقرارات يجب أن تكون متاحة لتدقيق الناس ومن الواضح إنه لا يجوز أن تكون كل أعمال الحكومة علنية ولكن للمواطنين الحق في معرفة كيف تصرف أموال الضرائب التي تجبى منهم وما إذا كانت المحاكم تتمتع بالكفاءة والفعالية وما إذا كان المسؤولون المنتخبين يتصرفون بمسؤولية.

٩- حماية حقوق الأقليات: ما من مجتمع يمكنه أن يطمح لأن يسمى نفسه مجتمعاً ديمقراطياً إذا كان يستثني بصورة منتظمة جماعات معينة من سكانه من الحماية الكاملة للقوانين. والنظام الديمقراطي لا يجب عليه أن يسعى لحماية الأقليات

من الاضطهاد فقط بل عليه إعطاء الفرصة لهم للمشاركة في حياة المجتمع كمواطنين كاملي المواطنة ومتساوين مع غيرهم.

١٠- السيطرة المدنية على المؤسسات العسكرية: ينبغي أن لا تكون القوات العسكرية خاضعة لسيطرة السلطات المدنية فحسب بل ينبغي أن تكون لديها أيضاً ثقافة تؤكد أن دور القوات المسلحة هو خدمة المجتمع لا حكمه.

١١- دور جماعات المصالح: من أجل أن يسمع الناخبون أصواتهم في صدد قضايا معينة ينشئ المواطنون مجموعات ضغط - أو لوبي باللغة الإنكليزية - للدفاع عن مصالح عامة أو خاصة وتعمل على تحقيقها ومنظمات غير حكومية تكرر نفسها للعمل في سبيل قضية معينة. ويدعي البعض أن تلك المجموعات من أصحاب المصالح التي لديها الكثير من المال يمكنها إسماع صوتها بصورة أفضل مما تستطيعه مجموعات مصالح أخرى محدودة الموارد. بعض هذا الانتقاد محق ولكن الواقع هناك مئات من هذه المجموعات تساعد في توعية الناس



وصانعي السياسة عن أمور معينة. ١٠ - حق التملك والملكية العامة.

١١ - المتهم بريء حتى تثبت إدانته.

١٢ - الضمان الاجتماعي.

معالم الدساتير الحديثة في بلدان الديمقراطية

إن كانت تلك هي المعالم الدستورية المشتركة بين البلدان فهل هي من نتائج البشرية الحديثة بعد أن خاضت الكثير من النزاعات فيما بينها ووضعت العديد من النظريات لتحقيق رفاهية الإنسان؟ لغرض الإجابة على ذلك سيتم استعراض تلك المعالم في سيرة الامام أمير المؤمنين عليه السلام خلال حكمه أراضي واسعة يقودها بحكمته وعدله من عاصمته الكوفة.

فصل السلطات

تبنى أغلب دساتير العالم الحديثة على تقسيم سلطات الدولة إلى ثلاث سلطات: تشريعية وتنفيذية وقضائية ويعتبر الباحثون في مجال الفكر السياسي أن الفرنسي مونتسكيو والإنكليزي جون لوك هما أول من وضع نظرية واضحة للمبدأ الفصل بين السلطات بالرغم من ورود هذا المعنى على لسان بعض الفلاسفة في أوقات سابقة. لقد ذكر جون لوك في كتابه عن الحكومة المدنية الصادر سنة ١٦٨٨م إن السلطة تنقسم إلى سلطة تشريعية تكون في يد ممثلي الشعب وسلطة

تفخر البلدان المتقدمة بكونها راعية أنظمة الديمقراطية الحديثة حيث تحكم إلى الدساتير الموضوعية فيها في إدارة شؤون البلاد وتضمن تحقيق المفاهيم الأساسية للديمقراطية الوارد ذكرها آنفاً. ويمكن تمييز مجموعة من المعالم الرئيسية المشتركة بين هذه الدساتير يمكن إيجازها بالنقاط الآتية:

١ - فصل السلطات.

٢ - استقلال القضاء.

٣ - اللامركزية في الحكم.

٤ - التنمية الاقتصادية.

٥ - مراعاة السلام والالتزام بالعهود الدولية.

٦ - حرية العقيدة وحرية العبادة.

٧ - حرية التعبير عن الرأي.

٨ - المساواة أمام القانون.

٩ - حق الحياة وحق الحرية.





كمبدأ دستوري واضح. فالتشريع في عهد الرسالة لم يكن إلا ما يأتي به الوحي عن الله عز وجل ولم يكن لرسول الله ﷺ يد فيه، أما سلطة التنفيذ فكانت بيده ﷺ فقد اجتمعت في يده وظائف الدولة من حكم وقيادة وإدارة. أما القضاء فقد كان ﷺ يقضي بين الخصوم بنفسه أما في المناطق البعيدة عنه فكان يعين لها القضاة المستقلين عن العمال أو الولاة ويتبين ذلك من إرساله معاذ قاضياً إلى اليمن.

ومع انتقال السلطة إلى الخلفاء ظل التشريع مستقلاً استقلالاً تاماً عن سلطة الخلفاء حيث أدى الفقهاء مهمتهم في فهم النصوص وأعملوا قواعدهم الأصولية في استخراج الأحكام الشرعية (١٠).

إن في عبارة الإمام علي عليه السلام التي تضمنها عهده إلى مالك الأشتر: «واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشت عليه كثيرها» فيها دلالة مباشرة على ضرورة تقسيم السلطة وعدم تركيزها في جهة واحدة. وقد علق الباحث توفيق الفكيكي على هذه العبارة بقوله: من منا يدري أن الإمام عليه السلام كان قد قرر قاعدة دستورية أخذت بها دساتير الدول كافة في القرن العشرين ولم تتوصل إليها فرنسا إلا بعد ثورتها التاريخية الكبرى. إن انفصال السلطات في عرف

تنفيذية تنفذ القوانين وتخضع الأفراد لطاعة الحكومة وسلطة فيدرالية تتكون ممن يعينهم الملك من ممثلي المقاطعات والمدن وهذه السلطات يجب أن تكون منفصلة عن بعضها.

أما مونتسكيو فقد وضع المبدأ بشكل كامل في كتابه روح القوانين الصادر سنة ١٧٤٨م حيث قال: توجد في كل حكومة ثلاث سلطات سلطة تشريعية تنظر في المسائل المتعلقة بقانون الأمم وتضع القوانين الوقتية والدائمة وسلطة تنفيذية تنظر في المسائل المتعلقة بالقانون المدني وتعلن الحرب أو السلم وتصدر وتستورد وسلطة قضائية تعاقب المجرمين وتفض المنازعات التي تقوم بين المواطنين. والمهم إن مونتسكيو أظهر خطورة تركز هذه الوظائف في شخص واحد أو هيئة واحدة وذلك بقوله: عندما تجتمع في شخص واحد أو في هيئة واحدة من الحكام السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية لم يعد ثمة حرية (١٠).

أما بالنسبة لموضوع السلطات والفصل بينها في الدولة الإسلامية التي نشأت في صدر الإسلام فقد بين الشيخ مصطفى ملص بأن الوقائع المنقولة منذ عهد النبي ﷺ توضح بأن فصل السلطات أو الوظائف كان قائماً عملياً وإن لم يظهر



مونتسكيو هو آمن وسيلة للحيلولة دون أن يؤول شكل الحكومة إلى حكم الفرد حتى تدرك الدولة غرضها وهو ضمان الحرية. وينقل الفكيكي تعليق الأستاذ أحمد وفيق في كتابه علم الدولة على هذا الرأي بقوله لا مناص عندما تكون السلطات في أي دولة مجتمعة في يد واحدة سواء كان فرداً أم جماعة من أن تكون الحرية العامة في خطر فإذا أردنا أن ندفع الاضطهاد والإرهاب عن عاتق الرعايا فقد وجب أن نرسم قيام نظام للسلطات يؤدي إلى تعددها لتوزع عليها السيادة العامة توزيعاً تحدد معه قوة كل فرع فوق الفرع الآخر (١١).

استقلال القضاء:

إن السلطة القضائية منفصلة عن السلطات الأخرى لما لها من دور مهم في تفسير المواد الدستورية وفض النزاعات بين السلطات المختلفة ولقد كان هذا المبدأ أساسياً في حكومة الامام علي عليه السلام وقد سنه لملك الأشتر في عهده له: «وأعطه - أي القاضي - من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك وانظر في ذلك نظراً بليغاً». ويعلق الشيخ جعفر السبحاني على عبارة الإمام عليه السلام بقوله: المقصود هو أن يكون للقاضي

موضع غير متأثر بأحد ليقضي بالحق ويفصل في الخصومات ويصدر الأحكام غير متهيّب ولا متأثر وهذا ما يصطلح عليه السياسيون اليوم باستقلال السلطة القضائية (١٢).

أما الباحث توفيق الفكيكي فيذكر أن هذا النص تشريع لاستقلال القضاء وقد تضمن قاعدة هي من أهم القواعد الدستورية التي تناولها التشريع الحديث في هذا العصر لحماية المحاكم من التأثير والتدخل في شؤونها.

اللامركزية في الحكم والإدارة:

اللامركزية في اللغة هي عملية توزيع الوظائف، والسلطات، والأشخاص أو الأشياء بعيداً عن موقع مركزي أو سلطة (١٣). ويذكر الباحث مصطفى النمر في دراسته المعنونة «اللامركزية في الحكم: المفاهيم والأنماط» بأنه بالرغم من وجود تعريفات مختلفة للامركزية من حيث النظرية والتطبيق تعتبر الاستراتيجية الفاعلة في مجالات التنمية الإدارية (١٤)، ويضيف النمر بأن الحديث عن التنمية في السنوات الأخيرة أدى إلى النقاش المستمر حول فاعلية اللامركزية كشرط للوصول إلى التنمية المستدامة وأيضاً كمكون رئيسي من مكونات الحكم الرشيد. تؤكد الباحثة تسنيم عبد الرحيم المعنى نفسه في دراستها



تخضع للمحاسبة من قبل الحكومة بشكل رئيسي».

النمط الثالث - هو استراتيجية نقل السلطة حيث تقم فيها الحكومة كما يصفها النمر «بنقل جانب من سلطة اتخاذ القرار والإدارة والتنفيذ والتمويل لمشاريع معينة أو برامج محددة إلى وحدات شبه مستقلة للحكم المحلي ذات طابع مؤسسي».

النمط الرابع - هو استراتيجية التخصص وبيّن النمر بأنه «توزيع أدوار ووظائف الحكومة ونقلها إلى منظمات تطوعية أو السماح بإدارتها من قبل القطاع الخاص». وبهذا يتضح الاختلاف في تعريف اللامركزية في الحكم بين الباحثين كونها تعتمد على البيئة التي تُطبق فيها ونمط التطبيق.

من أشكال الحكم اللامركزي في الدساتير العالمية هو النظام الاتحادي - أو الفيدرالي - ويقصد به النظام السياسي الذي ينظم العلاقة بين طرفين أو أكثر قد يمثلون دولا أو أقاليم متجاورة أو تفصل بينها أقاليم أو موانع طبيعية (١٦) ويعرفه آخرون بأنه نظام توزيع الصلاحيات بين حكومتين أو أكثر تمارسان السلطة على مجموعة الناس نفسها وعلى الإقليم الجغرافي ذاته (٩). النظام الاتحادي يُطبق

المقدمة إلى مؤسسة كارنيجي للمنح من أجل السلام العالمي: «تساهم المنظومة اللامركزية في تسهيل تطوير إجراءات واستخدامها لمراقبة الحكم المحلي، مثل إشراك المجتمع المدني في الاجتماعات، والانفتاح على وسائل الإعلام. في ظل النموذج اللامركزي، يصبح المواطنون المحرك الأساسي للتنمية المحلية، بدلاً من الحكومة المركزية التي تعطي الأولوية لمسائل أخرى، وغالب الظن أنها تتجاهل الطاقات المحلية» (١٥).

يمكن تقسيم الأنماط التطبيقية للامركزية في الإدارة والحكم إلى أربعة أنواع سيتم استعراضها بشكل موجز (١٤):

النمط الأول - هو استراتيجية عدم التكسب ويعرفها النمر بكونها «نقل القوة العاملة من الحكومة المركزية أو القطاع المركزي من مقر الحكومة الرئيسي في العاصمة إلى طاقم موظفين في مكاتب خارج حدود العاصمة مع عدم إعطاء السلطة لهؤلاء الموظفين في تقرير كيفية تنفيذ المهام».

النمط الثاني - هو استراتيجية التفويض ويعرفها النمر بأنها «نقل مسؤولية إدارة المهام واتخاذ القرار إلى مؤسسات عامة شبه حكومية أو شبه مستقلة لا تخضع بشكل كامل تحت سيطرة الحكومة لكنها





نسب التمثيل فيه على عدد السكان في كل إقليم والثاني مجلس آخر قد يسمى مجلس الشيوخ - أو مجلس الأعيان كما في دستور العراق سنة ١٩٢٥م - أو مجلس الاتحاد كما سمي في نص المادة (٦٣) من الدستور العراقي الحالي (١٩) ويتم تكوينه بأسلوب معين بحيث يحافظ على نسب تمثيل متوازنة - كأن تكون متساوية أو متقاربة - للأقاليم. تُتخذ القرارات بالتوافق بين هذين المجلسين وبذلك لا تتحكم الأقاليم الكبيرة أو الأكثرية في مجلس النواب بالأقاليم الصغيرة أو بالأقليات.

طرح البعض الباحثين في الفكر السياسي رأياً مفاده أن النظام الاتحادي قد طبقته الدولة الإسلامية في نظام الولايات والأمصار قبل انتشاره في أميركا وأوروبا. وذهب آخرون عند تحليلهم لأسلوب إدارة الأمصار من قبل أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن الدولة الإسلامية كانت تتبع نظام اللامركزية بحيث يتمتع الولاة بصلاحيات واسعة جداً تخولهم اتخاذ القرار السياسي ولكن الخليفة يستطيع أن يتدخل في كل وقت في هذه الصلاحيات فالدولة أشبه بالكونفدرالية - وهو نظام يجمع دولاً مستقلة عن بعضها في اتحاد معين كالاتحاد الأوروبي مثلاً - لكنها وحدوية تخضع لنظام تشريعي مركزي من قبل الحكومة

حالياً في ما يقارب من ٢٥ دولة في العالم يسكن فيها ٤٠٪ من مجموع سكان العالم تقريباً (١٧). وتتكون الأنظمة الاتحادية عن طريقين:

الأول - هو تحول دولة مركزية إلى دولة اتحادية كما حدث في بلجيكا عام ١٩٩٣م.

والثاني - هو اتحاد مناطق مختلفة لا تخضع لدولة واحدة بقرار جماعي منها لشكيل دولة اتحادية تحفظ مصالح الجميع كما حدث في الولايات المتحدة بعد استقلالها عن بريطانيا عام ١٧٧٦م (١٨).

النظام الاتحادي فيه حكومتان حكومة مركزية تمارس صلاحيات معينة على جميع الأقاليم وأخرى محلية لكل إقليم تكون سلطتها محدودة بحدوده الجغرافية. وغالباً ما يستخدم هذا النوع من الأنظمة في البلدان التي تحتوي على تنوع سكاني على أساس ديني أو عرقي أو ثقافي ويلجأ إليه لتكوين دولة توحد هذه المجاميع المختلفة وتحافظ على مصالحها المشتركة - أو الوطنية - مع إبقاء الخصوصية والحرية المناسبة لكل منها في إدارة شؤونها، وبالتالي منع استبداد فئة دون أخرى واستئثارها بالسلطة واتخاذ القرار. لذلك تتكون السلطة التشريعية في غالبية الدول الاتحادية من مجلسين الأول مجلس النواب الذي يتكون بالانتخاب المباشر فتعتمد



الموجودة في العاصمة (٢٠).

ويذكر الشيخ اللكراني في هذا المجال: ولعل هناك من يعتقد بأن هذه الصلاحيات - في الأمور المالية والعسكرية والقضائية الثقافية - التي فوضها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لمالك الأشتر تفيد إن الأساس الذي اعتمده الإمام عليه السلام في حكمه، وبعبارة أخرى أسلوب الحكم في الإسلام هو الحكومة اللامركزية وإن الإسلام لا يقر الحكومة المركزية، وينقض سماحته هذه الفكرة بقوله: إن هذا الاعتقاد لا يبدو صحيحاً بالاستناد إلى أسلوبه الذي اتبعه عليه السلام مع سائر أصحابه فقد اتبع الأسلوب المركزي مع الأشعث بن قيس فمنحه صلاحيات قليلة، فقد جاء في كتابه عليه السلام إليه عندما كان عامله على أذربيجان: «وإن عملك ليس بطعمة ولكنه في عنقك أمانة وأنت مسترعى لمن فوقك ليس لك أن تفتت في رعية (أي تقرر بشأنهم دون الرجوع إلى من فوقك) ولا تخاطر إلا بوثيقة وفي يديك مال من مال الله عز وجل وأنت من خزانة حتى تسلمه إلي ولعلي لا أكون شر ولاتك لك» (٢١).

ويربط الشيخ اللكراني بين اختلاف الصلاحيات والفوارق بين إمكانيات الولاية بقوله: إن هذه الفوارق في حجم الصلاحيات معلولة للتفاوت بين مكانة

وقدرات صحابته لا إلى أساس الحكومة في الإسلام. فالخصائص التي ميزت شخصية مالك الأشتر والصلاحيات التي منحها إياه الإمام توضح ثقته المطلقة عليه السلام بمالك بالشكل الذي جعل الإمام لا يرى ضرورة للإشراف على سلوكية مالك ومنهجه في الحكومة على الخلاف من سائر صحبه الذين لا يتمتعون بصفات مالك الأمر الذي جعله يفوضهم صلاحيات أقل ويخضع أعمالهم وممارساتهم للإشراف والسيطرة (٢١). ولعل هذا الاختلاف في مقدار الصلاحيات الممنوحة من قبل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للحكومات المحلية يتوافق مع الأنماط المتفاوتة للحكم اللامركزي التي ذكرها د. مصطفى النمر وورد ذكرها آنفاً.

مع اختلاف طبيعة العصر الذي نعيشه الآن وتعقيداته عن ذلك الذي كان في القرن الأول الهجري لا يمكن تصور إمكانية استنساخ أسلوب للحكم بكافة تفاصيله لكافة الأزمان ولكن يمكن استخلاص مبادئ أساسية يقوم عليها تنظيم الدولة وتوزيع الصلاحيات فيها. وانطلاقاً من الصورة التي رسمها الشيخ اللكراني في تفويض الإمام عليه السلام مالك قيادة مصر بصلاحيات كاملة يمكن تصور إن مقام الوالي في مصر يمثل الدولة المركزية





وما جاء من أوامر في عهده عليه السلام إلى مالك إنما هي الصلاحيات التي لا ينبغي للحكومة المركزية أن تتخلى عنها غيرها.

لا شك أن عبارة الإمام عليه السلام «واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشت عليه كثيرها» فيها دلالة واضحة على وجود سلطات أخرى مع السلطة المركزية المتمثلة بمالك الأشتر ووزرائه، وهذه سلطات حقيقية يُشترط فيها أمران: أن تكون محلية - تأمل عبارة الإمام رأساً منهم - تمارس الحكم في موقعها وأن تتوفر فيها صفات القيادة من التمكن والإحاطة. من هذه الفرضيات يمكن استنتاج صلاحيات الحكومة المركزية من مراجعة عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر والتي نوجزها بالنقاط الآتية:

١- الأهداف الرئيسية للحكومة المركزية عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تتلخص بأربعة أمور: إدارة موارد البلد الرئيسية ورعاية شؤون الدفاع عنه والإصلاح الاجتماعي من خلال البرامج المختلفة والإعمار والتنمية بإنشاء مشاريع البنية التحتية وغيرها. ولقد جاءت هذه المعاني في مطلع كتابه عليه السلام حيث قال: «هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين

مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها».

٢- ميزانية الجيش والدفاع تعتمد على موارد الدولة المركزية حيث قال عليه السلام: «ثم لا قوام للجند إلا بما يخرج الله لهم من الخراج» فالخراج هو المورد الأساسي للدولة كما تم توضيحه سابقاً.

٣- العلاقات الخارجية وتوقيع المعاهدات وشؤون الحرب والسلام منطقة بالحكومة المركزية بدليل قوله عليه السلام: «ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك.... إلى قوله عليه السلام وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء».

٤- السلطة المركزية تعين القضاة فقد أمر الإمام عليه السلام مالكاً في عهده له بقوله: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيك في نفسك».

٥- الحكومة المركزية مسؤولة عن تطوير مصادر التمويل الرئيسية لاقتصاد البلد فلما كانت الدولة قديماً تعتمد على خراج الأراضي الزراعية بين الإمام عليه السلام لمالك الأشتر



وذلك من خلال تقديم العون للمزارعين في توفير المياه وتنظيم عمليات السقي وشق الأنهار وإيجاد السدود وشق الطرق بين الأراضي الزراعية، وفي هذه الحالة يحق للدولة أن تتوقع جباية الخراج وإلا أصيب القطاع الزراعي بالشلل وتعذر على المزارعين تأمين معاشهم وحاجاتهم عن طريق الزراعة فإن فرض الضرائب على الأمة سيستنزف جهودها ويحملها فوق طاقتها الأمر الذي يثير سخطها وغضبها وبالتالي ستندفع البلاد إلى حالة من الفوضى وعدم الأمن وسقوط الدولة (٢١). إذن يقرر الإمام علي عليه السلام أن على الدولة ألا تخطط فقط لإنفاق ما تملكه من موارد بل عليها وضع الخطط الاستثمارية لتنمية هذه الموارد بما يعود بالنفع على المواطنين وتحقيق الاستقلال الاقتصادي للبلد.

مراعاة السلام والالتزام بالعهود الدولية

قد يكون السلام اليوم من أغلى الأهداف التي تسعى البشرية لتحقيقها بعد تزايد الحروب وأعمال العنف وظهور لغة السلاح على لغة الحوار في حل النزاعات بين بني البشر. ويحاول الشيخ جعفر السبحاني التوغل في عمق التاريخ الإسلامي لاستبيان السياسة العامة لدولة

أن على الدولة المركزية في مصر المتمثلة بالوالي عمارة الأرض لزيادة خراجها بقوله عليه السلام: «وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج».

التنمية الاقتصادية

إن السياسة التي نهض بها الإمام علي عليه السلام لإصلاح الدولة الإسلامية ومواردها الاقتصادية اعتمدت بشكل كامل على التنمية فقد سن لواليه على مصر مالك الأشتر عليه السلام قانوناً في هذا المجال حينما كتب له في عهده: «وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً».

يبين الشيخ فاضل اللنكراني في شرحه لهذه العبارة من عهد الإمام عليه السلام أن الدولة في صدر الإسلام كانت تعتمد على الزراعة أكثر من اعتمادها على أي مورد اقتصادي آخر كالصناعة والتجارة، والخراج هنا يعني تلك الضريبة التي تفرضها الدولة على الأراضي الزراعية. ويضيف سماحته أن الدولة إذا أرادت أن تعول على الضرائب والخراج فإن عليها أن تعد مقدماتها وتمهد السبيل أمامها



جاء قريشاً من مع محمد لم يردوه عليه. أنظر كيف رضي النبي ﷺ بحذف لقبه توخياً للسلام وطلباً للصلح وانظر كم بلغت مرونة الإسلام حتى إن النبي ﷺ رضي في عهده أن يعيد الهارب من صفوف الكفار في حين التزم بأن لا يعيدوا إليه من ترك صفوف المسلمين وهرب إلى قريش وهو غاية في التنازل بهدف إقرار السلام (١٢).

ويمكن أن يضاف إلى كلام الشيخ السبحاني أن النبي ﷺ لم يدخل في صلح الحديبية مع قريش والدولة الإسلامية في موقع ضعف - كما يحصل اليوم حين يفرض القوي سلاماً مشروطاً على الضعيف - بل كانت قريش قد تلقت هزائم مريرة على يد المسلمين وأرادت نهي النبي ﷺ عن دخول مكة لأداء العمرة مع جيشه. ولا يعني دخوله ﷺ في الصلح تخليه عن الأهداف التي كان يسعى إليها من نشر الدعوة الإسلامية وإنقاذ المظلومين في شتى بقاع الأرض بل هو إتباع لأساليب أخرى للوصول إلى تلك الأهداف بل إن الوسائل السلمية عنده ﷺ مقدمة على غيرها بدليل وصيته لأُمير المؤمنين عليه السلام حين بعثه إلى اليمن: «يا علي لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام وأيم الله لئن يهدي الله عز وجل

النبي ﷺ في مجال الحرب والسلام ولا سيما العلاقة مع مشركي قريش - وهم الدولة الجارة المعادية - فيقول:

وأقدم دليل على توخي الإسلام للتعایش السلمي والسعي إليه بكل وسيلة ممكنة ما دام الخصم لا يريد العدوان تلك الوثيقة المعروفة التي وقعها الرسول الأكرم ﷺ مع قريش في الحديبية فإن فيها مواداً تدل على مدى اهتمام الإسلام بقضية السلام والتعايش السلمي ومدى سعيه لإقراره ما أمكنه. فإن الرسول الأكرم ﷺ لما أراد أن يكتب وثيقة الصلح بينه وبين أهل مكة دعا ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن أكتب باسمك اللهم فقال رسول الله ﷺ: أكتب باسمك اللهم فكتب ثم قال أكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن أكتب اسمك واسم أبيك فقال رسول الله ﷺ: أكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحنا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن



على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه شمس وغربت» (٢٢).

أما سياسة الإمام علي عليه السلام في الدعوة إلى السلام فإننا نراها واضحة تماماً فيما سنه لواليه على مصر من قوانين حيث جاء في عهده إلى مالك الأشتر عليه السلام: «ولا تدفعن صلحاً دعاك إليه عدوك والله فيه رضا فإن في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل - أي ليلقي عليك غفلة فيغدرك فيها - فخذ بالحزم وأقم في ذلك حسن الظن». هكذا كانت تعامل الدولة الإسلامية أعداءها في عهد الإمام علي عليه السلام فكيف كانت علاقتها مع الدول الصديقة والتي تشترك معها في المصالح؟ والإمام علي عليه السلام في هذه العبارة يثبت أن السلام المشروط فيه رضا الله تعالى ومصلحة الإسلام هو الحالة الأفضل لتعزيز أركان الدولة وتقويتها بدل دخولها في حروب تحطم اقتصادها وتآكل أبنائها فيقل شأنها بين الأمم.

إن أساس بناء علاقات سليمة للدولة مع الدول الأخرى هو الالتزام بالعهود والمواثيق الدولية ولم يغفل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن تلك النقطة المهمة في عهده إلى مالك الأشتر فقد جاء فيه:

«وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمتك بالأمانة واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود»، ويعلق على هذه العبارة الباحث توفيق الفكيكي في كتابه الراعي والرعية (١١) بقوله: «والقانون الدولي يقرر إن المعاهدات إنما تُعقد لتُحترم لأنه إن سُمح للدولة أن تتخلص من عهودها متى أرادت لما بقي شيء ثابت في الحياة الدولية فاستخدام القوة في الإخلال بالتزام دولي لا يفيد المعتدي في التخلص من تعهداته في نظر القانون الدولي.

إن الإمام علي عليه السلام يقرر إن الأرضية المشتركة التي يلتقي عندها بني البشر مهما اختلفت آراؤهم وأهوائهم هي احترام العهود ولو تلتفت الدول إلى هذا الأمر لعَمَّ السلام فلا توجد بؤرة للتوتر أو نزاعاً مسلحاً في العالم إلا وهناك قرار معطل للأمم المتحدة.

حرية العقيدة وحرية العبادة

يعرف الشيخ جعفر السبحاني حرية العقيدة بأن لكل إنسان الحق في اختيار ما يراه من عقيدة واعتناق ما يريده من فكرة دون أن يجوز لأحد إجباره على



وأعواني وأهل ملتي وأتباعي كأنهم رعتي وأهل ذمتي» (١٢).

الحكومة الإسلامية في عهد النبي ﷺ أقرت حرية العقيدة وحرية ممارستها بل تعهدت بحماية الأقليات الدينية ومساواتهم بباقي المواطنين. وحتى في الوثيقة التي كتبها النبي ﷺ عند تأسيس الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة كان هناك بند يخص اليهود من ساكني المدينة جاء فيه: «يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ - أي يهلك - إلا نفسه». وقد استفاد الباحث عبد الرزاق الصالحي من هذا البند ليقرر إن المواطنة لا تساوي الانتماء الديني دائماً بل يمكن أن تفترق عنه حين يكون المجتمع السياسي مكوناً من فئات انتماء ديني متنوع (٤).

لم تختلف سياسة الامام أمير المؤمنين عليه السلام مع الأقليات الدينية عند تسنمه كرسي الخلافة عن تلك التي سار عليها خاتم الأنبياء ﷺ فعندما أقدم بسر بن أرطاة أحد قادة معاوية على الهجوم على الأنبار وقام بسلب المرأة المسلمة والمعاودة - أي من نساء الأديان الأخرى - تألم الإمام عليه السلام من أجلهما دون أن يفرق بين مسلمة وكتابية وقال: «ولقد بلغني إن الرجل منهم

غيرها واستدل بالإشارة المباشرة للآية القرآنية: «لا إكراه في الدين» (البقرة ٢٥٦). ويخلص إلى مبدأ مهم في نظرية الحكم الإسلامي وهو عدم جواز إجبار الكافر (الكتابي أو غير الكتابي) على اعتناق الإسلام أو يمنع الوثني إذا أراد أن يعتنق إحدى الشرائع الكتابية الأخرى أو أراد أن ينتقل من وثنية إلى وثنية أخرى (١٢).

وقد التزم النبي الأكرم ﷺ بذلك في حكومته عندما كتب لأبي الحارث بن علقمة أسقف نجران: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي إلى الأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ومن تبعهم ورهبانهم لهم ما تحت أيديهم من قليل وكثير من بيعهم - أي أماكن عبادتهم - وصلواتهم ورهبانيتهم وجوار الله ورسوله لا يغير أسقف من أسقفية ولا راهب من رهبانته ولا كاهن من كهانته ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا شيء مما كانوا عليه ما نصحوا وصلحوا فيما عليهم غير مثقلين بظلم ولا ظالمين». ومن عهد له عليه السلام: «هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله إلى كافة الناس أجمعين بشيراً ونذيراً... إلى قوله عليه السلام وإن احتمى راهب أو سائح في جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو ردة أو بيعة فأنا أكون من ورائهم ذابة عنهم كل عدة لهم بنفسي



كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فيتتزع حجلها وقلائدها.... إلى قوله ﷺ فلو إن أمراً مسلماً مات بعد ذلك هذا أسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً» (٥).

يذكر د. حسن جابر في بحثه عن الحريات السياسية في حكم الإمام علي ﷺ أنه عليه السلام قد نظر إلى هذه الأقليات من زاويتين الأولى الزاوية الإنسانية وحرية كل فرد في أن يختار المعتقد الذي يراه مناسباً طالما أن اختيار الدين هو فعل إرادي له مفاعيله التربوية المبنية من الداخل ولا يصح الإكراه الخارجي الذي إن وقع لا يخدم كثيراً في تحريك السلوك بصورة تلقائية ولعل الآية القرآنية ناظرة إلى هذا البعد عندما تنفي الإكراه عن الدين مطلقاً. والثانية الزاوية المواطنة فالأقليات التي ارتضت أن تبقى تحت حماية الدولة ورعايتها عبرت عن ذلك ببقائها مسالمة في دار الإسلام تتطلب بالمقابل كل ما يضمن لها العيش الكريم الآمن وهو ما حرص الإمام ﷺ على تجسيده (٢٣).

حرية التعبير عن الرأي:

من الحريات التي تفخر بها الشعوب المتحضرة هي حرية التعبير وحرية الإعلام وقد امتازت الفترة السيرة بالمقياس الزمني التي حكم فيها أمير

المؤمنين ﷺ بكثرة المعارضين له حتى كان يوصي أصحابه بأن لا يستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه وأن لا يعرفوا الحق بكثرة الرجال حتى قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. ولقد كانت سياسته ﷺ إطلاق حرية الرأي والمعارضة ففي إحدى المرات التي كان يخطب فيها من على منبر الكوفة انبرى له رجل ممن يكفرونه وقال قاصداً إياه ﷺ: قاتله الله كافرا ما افقهه، فتصدت له جماعة تريد قتله فمنعهم الإمام ﷺ ناهياً إياهم بقوله ﷺ: أتركوه فهو أما سب بسب أو عفو عن ذنب. ويعلق الباحث ضياء الموسوي على هذه الحادثة بقوله: وكأن الإمام أراد بذلك أن يؤسس تعددية ويقنن حرية النقد حتى لرأس السلطة فهو ليس فوق النقد وأكبر من أن يُنقَد فهل يوجد أكثر دلالة على التعددية السياسية من هذا الموقف وهو إعطاء مساحة واسعة من الحرية لانتقاد حتى الرجل الأول في السلطة (٥).

أما السيد محمد تقي الحكيم فيصف حرية الرأي في خلافته ﷺ بقوله: وكان موقفه من الخوارج وهم أشد معارضيهم وأكثرهم إيماناً بمبدئهم من أروع المواقف وأكثرها تعبيراً عن صيانتهم لهذا الحق فقد أباح لهم أن يسلكوا مختلف الأساليب للتعبير عن آرائهم وكانوا يعايشونه في



والحاجات والآمال والآلام فكلهم عباد الله تعالى على السواء وكلهم مخلوقون له من بدون استثناء فلماذا التمييز بين راعيهم ورعيهم وغنيهم وفقيرهم؟ إن الاختلاف في المكانة الاجتماعية والاقتصادية لا يمكن في نظر الإسلام أن يكون عاملاً موجباً لتفضيل بعض على بعض وإخضاع بعض للقانون دون آخر. والثاني لأن التمييز في الأخذ بالقانون وتطبيقه والخضوع له وجعل طائفة من الناس فوق القانون وأخرى محكومة به مما يوهن موضع القانون ويقلل من مهابته فينقضي الغرض المهم منه وهو تنظيم سلك المجتمع وإصلاح وضعه وتنسيق شؤونه (١٢). ويبين سماحته أن الرسول الكريم ﷺ قد جسد هذه المساواة بشكل عملي في حجة الوداع فإنه لما أبطل ما كان من الربا بين الناس بدأ بعمه العباس فأبطل ما كان له في ذمة الناس قائلاً: «إن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبدأ به ربا العباس بن عبد المطلب» بل وضع ﷺ قانوناً يبين عاقبة الأمم التي تترك نهج المساواة بين الناس في ما روي عنه: «أيها الناس إنما هلك من كان قبلكم إنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد».

في الفترة التي حكم فيها الامام أمير

البلد فتكلموا وخطبوا وتجهروا وجادلوا وقد تجاوزوا حدود الأدب حين قال قائلهم إنه لن يأتى بالإمام ولن يشهد معه صلاة ولن يأتى بما يأمر ولن يكون عليه سلطان ومع كل ذلك فلم يعرض الإمام لهم بسوء بل كان يجادلهم بنفسه تارة وبابن عمه عبد الله بن عباس أخرى حتى إذا خرجوا من الكوفة بمحض اختيارهم وشكلوا من أنفسهم عصابة تتعرض إلى الآخرين بالقوة لحملهم على اعتناق مبدئهم وكان ما كان منهم من إقلاق للرأي العام وتهديد الأمن والتعدي على الأبرياء أمثال قتلهم لعبد الله بن خباب وبقر بطن زوجته الحامل خرج إليهم الإمام ﷺ لتأديبهم (٢٤).

المساواة أمام القانون

يقول الشيخ جعفر السبحاني في تفسيره لآيات القرآن الكريم (مفاهيم القرآن) إن الإسلام يتميز بتركيزه الشديد على التسوية بين جميع أفراد البشر مهما اختلفت طبقاتهم وأوضاعهم الاجتماعية والسياسية وانتماءاتهم العشائرية وتعود هذه التسوية الإسلامية إلى أمرين أساسيين: الأول اعتقاد الإسلام بوحدة بني الإنسان جميعاً في المنشأ والعنصر فما داموا جميعاً بشراً من آدم وحواء وهما من تراب وطين وما داموا يشتركون في المشاعر والأحاسيس



بين الرعية في أرجاء الدولة وقد كتب لأحدهم: «أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيته فإنك إلا تفعل تظلم».

ولعل مثول الامام أمير المؤمنين عليه السلام أمام القضاء وهو رئيس الدولة جنباً إلى جنب مع خصم من أهل الكتاب أوضح مصداق للمساواة بين المواطنين أمام القانون مهما اختلفت مناصبهم. روي في كتب التاريخ بأن علياً عليه السلام وجد درعه عند نصراني فأقبل إلى شريح قاضيه وجلس إلى جانبه يخاصم النصراني مخاصمة رجل من رعاياه وقال: إن هذه درعي لم أبع ولم أهب فقال شريح للنصراني: ما يقول أمير المؤمنين؟ فقال النصراني: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي إلا بكاذب. فالتفت شريح إلى علي عليه السلام وقال: هل من بينة؟ قال عليه السلام: لا، فقضى شريح للنصراني فمشى هنيئة ثم أقبل وقال: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام النبيين، أمير المؤمنين يمشي بي إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله. الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين (٢٥).

المؤمنين عليه السلام الدولة الإسلامية هناك شواهد كثيرة على انتهاجه سياسة المساواة بين مواطني الدولة أمام القانون فقد أعلن عن ذلك عند توليه الخلافة حين قال في إحدى خطبه: «ألا وأي ما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله يرى إن الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النير غداً عند الله وثوابه وأجره على الله فأنتم عباد الله والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية ولا فضل فيه لأحد على أحد» (٢٤).

ولتكون سياسته عليه السلام أقوال وأفعال لا شعارات براقية فقط ويبدأ بنفسه قبل غيره وهو أول القوم إسلاماً قال لعمار بن ياسر عليه السلام: «يا عمار قم إلى بيت المال فأعط الناس ثلاثة دنائير لكل إنسان وارفع لي ثلاثة دنائير» (٢٢). وعندما اعترض عليه أحد الأنصار لمساواته في العطاء بينه وبين عبده الذي اعتقه منذ فترة وجيزة حيث أعطى الإمام كلاهما ثلاثة دنائير فساوى بين العبد ومولاه فاحتج المولى عليه قائلاً: «يا أمير المؤمنين هذا غلام اعتقته بالأمس تجعلنني وإياه سواء» فقال عليه السلام: «إني نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحق فضلاً» (٥). ولم يكتف عليه السلام بذلك بل كان يأمر ولاته على الأمصار بذلك ليعم العدل



حق الحياة وحق الحرية

يذكر السيد محمد تقي الحكيم في بحثه المقارن بين حقوق الإنسان المنصوص عليها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة ونظرة الدين الإسلامي لهذه الحقوق أن حق الحياة هو حق أن يحيا الإنسان ما دامت فيه قابلية الحياة. وبين السيد الحكيم أن هذا الحق قد كفلته الشريعة الإسلامية على أرفع صورة فالإسلام لا يسيغ حتى لصاحب الحق أن يعمد إلى إزالة حياته بيده كما لا يسيغ للمجتمع أو الدولة ذلك إلا في حالات يستثنيها الإسلام كتعدي صاحب الحق على الآخرين بإزهاق حياتهم (٢٤).

وسعى الامام أمير المؤمنين عليه السلام عندما تولى قيادة الأمة الإسلامية إلى حفظ هذا الحق فعندما أتاه الخريت بن راشد ذات يوم وقال له: إن خشيت أن يفسد عليك عبد الله بن وهب وزيد بن حصين - وهؤلاء من رؤوس الخوارج - وقد سمعتهم يذكرانك بأشياء لو سمعتهم لم تفارقهما حتى تقتلها فقال له الامام علي عليه السلام: إني مستشيرك فماذا تأمرني؟ فقال الخريت: أمرك أن تدعو بهما فتضرب رقابهما فقال له عليه السلام: لقد كان ينبغي أن تعلم إني لا أقتل من لم يقاتلني ولم يظهر لي عداوة وكان ينبغي لو أنني أردت قتلها

أن تقول إني الله لم تستحل قتلها ولم يقتل أحداً ولم ينبذك ولم يخرجك عن طاعتك. وحتى عندما ضربه ابن ملجم تلك الضربة القاتلة وهو رئيس الدولة ما كان ليقصص منه وما زال حياً بل قال: «إن أعش فأنا ولي دمي إما عفوت وإما اقتصصت وإن مت فألحقوه بي ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين» (٥).

ينقل السيد محمد تقي الحكيم عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عبارة (إن جميع البشر مولودون أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق وقد وهبوا العقل والضمير وعليهم أن يعملوا تجاه بعضهم بعضاً بروح الأخوة) ويعلق على ذلك بقوله إن من مفاخر الإنسان أن تجد هذا المضمون مؤكداً بلسان إمام المسلمين علي عليه السلام في أكثر من موضع من نهجه الخالد عندما يقول: «ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً» والجعل هنا بمعنى الخلق فهو يقول له الحرية خلقت فيك منذ خلقك الله وهي هبة الله فلا تبددها بالخضوع والعبودية لغيرك (٢٤).

حق التملك والملكية العامة

يذكر السيد محمد الشيرازي قدس سره في كتابه فقه العولمة أن الإسلام يقر الملكية الشخصية بشكل نزيه ويحترم أموال الناس كما يحترم أعراضهم ودماءهم ولا





يسمح لأحد ولا لجهة بالتصرف فيها إلا عن تراض حاصل بين الطرفين أو عن طيب نفس من المالك وذلك لما في تقرير هذه الملكية من منافع يتوقف عليها تقدم المجتمع ورقه إضافة إلى ما فيه من احترام للإنسان واحترام لما يرتبط به وقد قال النبي الأكرم ﷺ: «إن الناس مسلطون على أموالهم» وقال ﷺ أيضاً: «مال المسلم ودمه حرام» (٢٦).

كان الامام أمير المؤمنين ﷺ دقيقاً جداً في التصرف بأموال الدولة - أو كما تسمى الملكية العامة - ولعل حادثة إطفاء السراج التي يرويها التاريخ دليل بيّن على ذلك فقد رُوي أنه دخل عليه عمرو بن العاص ليلاً وهو في بيت المال فأطفأ السراج وجلس في ضوء القمر ولم يستحل أن يجلس في الضوء من غير استحقاق (٢٢). وهكذا يكون الإمام ﷺ الأسوة الحسنة في التصرف بالأموال العامة لكل موظفي الدولة لاسيما المسؤولين منهم فهو عليه السلام يحتاط حتى في مقدار الزيت اليسير الذي قد ينفقه أثناء حديثه مع بن العاص والسراج قد خصصته الدولة لإنارة بيت المال.

المتهم بريء حتى تثبت إدانته

جسد الامام أمير المؤمنين ﷺ مفهوم المتهم بريء حتى تثبت إدانته بأروع

صورة حتى مع معارضيه السياسيين فقد كان ﷺ على علم أن طلحة والزبير سيعمدان إلى تقويض حكومته عندما طلبا منه الإذن بالذهاب إلى العمرة فقال لهما ﷺ: «ما العمرة تريدان وإنما تريدان الغدرة وسأستعين بالله عليكما». ويعلق الباحث ضياء الموسوي على هذه السياسة بقوله: أما الإسلام فهو حريص على حقوق المواطن فيعطيه حرية الكلام والنقد وحرية التنقل بعدم سحب وثيقة السفر فالإمام ﷺ لم يقيد حرية الحركة والتنقل لأولئك الذين تيقن الإمام إنهم سيحاربونه لأن معرفته ﷺ بذلك في شريعته ليست كافية لاعتقالهما ما لم يتلبسا بالجريمة وتكون البيئة الشرعية في ذلك فملتهم عنده ﷺ بريء حتى تثبت إدانته بالأدلة القاطعة حتى لو وصلت التهمة إلى حد التآمر على أمن الدولة.

ونقل أيضاً عن فترة حكم الإمام ﷺ أنه ما كان يبقى أحداً في السجن دون محاكمة فقد كان السجناء يعرضون كل يوم جمعة فمن كان عليه حد أقامه عليه ومن لم يكن عليه حد خلى سبيله. كذلك لم يكن للتعذيب الجسدي بل حتى النفسي وجود في سجون الامام أمير المؤمنين ﷺ فقد سن عليه السلام قاعدة للمحققين لكي يسلكوا المنهج الإنساني في انتزاع



نواحي المسجد ويجلس كل رجل منهم إلى سارية وأقام مع كل واحد منهم رجلاً وأمر بأن تُغطى رؤوسهم وقال لمن حوله: إذا سمعتموني كبرت فكبروا. ثم دعا برجل منهم فكشف عن وجهه ونظر إليه وتأمله وقال: أتظنون ألا أعلم ما صنعتُم بأبي هذا الفتى إني إذاً جاهل ثم أقبل عليه فسأله فقال: مات يا أمير المؤمنين فسأله كيف كان مرضه؟ وكم مرض؟ وأين مرض؟ وعن أسبابه في مرضه كلها وحين احتضر ومن تولى تغميضه؟ ومن غسله؟ وما كفن فيه؟ ومن حمله؟ ومن صلى عليه؟ ومن دفنه؟ فلما فرغ من السؤال رفع صوته وقال: الحبس الحبس وكبر وكبر من كان معه فارتاب القوم ولم يشكوا أن صاحبهم قد أقر. ثم دعا برجل آخر فقال له مثل ما قال للأول فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إنما كنت واحداً من القوم ولقد كنت علم الله كارهاً لقتله وأقر بالفعل. ثم دعاهم واحداً واحداً فأقروا أجمعين ما خلا الأول وأقروا بالمال فردوه وألزَمهم ما يجب في القصاص (١٠).

الضمان الاجتماعي

للضمان الاجتماعي موقع مهم في التشريع وما الحقوق الشرعية وموارد إنفاقها إلا مثال عملي على ذلك، ويذكر الباحث هاشم الموسوي إن الإسلام

الاعترافات بقوله: «من أقر عن تجريد أو حبس أو تخويف أو تهديد فلا حد عليه» (٥). وفي الحديث أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل يوماً إلى مسجد الكوفة من الباب القبلي فاستقبله نفر فيهم فتى حدث يبكي والقوم يسكتونه فوقف عليهم الامام أمير المؤمنين عليه السلام فقال للفتى: ما يبكيك؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن أبي خرج مع هؤلاء في سفر للتجارة فرجعوا ولم يرجع أبي فسألتهم عنه فقالوا مات وسألتهم عن ماله فقالوا لم يخلف مالاً فقدمتهم إلى شريح فلم يقض لي عليهم بشيء غير اليمين وأنا أعلم يا أمير المؤمنين أن أبي كان معه مال كثير، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السلام: ارجعوا فردهم معه ووقف على شريح فقال: ما يقول هذا الفتى يا شريح؟ فقال شريح: يا أمير المؤمنين أن هذا الفتى ادعى على هؤلاء القوم دعوى فسألته البينة فلم يحضر أحداً فاستحلفتهم. فقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام: هيهات يا شريح ليس هكذا يُحكم في هذا. فقال شريح: فكيف أحكم يا أمير المؤمنين فيه؟ قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا أحكم فيه ولأحكم اليوم فيه بحكم ما حكم به بعد داود النبي عليه السلام أحد. ثم جلس عليه السلام في مجلس القضاء ودعا بعييد الله بن رافع وكان كاتبه وأمره أن يحضر صحيفة ودواة ثم أمر بالقوم أن يفرقوا في



عندما يمر بهذه العبارة إن صوفي الإسلام هي الأراضي التي يفتحها المسلمون بلا خيل ولا ركاب وقد كانت صافية للنبي ﷺ ثم بعد وفاته صارت لفقراء المسلمين ولما يراه الإمام من مصالح الإسلام. على الدولة بموجب عهد الإمام ﷺ أن تخصص ميزانية مالية خاصة لهذه الطبقة وتمويلها يكون من بيت المال - أي من موارد البلد الرئيسية - ومن غلات الأراضي المذكورة. ويضيف الشيخ التستري أن عبارة للأقصى مثل الذي للأدنى تعني إن ما يعطى للبعيد عن بلد الغلة يجب أن يساوي ما يعطى للذي يسكن فيها.

يمكن أن يستفاد من هذا التوضيح أمران: الأول هو أن حق الضمان الاجتماعي مكفول للجميع ولا يطبق بتمييز بين مكونات المجتمع سواء اختلفت تلك المكونات مذهبياً أو عرقياً أو جغرافياً والثاني أن تمويل برامج الدعم لهذه المشاريع الإنسانية يكون مصدره موارد البلد الرئيسية. وقد جسد أمير المؤمنين ﷺ توجيهه إلى مالك الأشتر عندما رأى شيخاً أعمى كبيراً في السن يستجدي ويسأل الناس فقال الإمام ﷺ: ما هذا؟ - لاحظ أن الإمام استنكر

الظاهرة من أصلها لتطبيقه الضمان الاجتماعي بصورة كاملة وانتفاء الفقر

اعتبر الكفالة والضمان واجباً على الدولة والمجتمع للعاجزين عن العمل أو عن تغطية حوائجهم المناسبة لظروف العصر المعاشية والذين لا يجدون من يؤدي لهم تلك النفقة من المكلفين بها كالزوج والأب والابن. إن المشكلة الاقتصادية هي إحدى المشاكل الكبرى التي يعاني منها الإنسان فمشكلة الحاجة والفقر هي من أخطر آفات المجتمع على الأصعدة كلها - وقد قرر الإمام ﷺ ذلك في عهده إلى مالك الأشتر بقوله: «وإنما يؤتى خراب الأرض بإعواز أهلها» - لذا ترى الإمام ﷺ يثبت تلك المبادئ في وثيقته الدستورية وعهده إلى الأشتر لتكون مسؤولية قانونية من مسؤوليات الدولة وليست برأ ومعرفة يتبرع بها المحسنون وقد سجل هذا المبدأ الدستوري الخطير بقوله ﷺ: «ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى - أي شدة الفقر - والزمنى - أي العاهات - فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوفي الإسلام في كل بلد فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى» (٢).

يقول الشيخ محمد تقي التستري في كتابه نهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (٢٧)



في حكومته عليه السلام - فقالوا: يا أمير المؤمنين نصراني فقال عليه السلام: «استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعتموه؟ أنفقوا عليه من بيت المال» (٢٣).

حكومة علي عليه السلام والديمقراطية الحديثة

بعد استعراض معالم المنهج الإسلامي في الحكم وبيان المبادئ الأساسية للديمقراطية الحديثة يمكن ملاحظة أوجه شبه عديدة بين الأطروحتين. الحكم المقيّد بالدستور وسن القوانين الحاكمة في المجتمع قد اتضحت ضرورته في المنهج الإسلامي في الحكم وتطبيقه في حكومة النبي ﷺ والامام علي عليه السلام من خلال كتبهما وعهودهما إلى الولاية والرعية. واستقلال القضاء وحرية التعبير كانت من السياسات الواضحة في حكومة أمير المؤمنين عليه السلام وحصلت الأقليات الدينية على كامل حقوق المواطنة والحرية في ممارسة العبادة تحت ظله عليه السلام. وكانت الخطب النبوية والعلمية خير وسيلة لبيان عمل الحكومة وإطلاع الشعب عليه والاستشارة أوضح دليل على المشاركة السياسية الفاعلة لجميع أفراد المجتمع.

إن المفهوم الذي يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة الديمقراطية هو حكم الأكثرية وقد يقول قائل إن التاريخ

الإسلامي يخلو من اتباع رأي الأكثرية. والحقيقة أن القاعدة الأساسية لاتخاذ القرارات التي حددها الامام أمير المؤمنين عليه السلام لواليه مالك الأشر تنص على: «وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية فإن سخط العامة يححف برضا الخاصة - أي يذهب برضاهم - وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة». ويعلق الشيخ اللكراني على هذه العبارة بقوله: وليس لأي حاكم في إطار إدارته لشؤون البلاد أن يرضي تمام أكثرية الأمة وأقليتها وذلك لأنه سيحظى بسخط الأقلية لو تحرك باتجاه الأغلبية المسحوقة من المجتمع كما سيتعرض لسخط العامة لو ساس الأمور لصالح الأقلية» (٢١). ومن المناسب الإشارة إلى إن الإمام عليه السلام يبين بعد عبارته هذه خصائص الطبقتين العامة والخاصة بحيث يظهر أن الخاصة هي الطبقة المترفة في المجتمع وهكذا على الدولة أن لا تبالي برضا هذه الطبقة وإن كانت تشكل رؤوس أموالها عماد الاقتصاد في المجتمع طالما خالفت رغبتها المصلحة العامة. ويظهر أن وجود ودور جماعات الضغط - أو مؤسسات المجتمع المدني - التي تساهم في صنع القرار في الأنظمة الديمقراطية قد يكون سلبياً إذا تحكم فيه الدينار والدولار وقد يكون إيجابياً إذا كان



للأمة.

في الأنظمة الديمقراطية تكون المؤسسة العسكرية بعيدة عن السياسة وتخضع لقيادة مدنية لضمان أن يكون الجيش خادماً للشعب لا حاكماً له. وقد كان ضمان ذلك في حكومة علي عليه السلام هو وضع شروط عديدة على قادة تلك المؤسسة ففي كتابه إلى مالك الأشتر يقول عليه السلام: «فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك وأنقاهم جيئاً وأفضلهم حليماً ممن يبطئ عن الغضب ويستريح إلى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء وممن لا يثيره العنف ولا يبعد به الضعف ثم الصق بذوي المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف». ومن اجتمعت فيه هذه الصفات أمنت الدولة والمجتمع من شهوته للحكم وانقلاباته العسكرية.

خلاصة القول إن من كتب الدساتير العالمية في الدول المتقدمة لم يأت بمفاهيم غربية بعيدة عن الأسس التي قامت عليها الحكومة العلوية في العراق، تلك الأرض التي حملت أقدام رمز العدالة الإنسانية وقلمه الشريف حين خط عهد العظيم

إلى مالك الأشتر. هذه المعاني السامية من نشر العدل إلى إنصاف الضعيف إلى حرية العقيدة وحرية التعبير وغيرها مما تصبو إليه كل نفس بشرية علينا السعي إلى تحقيقها وإن حملت اسم الديمقراطية اليوم لأنها سيرة حكام العدل في صدر الإسلام.

ورحم الله الشيخ النائني حين قال: «لقد استفاد المذهب المادي من مبادئ وتعاليم الدين الإسلامي الحنيف في إصلاح وتنظيم أمور المجتمع والأخذ بأسباب الرقي والتقدم وحقق نتائج رائعة مستقاة من تلك الأسس والمبادئ - حتى صار المسلم يهرب من بلاد المسلمين ليعبد ربه بحرية في بلاد الغرب بلا خوف من رقيب - وأمان نحن المسلمين فقد تقهقرنا إلى الوراء. والآن وبعد اللتيا والتي وبعد أن تنبهننا قليلاً وأخذنا من أحكام ديننا صرنا مصداقاً للآية الكريمة (هذه بضاعتنا ردت إلينا)» (٦).

خاتمة:

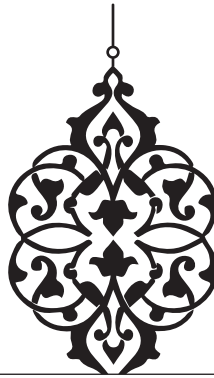
وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها».

صدقت يا أمير المؤمنين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. علي ناجي عطية - النجف الأشرف

١٤ / كانون الأول / ٢٠٢٠

يمكن القول بأن ديمقراطيتنا لا بد أن تختلف بشيء أساسي ومهم عن باقي الديمقراطيات في الغرب والشرق ألا وهو الارتباط بالله سبحانه وتزكية النفس وهذا المعنى يتضح أيضاً في عهد الإمام عليه السلام إلى الأثر حينما جعل مطلع الحديث تذكيره بالتقوى: «أمره بتقوى الله وإيثار طاعته واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه



الوقائع المعرفية





المصادر

يقود الحياة»، وزارة الإرشاد
الإيراني، ١٩٨٣.

٨- شبلي الملاط: «تجديد الفقه
الإسلامي: محمد باقر الصدر بين
النجف وشيعة العالم»، الطبعة
الثانية، دار بدائع، ٢٠١٥.

٩- Melvin I. Urofsky, "The Root
Principles of Democracy",
United States Department of
State, Office of International
Information Programs, 2001

١٠- الشيخ مصطفى ملص: «في الدولة
ووظائفها وفصل السلطات: رؤية
قانونية إسلامية». المؤتمر العالمي
العاشر للوحدة الإسلامية المنعقد في
طهران ١٩٩٧.

١١- توفيق الفكيكي: «الراعي والرعية»،
مطبعة الغري، النجف، ١٩٣٩.

١٢- الشيخ جعفر السبحاني: «مفاهيم
القرآن: الجزء الثاني»، مؤسسة
التاريخ العربي، ٢٠١٠.

١٣- www.merriam-webster.com/
dictionary/decentralization

١- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي
UNDP: «تقرير التنمية الإنسانية
العربية للعام ٢٠٠٢»، المكتب
الإقليمي للدول العربية، ٢٠٠٢.

٢- هاشم الموسوي: «التدوين الدستوري
عند الإمام علي (عليه السلام)» مجلة النهج،
السنة الأولى - العدد الأول - تشرين
الثاني ١٩٩٧.

٣- د. عماد الفقي: «الدستور.. الحالة
المصرية»، المنظمة العربية لحقوق
الإنسان، ٢٠١٢.

٤- عبد الرزاق الصالحي: «أوليات
حول دراسة الدولة الإسلامية
والسلطات الثلاث»، المؤتمر العالمي
العاشر للوحدة الإسلامية المنعقد في
طهران ١٩٩٧.

٥- ضياء الموسوي: «الإمام علي (عليه السلام)
وحقوق الإنسان»، موقع مكتبة
الروضة الحيدرية على شبكة
الإنترنت

www.haydarya.com/maktaba_
htm.01/24_book/15/moktasah

١٤- د. مصطفى النمر: «اللامركزية في
الحكم: المفاهيم والأنماط»، المعهد
المصري للدراسات، تقارير سياسية،
٢٠١٧.

٦- الشيخ محمد حسين النائيني: «تنبيه
الأمة وتنزيه الملة»، دار الكتاب
المصري واللبناني، ٢٠١٢.

٧- السيد محمد باقر الصدر: «الإسلام



www.lankarani.com/ara/bok/view.php?ntx=043000

٢٢- السيد صادق الشيرازي: «السياسة من واقع الإسلام»، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ط ٥، ٢٠٠٣.

٢٣- د. حسن جابر: «الحريات السياسية عند الإمام علي عليه السلام»، مجلة النهج - السنة الأولى - العدد الأول، تشرين الثاني ١٩٩٧.

٢٤- السيد محمد تقى الحكيم: «الإمام علي بن أبي طالب بين حقوق الإنسان وواجباته»، موقع مكتبة الروضة الحيدرية على شبكة الإنترنت www.haydarya. /15/com/maktaba_moktasah.html.01/31_book

٢٥- السيد محمد الشيرازي: «السييل إلى إنباض المسلمين»، هيئة أنصار الحجة الخيرية، ط ١، ٢٠٠٩.

٢٦- السيد محمد الشيرازي: «فقه العولمة»، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، ط ٢، ٢٠٠٢.

٢٧- الشيخ محمد تقى التستري: «بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة: الجزء الثامن»، دار أمير كبير، بيروت، ١٩٩٧.

١٥- تسنيم عبد الرحيم: «اللامركزية في الحكم؟»، مؤسسة كارنيجي للمنح من أجل السلام العالمي، مقال منشور على الموقع

carnegieendowment.org/sada/2017,72650.

١٦- المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات: «الفيدرالية»، دراسة منشورة على الموقع

www.idea.int/sites/default/files/publications/federalism-primer-AR.pdf, 2015.

١٧- منتدى الفيدراليات، www.forumfed.org.

١٨- عصمت وانلي: «آراء وأمثلة حول تطبيق الفيدرالية في العراق»، مقال منشور في موقع صحيفة الحوار المتمدن، العدد ٥٤٦، ٢٠٠٣.

١٩- دستور جمهورية العراق، جريدة الوقائع العرقية، العدد ٤٠١٢، ٢٠٠٥.

٢٠- حامد السعيدي: «الإمام علي عليه السلام ونظام الحكم»، مجلة النبأ، العدد ٥٠، ٢٠٠٠.

٢١- الشيخ فاضل اللكراني: «الدولة الإسلامية: شرح لعهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر النخعي»، موقع آية الله العظمى الشيخ محمد الفاضل اللكراني،





قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

أَبِي عَلَى

أَنْتَ أَبُو هَيْبَةَ وَرَضِي

أَبُو أَلِطْعَرَفَةَ



البُعد الثقافي لأُمر المؤمنين عليه السلام في مواجهة خصومه

بقلم / سماحة

السيد أبي الحسن حميد المقدس الغريفي (دام ظله)



استاذ البحث الخارج

في الحوزة العلمية - النجف الاشرف





لا يخفى على أحد ممن لديه أدنى اطلاع على سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أن يجد فيه موسوعة الحياة المتكاملة التي تجسدت في فكره ومنهجه وسيرته العامة؛ ولذا مهما يكتب الإنسان عن تلك الموسوعة لا يرى في نفسه إلا القصور عن استيعاب مفاصلها الرئيسية فضلاً عن إدراك تفاصيلها، ولكن لا يُترك المسور بالمعسور لتحصيل شيء من أطياته النورانية التي كشفت بوضوح للبشرية في أبعادها عن خارطة الحياة في كل اتجاهاتها، ولكي نكون مع الحياة في أتم وأكمل صورها كان لابد من الدخول إلى المدينة العلمية المتصلة بمصدر المعرفة الحقيقية والتي بابها أمير المؤمنين عليه السلام كما رواه ابن عباس صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث تواتره معنوي، أنه قال عليه السلام ^(١): أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب، وغيرها من الأحاديث الصحيحة والمتفق عليها بين المسلمين ^(٢) التي تتضمن

١- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج ٣ ص ١٢٦ في مناقب علي بن أبي طالب - والنص له-، الجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٦٣٧، وفي كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٣ ص ١٤٨، وفي مجمع الزوائد للهيتمي ج ٩ ص ١١٤، وفي المعجم الكبير للطبراني ج ١١ ص ٥٥، وفي الجامع الصغير للسيوطي ج ١ ص ٤١٥، وفي الاستيعاب لابن عبد البر ج ٣ ص ١١٠٢. أسد الغابة لابن الأثير ج ٤ ص ٢٢.... إلى آخره.
٢- راجع: كتابنا: جدلية الصحابة بين النص

شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام بأنه أعلم الناس، وأقضاهم، وأنه مع الحق، والحق معه، وهو عدل القرآن كما في حديث الثقلين المتواتر عند المسلمين، بل هو القرآن الناطق، وقد شهد له القرآن الكريم بعلمه بالكتاب في قوله تعالى ^(٣): ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ

والعقل والسيرة، ص ٦٧٨. ومن تلك الروايات ما ذكرها ابن الأثير في أسد الغابة ج ٤ ص ٢٢- ٢٣: عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت بابيه، وعن عبد الله بن مسعود قال: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب، وقال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب، وعن عبد الملك بن سليمان قال: قلت لعطاء: أكان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا والله لا أعلمه، وقال ابن عباس لقد أعطي علي تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر، وقال سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة يا عم لم كان صغو الناس إلى علي؟ قال: يا ابن أخي إن علياً كان له ما شئت من ضرر قاطع في العلم وكان له البسطة في العشيرة والقدم في الإسلام والصهر لرسول الله صلى الله عليه وآله والفقه في السنة والنجدة في الحرب والجلود بالماعون، وروى ابن عيينة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو الحسن، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال إذا ثبت لنا شيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره، وروى يزيد بن هارون عن قطر عن أبي الطفيل قال: قال بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وآله لقد كان لعلي من السوابق ما لو أن سابقة منها بين الخلائق لو سعتهم خيراً. وله في هذا أخبار كثيرة.

٣- الرد / ٤٣.



لا يبلغها إلا الأصفياء النجباء، علماً أنَّ أمير المؤمنين ﷺ كان عالماً بالقرآن الكريم وبجميع الكتب والصحف السابقة عليه، وكيفما تصرف الآية فستجد الإمام علي ﷺ مصداقها الحقيقي اللائق بكل توجيهاتها، وقد روي عن الرسول ﷺ معاني عالية ومعتبرة ذات مضامين متقاربة في ألفاظها ومتطابقة في دلالتها، قوله ﷺ: (٢):
يا علي ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا.

وقد قال أمير المؤمنين ﷺ كلمة وبكل ثقة وجدارة لم يقلها أحد من الأصحاب ولن يقدر على نطقها إلا المعصوم، وهي (٣):

٢- مختصر بصائر الدرجات ص ١٢٥، الحسن بن سليمان الحلبي. / تأويل الآيات الظاهرة ج ١ ص ١٣٩، وكذا في ص ٢٢١ لشرف الدين الحسيني. / مشارق أنوار اليقين ١١٢. المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٦٠. / إرشاد القلوب ص ٢٠٩.
٣- المصنف لابن أبي شعبة ج ٨ ص ٦٩٨ / حديث رقم ٨١. كنز العمال للمتقي الهندي ج ١٣ ص ١٦٥ / حديث رقم ٣٦٥٠٢. وكذا في ج ١٤ ص ٦١٢ / رقم الحديث ٣٩٧٠٩. وكذا في ج ١٦ ص ٥١٥ / رقم الحديث ٤٥٦٩٦. كتاب الغارات للثقفني ج ٢ ص ٦٧٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني ج ٨ ص ٤٥٩ / تفسير سورة الذاريات. مسند أبي يعلى الموصلي ج ١ ص ٣١١ رقم الحديث ٣٨٣. تفسير القرآن للسمعاني / تفسير سورة الذاريات. تفسير القرآن لعبد الرزاق الصنعاني ج ٣ ص ٢٤١ / سورة الذاريات. تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٥. تفسير الطبري ج ١٣ ص ٢٨٩. غرائب القرآن ورجائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري / تفسير سورة الذاريات. أنساب الأشراف للبلاذري ص ٩٩ رقم الحديث

عِنْدَهُ، عِلْمُ الْكِتَابِ، بل جعله الله تعالى معه شاهداً على نبوة المصطفى محمد ﷺ وصحة رسالته؛ لعلمه ﷺ بالكتاب، وهذا ما تواتر بيانه في أحاديث أهل البيت، كما روى ذلك أيضاً عبد الله بن عطاء وهو من رواة المخالفين (١) عن الإمام الباقر ﷺ ومحمد بن الحنفية في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، فكان جوابهما: هو علي بن أبي طالب ﷺ.

ولا يصح صرف هذا الوصف في الآية الكريمة إلى غير الامام أمير المؤمنين ﷺ لمنافاته لما هو ثابت بالنقل والعقل، حيث أنَّ الآية مكية باتفاق المسلمين، وحيث لا تشمل مَنْ أسلم بعد ذلك من اليهود والنصارى في المدينة كاليهودي عبد الله بن سلام، علماً أنَّ الفارق بين إسلامه ونزول الآية سنين بعيدة، ومع ذلك كيف يستشهد على صدق نبوة محمد ﷺ بمن هو خصم للنبوة والرسالة؟!، بل حتى في حال إسلامه في المدينة كان معروفاً بالنفاق، ولذا لا يصح أن تُقرَن شهادته بشهادة الله تعالى، بل عدم أهليته للشهادة وخصوصاً في هذه المقامات العالية التي

١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٩ ص ٣٣٦. / الكشف والبيان لأبي إسحاق الثعلبي النيسابوري ج ٥ ص ٣٠٣. / الجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي منصور الثعالبي، سورة الرعد. / تفسير البحر المحيط لأبي حيان.



سلوني قبل أن تفقدوني.

لا يحجبها كيد الخصوم والأعداء؟.

ولم يقتصر وصف أمير المؤمنين بما ذكرنا بل جعله الله من المطهرين الذين أذهب عنهم الرجس، وأوجب على الناس مودته، وولايته، وطاعته، وكشف عن كونه نفس رسول الله، وما إلى ذلك من الموارد الكثيرة الواضحة المعالم والتفاصيل.

ومن المعلوم أن أمير المؤمنين قد واجه الكثير من المخاطر والتحديات في حياته منذ نعومة أظفاره وهو أول من آمن بالنبي ﷺ ودخل الإسلام، وأقام الصلاة، وفدى رسول الله بنفسه، ولم يخشى أحداً إلا الله سبحانه، ولم تشهد البشرية قاطبة أشجع منه بعد رسول الله ﷺ، ولا أعلم منه، ولا أفصح لساناً وأبلغ بياناً، حتى ضلّت فيه العقول، وتضاغرت أمامه العظماء، وتحيرت في معرفته الحكماء، وكلّت عن وصف شأن من شأنه الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء، كيف وهو الإمام المفترض الطاعة، العالم بالحروب والسياسة، وصاحب الفضائل والخصائص والمناقب التي لا يُدانيه فيها بعد رسول الله أحد من سائر البشر، وهو الحجة البالغة التي

ولما كان الإمام علي عليه السلام سيف الله الغالب الذي ما خاض معركة إلا وانتصر فيها، فقد قاتل الكافرين عامّة ومشركي قريش خاصة ممن حاربوا القرآن على تنزيله، كما حارب البغاة والخوارج على تأويله من الناكثين والقاسطين والمارقين، ولم يكن لديه إلا خيار الحرب، وقد أخبر رسول الله ﷺ بذلك فيما رواه أبو سعيد الخدري قال (١): قال رسول الله ﷺ: إن منكم من يُقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيهه، قال: فقام أبو بكر وعمر فقال: لا، ولكن خاصف النعل وعليّ يخصف نعله، وأيضاً ما رواه الأخضر الأنصاري (٢) قال رسول الله ﷺ: أنا أقاتل على تنزيل القرآن وعليّ يُقاتل على تأويله.

ومن هنا لا يسع لنا المقام إلا أن نتكلم عن جزئية حرجة من حياته الكريمة صلوات الله عليه، وهي مواجهته للانقلابيين والبغاة والخوارج في أبعادها المختلفة التي ما عُرِف أحكام البغاة إلا من خلاله، حيث تعامل معهم وفق المنطق القرآني لأجل إقامة العدل ونشر

١- مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٣٣. وأيضاً ورد في تاريخ دمشق الكبير لابن عساكر ج ٤٢ ص ٤٥٣.

٢- أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، كما في أورده المتقي الهندي في كتابه كنز العمال برقم (٣٢٩٦٨) في فضائل علي عليه السلام ج ١١ ص ٦١٣.

٢٨ / قيسات من ترجمة أمير المؤمنين. تهذيب الكمال للمزي ج ٢٠ ص ٤٨٧. نهج البلاغة / شرح محمد عبده / خطبة ٩٣. تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٩٣.





الحق وحفظ النظام العام.

متابعة ذات الخطوط التي سار عليها أمير المؤمنين ﷺ في تعامله مع الانقلابيين والبغاة والخوارج لكونها مستقيمة وعادلة وسالكة تتسم بالبُعد العقلافي والشرعي الرافض لمسالك الشيطان العدوانية الظالمّة، ولكي يتم التمييز بين مسلكي التثقيف والتجهيل في تأريخنا وحاضرنا ومستقبلنا، كان لابد من قراءة واعية للتأريخ بفهم أحداثها ورجالها وتشخيص مصاديقها بوضوح حتى نستطيع أن نبني عقيدتنا في الولاء والبراء من دون تردد أو خلط، ونستفيد من تجارب الماضي في حاضرنا ومستقبلنا.

وعموماً يمكننا أن نستعرض بعض أبعاد مواجهته لهم لتكون مادة أولية لكل مَنْ يبحث عن الحق والعدل وسياسة الأمة، ونلتمس من أمير المؤمنين ﷺ العذر عن القصور والتقصير في هذا المقال الذي لا يستوعب حدود تثقيفه للبشرية فضلاً عن الأبعاد الأخرى في مسيرته كالبُعد السياسي والاجتماعي، والإداري، والأمني، والطائفي، والقيادي، والاقتصادي، والتفاوضي، وما إلى ذلك.

الانقلابيون والبغاة والخوارج بين التثقيف والتجهيل

إذن لابد أن نعرف مَنْ هم الانقلابيون؟، وَمَنْ هم البُغاة؟، وَمَنْ هم الخوارج؟.

الحركة الانقلابية في صدر الاسلام

قبل تشخيص أهم العناصر الانقلابية، كان لابد من معرفة الانقلاب لغة واصطلاحاً حتى تتضح رؤية الموضوع ويسهل تحديد الحكم المناسب له.

فالانقلاب لغة: مصدر انقلاب، وهو تحول الشيء عن وجهه^(١)، وهو المصير إلى نقيض ما كان فيه قبل، ويوضح ذلك قولك انقلاب الطين خزفاً^(٢)، فينقلب

قبل الخوض في الحديث عن طبيعة تثقيف أمير المؤمنين للأمة بل لعموم البشرية، كان لابد من بيان مفهوم كل من الانقلابيين والبغاة والخوارج حتى تتضح الصورة بأبعادها ومعالمها الدينية التي تتكامل في تشخيصها ومعرفة أحكامها وحسن التعامل معها، وهذا ما كشفت عنه خطابات أمير المؤمنين ﷺ ومواقفه الرسالية على كافة الصُّعَد التي لازالت محط أنظار العلماء والمفكرين والسياسيين، حيث تتجلى بأبهى صورها الإنسانية مهما تقادم الزمان، وتُمثّل لهم تجارب واقعية تنبض بالحياة، وتكون مبرئة للذمة في

١- كتاب العين للفراهيدي ج ٥ ص ١٧١.

٢- الفروق العسكرية لأبي هلال العسكري ص ٢٤٩ ❦



الشيء إلى شيء آخر مختلف عنه في الماهية كتحول الخمر إلى خل، أو تحول المسلم إلى كافر بارتداده عن الدين كَلِيَّة أو ارتكاب بعض ما يوجب الكفر، كقوله تعالى (١): ﴿أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾، أي رجعتُم القهقري إلى الكفر لارتكاب ما يوجب ذلك.

وأما اصطلاحاً فهو: تحول الشيء عن وجهه بإحداث تغيير مفاجئ في نوعية نظام الحكم بعد الاستيلاء عليه بالقوة والغلبة، وقد يكون الانقلاب عسكرياً أو يكون مدنياً باستعمال وسائل مدنية لزعة الاستقرار ونشر الفوضى وإرهاب الناس ومحاصرة القيادة ومصادرة حقوقها وفرض الهيمنة عليها بمختلف الوسائل أو قتلها.

وعليه يُمكن تعريف الانقلاب في السقيفة قبيل وفاة الرسول ﷺ وبعدها مباشرة بأنه: تحول الشيء عن وجهه بإحداث تغيير مفاجئ في نوعية نظام الحكم بعد الاستيلاء عليه بالقوة والغلبة من قبل جماعة غير مؤهلين قد فرضوا هيمنتهم على الحكم بالترهيب والترغيب والحيلة، فنازعوا الأمر أهله وأزاحوا رجاله عنه وحرّفوا دستورهِ وتشريعاته، ونكثوا بيعة الغدير، واستبدوا

بالأمر بمخالفتهم النص وابتعادهم عن المشورة، فرجعوا القهقري على تعبير الرسول الأكرم ﷺ حتى وصف عمر بن الخطاب هذا الانقلاب بالفتنة التي وقى الله المسلمين شرّها بحسب تعبيره، وحَكَم على مَنْ يعود إلى مثله بالقتل إلاَّ أنّه عاد واستولى على الحُكم بذات الطريقة بعد وفاة أبي بكر، كما قد خلفها إلى مَنْ حَكَم بعده بذات الأسلوب الذي فيه التفاف على الحق ومنازعة الأمر أهله بما أُنْزِر الانقلاب سلباً على ولاء الناس وقسمهم إلى أحزاب ومكّن الطلقاء والسفهاء والجهلاء من حاكمية الأمّة بل حرف الأمّة عن الصراط المستقيم إلاّ فئة قليلة حافظت على إسلامها الأصيل وولائها الثابت بصدق وإخلاص مع الصبر والمكابدة أسوة بأئمة أهل البيت  وإتباعاً لهم على الرغم مما وقع عليهم من الظلم والحصار ومصادرة الحقوق والقتل.

ولا يخفى على القراء المطلعين على أحداث السقيفة بأنّ قادة الانقلاب كل من أبي بكر بن أبي قحافة، وعمر بن الخطاب، وأبي عبيدة بن الجراح، وجملة معهم من المنافقين، وما نتج عنها من تداعيات خطيرة ما زال المسلمون يُعانون من ويلاتها إلاَّ أنّ حكمة أمير المؤمنين 



ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم.
وكان يقول (ع): اللهم إني أستعديك -
استعينك - على قريش، فإنهم قد قطعوا
رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على
منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري،
وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق
أن تمنعه، فاصبر مغموماً أو متأسفاً،
فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا
مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن
المنية، فأغضيت على القذى، وجرعت
ريقي على الشجا، وصبرت من كظم
الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من
وخز الشفار، وقال (ع) أيضاً^(٢): إن الله لما
قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالأمر،
ودفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس
كافة، فرأيت أن الصبر أفضل من تفريق
كلمة المسلمين، وسفك دمائهم، والناس
حديثو عهد بالإسلام، والدين يمحض
محض الوطب يفسده أدنى وهن، ويعكسه
أقل خلاف.

وحينئذ اتخذ الإمام (ع) أن يسلك طريق
المعارضة السلمية بعدما وجد أن المقاومة
العسكرية مع هذه الجماعات الكثيرة
المتحالفة تؤدي به إلى قتله وقتل أهل
بيت النبوة واتهامهم بالردة والخروج على

٢- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي /
ج ٣ ص ٦٩ / خطبة ٢١١.
٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي / ج ١
ص ٢٤٨ - ٢٤٩.

واستجابته لوصية الرسول (ص) وتقديره
لواقع المسلمين آنذاك وتحاذلهم عن
نصرته، لم يرفع السلاح اتجاههم ولكنه
لم يتوقف عن المطالبة بحقه وكشف
زيف الانقلابيين في خطوات حثيثة
ومواقف متواصلة، فصارت مطالبته (ع)
بحقه في الخلافة لا رغبة ولا حياء في
السلطة، ولكن سعياً منه لاستنقاذ
الأمة من الانحراف والضلالة بأداء
تكليفه ووظيفته الرسالية ونشره الوعي
والبصيرة؛ ولأن السكوت قد يوهم أهل
الباطل وأتباعهم أنهم على الحق، فبادر (ع)
بمخاطبة المهاجرين والأنصار، كما
خاطبتهم الزهراء (ع) في مسجد الرسول (ص)
أمام الجموع الغفيرة من الأصحاب
من وراء حجاب مطالبة بحقها وحق
زوجها المعتصب، وقد^(١) خرج علي (ع)
يحمل فاطمة بنت رسول الله (ص) على دابة
ليلا في مجالس الانصار تسألهم النصرة،
فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد
مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك
وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما
عدلنا به، فيقول علي (ع): أفكنت أدع
رسول الله (ص) في بيته لم أدفنه، وأخرج
أنزع الناس سلطانه؟ فقالت فاطمة (ع):
ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له،

١- الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ج ١
ص ٢٩ / تحقيق الشيري / انتشارات: الشريف
الرضي.



النظام وإثارة الفتنة وترويج ذلك اعلامياً وإشاعته زوراً وبهتاناً، ليستمكنوا من تحريف الاسلام وتضليل الناس وتجهيلهم حُباً في الدنيا وطمعاً في السلطة، والحديث يطول بهذا الشأن، ولكن يمكنك مراجعة كتابنا: جدلية الصحابة بين النص والعقل والسيرة.

ورغم هذه المصائب التي مرّت على أمير المؤمنين عليه السلام إلا أنّه لم يتأخر في الدفاع عن الإسلام الأصيل ودفع الشبهات والمكائد عنه، وصار يُثَقِّف الناس تدريجياً وينشر الوعي بينهم ويؤسّس لقاعدة رصينة تكون نواة حقيقة للإيمان وتعمل على كشف زيف الانقلابيين ومحاوله تقليل خطرهم على الأمة ومستقبل أجيالها وإلا سيجد الناس اسلاماً ما أنزل الله به من سلطان لكثرة البدع والتحريفات والاجتهادات في مقابل النص والجرأة على الله ورسوله في كثير من الأمور من دون وجود جهة رسالية تُمثّل الإسلام الأصيل وتعمل على هداية الناس.

حركة البُغاة داخل الأمة

وهذه الحركة بما لها من أثر بالغ في تمزيق وحدة الأمة واستباحة دمائها وحرف بوصلتها عن جهة الحق والعدل والاستقامة، ومحاربتهم لإمام زمانهم تحت ذرائع باطلة وأساليب شيطانية، فأحدثوا

في الدين ورجعوا على أدبارهم القهقري، وهذه الأحداث الخطيرة التي ارتكبها خصوم أمير المؤمنين عليه السلام ينبغي أن تكون تحت نظر العقلاء والمتشرعة؛ لأنّها تجربة مريرة كشفت عن واقع رجالات الأمة، وفضحت العناوين المزيفة والولاءات المنحرفة، وبالتالي يستفيد منها المسلمون في تشخيصهم لعناصر الولاء والبراء، وعليه استدعي المقام بيان مفهوم البُغاة لغة واصطلاحاً.

البُغاة في اللغة ^(١): جمع باغ، مثل قاض وقضاة وداع ودعاة ورام ورماة، والباغي: الذي يتجاوز قدره، والبغاة من البغي، بغى عليه يبغي بغياً ^(٢): علا وظلم وعدل عن الحق واستطال وكذب، والبغي ^(٣): أصله الحسد، ثم سُمّي الظلم بغياً لأن الحاسد يظلم المحسود جهده إرادة زوال نعمة الله عليه عنه. وبغى بغياً: كذب.

البُغاة في الاصطلاح: وهُم مَنْ خَرَجَ على طاعة الإمام العادل بالسلاح بغير حق، وإعلانهم التمرد والعصيان والغدر وإشاعة ذلك بين الناس بذريعة التأويل الباطل وإدعاء الحق والولاية، وهم يمثلون العدو الداخلي كالناكثين أصحاب الجمل، والقاسطين في حرب صفين.

١- شرح ابن عقيل ج ١ ص ٣٢٠.

٢- القاموس المحيط للفيلسوف أبي جعفر ج ٤ ص ٣٠٤.

٣- لسان العرب لابن منظور ج ١٤ ص ٧٩.



حيث قُتِلَ طلحة والزبير وصارت عائشة ومَن حولها في قبضة أمير المؤمنين عليه السلام، وبعد ذلك أطلق سراح أسراهم كمروان بن الحكم وأمثاله.

وبطبيعة الحال لا يرجع عنهم الإمام أو نائبه حتى يفيئوا إلى أمر الله تعالى ويخضعوا لقانون الدولة، ويقطع دابر المفسدين والظالمين، كما في الآية الكريمة ^(١): ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾، والفئة الباغية منالغبي، وهي الخارجة عن طاعة الإمام، ولما كان الصحابي الجليل عمار بن ياسر في جيش أمير المؤمنين عليه السلام يُقاتل إلى جنبه حتى استشهد في حرب صفين، فقد أخبر بذلك رسول الله ﷺ في حديث متفق عليه بين المسلمين بشأن عمار كما روي في كتب الصحاح والسنن والتراجم والسير، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعمار ^(٢):

وقد صنَّف الإمام علي عليه السلام البغاة إلى صنفين، وبَيَّنَّ أحكام كلٍّ منهما: فأما الصنف الأول: وهم الذين لهم رئيس يرجعون إليه، فيجمع قواهم، ويُنظِّم صفوفهم، ويستنهضهم، ويهيئ لهم كل أسباب المواجهة والحرب من العدد والعدة، مع الإصرار على إشاعة الباطل والفساد والفوضى، وارتكاب الغدر وممارسة الحيلة والخديعة في تعاملاته، فيُشكِّل بقائهم خطراً كبيراً على دار الإسلام؛ ولذا لابد من قطع دابرهم، ومن هنا جاز متابعة مدبرهم وقتل أسيرهم وجريحهم وأخذ ما حواه عسكريهم فقط من الأموال والمتاع والسلاح، ولكن لا يجوز سبي ذراريهم، ولا أخذ أموالهم مما كانت خارج دائرة معسكر الحرب، كما هو الحال في معاوية بن أبي سفيان وأتباعه في معركة صفين، ومَن سار على منهجهم العدواني.

وأما الصنف الثاني: وهم الذين هلك رئيسهم، وتشتت قواهم، وضعفت إرادتهم للحرب والعصيان، وبالتالي لا يُشكِّلوا خطراً كبيراً على الأمة؛ ولذا لا يُتابع مدبرهم، ولا يُجهز على جريحهم، ولا يُقتل أسيرهم، كما لا تُسبى ذراريهم، ولا تؤخذ أموالهم كغنيمة مما كانت خارج معسكرهم، وهؤلاء كأصحاب الجمل،

١- الحجرات / ٩.

٢- صحيح البخاري / كتاب الصلاة- أبواب القبلة- ٦٣- باب: التعاون في بناء المسجد / حديث رقم ٤٤٧ / ص ٨٥. وورد أيضاً في صحيح البخاري / كتاب الجهاد والسير- ١٧- باب: مسح الغبار عن الناس في السبيل / رقم الحديث ٢٨١٢ / ص ٥٠٦. دار ابن حزم. وتوجد مصادر أخرى كثيرة تروي بشأن عمار تقتله الفئة الباغية كما في صحيح مسلم / كتاب: الفتن وأشرط الساعة، ١٨ / ١٨: باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيمتنى أن يكون مكان الميت، من البلاء. رقم الحديث ٧٢٥١-٢٩١٦ / ٧٢- ص ١٣١٠. دار المعرفة.



وَيَحْ عَمَّار، تقتله الفئة الباغية، يدْعُوهم إلى الجَنَّة وَيَدْعُونَهُ إلى النَّار، علماً أَنَّهُ لا خلاف بين المسلمين في أَنَّ أصحاب الجمل وأصحاب معاوية هم البغاة لخروجهم على الإمام الشرعي العادل، وكانوا دعاة إلى النار.

حركة الخوارج ومروقهم عن الدين

ليس مقصودنا في هذه المقالة الحديث عن فِرَق الخوارج ومعتقداتهم وخصائصهم وحوادثهم، وهي كثيرة لا يسع المقام ذكرها ولا من هدفه بيانها، وإنَّما نريد أن نذكرهم من باب توضيح مفهوم الخارجي بمعناها الاصطلاحي الخاص، وإن كان المعنى العام يصدق على كل مَنْ خَرَجَ على الإمام العادل بغير حق، وأمَّا الخروج على الحاكم الجائر والمنحرف الضال فلا يُقال عنه خارجاً بل مُصْلِحاً لقيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة رسالية يُمارسها الأنبياء والأوصياء والصالحون.

الخوارج بمعناه الخاص: وهم جماعة قلقة فكرياً وولاءاً، كانوا في جيش أمير المؤمنين علي عليه السلام في معركة صفين، وقد أعلنوا رفضهم لمبدأ التحكيم الذي اضطر إليه الإمام عليه السلام بين العسكريين في ظرف

شائك وعصيب بعد مكيدة رفع المصاحف من قبل جيش معاوية، وتفرق جيش أمير المؤمنين حول قضية التحكيم حتى لم يبق معه سوى أهل بيته عليه السلام، ونفر يسير، بل هدَّده دعاة التحكيم بأن يسلموه إلى معاوية من أجل أن يقبل التحكيم، وفي المقابل قال الخوارج: لا حكم إلا لله، وقد خرجوا عن طاعة الإمام وخلافته، بل كفَّروه وكفَّروا معاوية وكل مَنْ رضي بالتحكيم، ثُمَّ اعتزلوا المعركة وتشكلت منهم بعد ذلك فِرَقاً متعددة بتسميات مختلفة إلا أنَّ العنوان الجامع لها والوصف الملازم لها هو الخوارج، وقد كانوا يتصفون بالتعصب والتشدد والتطرف والبداءة والجفاء والتكفير والخروج على النظام وقطع الطريق على المسلمين، بل أعلنوا جهادهم ضد المسلمين لاتهمهم لهم بالكفر والردة، ويبيحون سبي وقتل نسائهم وأطفالهم، في حين يتعاملون مع أهل الكتاب والمشركين بتسامح تحت ذريعة أنَّهم بحاجة لسماع الدعوة وهدايتهم إلى الحق والإيمان، وقد أخبر ذلك رسول

الله فوق فعلاً ما أخبر به، حيث قال عليه السلام: **فِي ذِي الْخُوَيْصِرَةِ مِنْ زَعَمَاءِ الْخَوَارِجِ (١): إِنَّ**

١- صحيح مسلم / كتاب الزكاة / ٤٧-٤٨- باب ذكر الخوارج وصفاتهم / ص ٤٧٢-٤٧٣، رقم الحديث ٢٤٤٨-١٠٦٤ / ١٤٣. وروايات كثيرة بهذا الشأن في صحاحهم وسننهم. وكذا في صحيح البخاري / ٨٨- كتاب استتابة المرتدين

حين فرقة من الناس. قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم، وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعت النبي ﷺ.

وما ورد في نص صحيح مسلم من العبارة الأخيرة ما قاله أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس، فوجد، فأتي به، حتى نظرت إليه، على نعت رسول الله ﷺ الذي نعت.

وقد ارتكب الخوارج جرائم كثيرة اتجه الآمنين من الرجال والنساء والأطفال، ولمروهم عن الدين فكراً وسلوكاً كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ وهم كما أخبر، وإفسادهم في الأرض مما جعل أمير المؤمنين ﷺ يخوض ضدهم معركة تُعرف بالنهروان بعد أن يأس من اصلاحهم وهدايتهم، وبعد انتصاره عليهم وهروب القلة القليلة منهم وانتشارهم في الأرض، فقد ظهرت منهم بعد ذلك فرق ونحل وأهواء ومقالات كثيرة موصوفة في أغلبها بالكفر والضلالة.

من ضئضي هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يُجاوِز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد.

وروى البخاري ومسلم أيضاً الكثير عن الخوارج، منها ما رواه أبو سعيد الخدري بشأن ذي الخويصرة، حيث قال: قال رسول الله ﷺ: ^(١) إن له أصحاباً، يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية،.... آيتهم رجلٌ إحدى يديه، أو قال ثدييه، مثل ثدي المرأة، أو قال: مثل البضعة تدردر، يخرجون على

والمعاندِين / باب - ٧: من ترك قتال الخوارج / حديث رقم ٦٩٣٤ / ص ١٢٨٠. واللفظ لمسلم. ١- صحيح البخاري / كتاب ٨٨- استتابة المرتدين والمعاندِين / ٧- باب: من ترك قتال الخوارج / حديث رقم ٦٩٣٣. صحيح مسلم / كتاب الزكاة / ٤٧- ٤٨- باب: ذكر الخوارج وصفاتهم / حديث رقم ٢٤٥٣- ١٤٨ / ١٤٨ / ٤٧٤. المدونة الكبرى لمالك بن أنس ج ٣ ص ٤٨- ٤٩ / الطبعة الأولى- مصر- مطبعة السعادة. المصنف لابن أبي شيبة ج ٨ ص ٧٤٢. المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١٠ ص ١٤٦ / باب ما جاء في الحرورية / تسلسل ١٨٦٤٩. السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٥٩: تسلسل ٨٥٦٠. السنن الكبرى للنسائي ج ٦ ص ٣٥٦: تسلسل ١١٢٢٠. صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ١٤٠ ذكر الإخبار عن خروج أهل النهروان على الإمام وشق عصا المسلمين. مسند أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٥٦. تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٥٤. تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٨. وغير ذلك من المصادر الكثيرة.





إخبار الرسول ﷺ بالانقلابيين وخروج الناكثين والقاسطين والمارقين

كناية عن القلة القليلة الذين يدخلون الجنة، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنن الكثيرة أنَّ النبي ﷺ قد أخبر بحدوث الأثرة بعده وأموراً منكراً، كما قال زيد بن وهب^(١): سمعت عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها، وروى البخاري^(٢) أيضاً عن أنس بن مالك، عن أسيد بن حضير: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، استعملت فلاناً ولم تستعملني؟ قال: إنكم سترون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني.

والأثرة كما هو معلوم الاستئثار بالإمارة والأموال وقد حصل ذلك بعده قطعاً كما بينا^(٣)، وقد ثبت وقوع غالبية الصحابة نتيجة انقلابهم وأفعالهم المنكرة في المعاصي والضلالة، وحتماً يلقي كل منهم جزاءه الأخرى كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

وعموماً فإنَّ الرسول ﷺ قد أخبر أهل بيته وصحابته بوقوع حوادث مؤلمة من ارتدادات وانحرافات بعد رحيله، كما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما في أبواب أحاديث الحوض، والأثرة، والإمارة، ولا ترجعوا بعدي كفّاراً، ولا تنازعوا الأمر أهله وغيرها، التي تحكم على غالبية الصحابة بدخولهم النار لإحداثهم في الدين وارتدادهم على أدبارهم القهقري، واغتصابهم الخلافة ودخولهم في حروب ظالمة ضد أمير المؤمنين ﷺ كحرب الناكثين أصحاب الجمل الذين نقضوا بيعتهم للإمام ﷺ وخرجوا عن طاعته وبغوا عليه، وحرب القاسطين وهم الجائرون الظالمون الخارجون بغياً وعدواناً عن طاعة الإمام ﷺ ومتابعتهم لمعاوية كما في حرب صفين، وحرب المارقين وهم الخارجون على الإمام ﷺ والمكفرون له ولأصحابه، المارقون عن الدين كما يمرق السهم عن الرمية، والمصطلح عليهم بالخوارج كما في حرب النهروان، حتى أنه لا يبقى مع الرسول ﷺ من أصحابه على الحوض إلا كهمّل النعم كما هو تعبير النصوص وهي

١- صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٣٨ / - ٩٦ - ٢- كتاب الفتن / - ٢ - ٣ باب قول النبي ﷺ: [سترون بعدي أموراً تنكرونها] رقم الحديث ٦٦٤٤.

٢- صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٣٨ / - ٩٦ - ٢- كتاب الفتن / - ٢ - ٣ باب قول النبي ﷺ: [سترون بعدي أموراً تنكرونها] رقم الحديث ٦٦٤٨.

٣- كتابنا: جدلية الصحابة بين النص والعقل والسيرة / الفصل الثاني.



على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة،
فنعم المرضعة وبئست الفاطمة.

وبالرغم من علم الصحابة بهذا الأمر
وإدراكهم لخطورة الانقلاب عليه دنيا
وآخرة إلا أن الغالب منهم قد عرضوا
عن نصرة أمير المؤمنين ﷺ خوفاً وطمعاً
حتى استمكن الانقلابيون من السلطة،
وقد روى البخاري وصية الرسول ﷺ
لهم بأن لا يُنازعوا الأمر أهله كما في
هذا النص^(٣): عن جنادة بن أبي أمية
قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو
مريض، قلنا: أصلحك الله، حدث بحديث
ينفعك الله به، سمعته من النبي ﷺ،
قال^(٤): دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال

باب: ما يكره من الحرص على الإمارة رقم
٦٧٢٩. وعلق محقق كتاب صحيح البخاري
الدكتور مصطفى ديب البغا على هذه الرواية
بقوله: (فنعم المرضعة) أول الإمارة، لأن معها
المال والجاه واللذات الحسية والوهمية. (بئست
الفاطمة) آخرها، لأن معه القتل والعزل والمطالبة
بالتبعات يوم القيامة.

٣٢- صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٣٨، ٢-٣-
باب: قول النبي ﷺ: (سترون بعدي أموراً
تكرونها) رقم ٦٦٤٧. وأخرجه أيضاً مسلم
في صحيحه في الإمارة / باب وجوب طاعة
الأمراء... رقم: ١٧٠٩.

٤٣- علق محقق كتاب صحيح البخاري
الدكتور مصطفى ديب البغا على هذه الرواية
بقوله: [أخذ علينا] اشترط علينا. (على السمع

وعن عقبة^(١): أن النبي ﷺ خرج يوماً،
فصلى على أهل أحد صلاته على الميت،
ثم انصرف على المنبر، فقال: إني فرط
لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر
إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح
خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني
والله ما أخاف عليكم أن تشرکوا بعدي،
ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها.

التنافس فيها: أي التنافس على الإمارة
والحاكمية، وقد حصل هذا في سقيفة
بني ساعدة حتى كانت بيعة أبي بكر
فيها فلتة من غير مشورة ولا روية بعد
أن تمَّ اغتصابها من علي بن أبي طالب،
ومن ثمَّ حصل النزاع عليها بين أبي بكر
وعمر مع سعد بن عبادة زعيم الأنصار
في قصة مشهورة في كتب الصحاح، وكان
هذا الانقلاب على الرسالة والرساليين
والإحداث في الدين مما نتج عنها فتنة
عظُمة وقد ارتدوا على أدبارهم القهقري.

إذن ليس بالضرورة أن تكون الردة من
جهة الشرك بالله تعالى بل يُمكن أن تكون
من أمر آخر وهو الأحداث في الدين
ومحاربة إمام المسلمين، فعن أبي هريرة،
عن النبي ﷺ قال^(٢): إنكم ستحرصون

١- صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٥٥ باب في
الحوض رقم ٦٢١٨.

٢١- صحيح البخاري: ج ٤ ص ٢٣٠، ٧-٣-



فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً، عندكم من الله فيه برهان.

علماً أن النبي ﷺ قد أوصى وحذّر صحابته بأن لا يُنازعوا الأمر أهله لأنّ في هذا إحداث كبير في الدين وانقلاب عظيم، ولا يخفى عظمة هذا الأمر على أحد حتى أن ابن تيمية قد قال فيه ٤^(١): ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها، ولكن الولاية لا تكون إلا لأهلها، ومن نازعهم عليها يكون قد أحدث في الدين، وبالتالي مصيره النار.

فقد قال ﷺ^(٢): [أنا فرطكم على

الحوض، وليرفعنّ رجال منكم ثم ليختلجنّ دوني، فأقول: يا رب أصحابي؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك].
عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ^(٣): إني فرطكم على الحوض، من مرّ عليّ شرب، ومن شرب لم يظماً أبداً، ليردنّ عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يُحال بيني وبينهم.

قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد الخدري، لسمعته وهو يزيد فيها: فأقول: إنهم منّي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي.

وما رواه العلاء بن المسيب، عن أبيه قال^(٤): لقيت البراء بن عازب، فقلت: طوبى لك، صحبت النبي ﷺ وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده.

وهكذا حصل الانقلاب في السقيفة والمنافسة على الإمارة والحرص عليها
٣- صحيح البخاري: ج ٤ ص ١٥٥-٥٣-٣- باب: في الحوض / رقم ٦٢١٢.

٤- صحيح البخاري: ج ٣ ص ٣٦ كتاب المغازي ح ٣٩٣٧، الاصابة لابن حجر العسقلاني: ج ٣ ص ٦٧ في ترجمة سعد بن مالك، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٢٠ ص ٣٩١. والنص للبخاري.

والطاعة) لله تعالى ورسوله (٦).
(منشطنا) حالة نشاطنا. (مكرهنا) في الأشياء التي نكرهها وتشق علينا. (أثرة علينا) استئثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم، أي ولو منعنا حقوقنا. (الأمر) الملك والإمارة. (كفراً) منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فتكون المنازعة بالإنكار عليهم. أو كفراً ظاهراً، فينازعون بالقتال والخروج عليهم وخلعهم. (بواحاً) ظاهراً وبادياً. (برهان) نص آية، أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل].

١٤- مجموع الفتاوى لابن تيمية: ج ٢٨ ص ٣٩٠، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية: ص ٢٣٢.

٢- صحيح البخاري: ج ٤ / ٥٣-٣- باب: في الحوض / رقم الحديث ٦٢٠٥.



أمر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين.

وقد أخرج البزار والطبراني وابن أبي عاصم وغيرهم عن علي قال ^(٢): [أُمرتُ بقتال ثلاثة المارقين والقاسطين والناكثين].

وَعَنْ عَلْقَمَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ ^(٣): خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاتَى مَنْزِلَ أُمِّ سَلَمَةَ، فَجَاءَ عَلِيٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ هَذَا وَاللَّهِ قَاتِلُ الْقَاسِطِينَ، وَالنَّاكِثِينَ وَالْمَارِقِينَ مَنْ بَعْدِي.

بالباطل مما ستكون ندامة عليهم يوم القيامة وهو المصداق الحقيقي الأول لحديث الحوض ووقعهم في الردة، ولأنَّ الإمارة أمرٌ عظيمٌ تؤثر على ولاء الناس وتوجهاتهم ومسيرتهم حتى قيل: (الناس على دين ملوكهم)، وفعلاً كانت السقيفة وفتنة الاستيلاء على السلطة قد أثرت على نفوس مجتمع الصحابة والتابعين واستمرت إلى يومنا هذا، وأسست لبداية كثيرة وأحزاب ومذاهب متفرقة ومكنت الطلقاء المنافقين من التسلط على رقاب المسلمين والعبث بأمورهم وخلقت أزمات ومشاكل وفتن وحروب ما زالت الشعوب المسلمة تُعاني قسوة ويلاتهما، ويكفي ذلك أن يكون جزائهم يوم القيامة أن يُمنعوا من الحوض ويُساقوا إلى نار جهنم.

النصوص في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين

ورغم أنَّ الحق واضح أبلغ إلا أنَّه ﷺ يريد من إخبارياته تأكيد الحجة بالحجة حتى تسقط كل الذرائع التي يُمكن أن يتحجج بها القوم، فقد أخرج الحاكم بسنده عن أبي أيوب الأنصاري أنَّه قال ^(١):

ح ٣١٧٢١. المعجم الكبير للطبراني ج ٤ ص ١٧٢.
٢- مسند البزار: ج ١ ص ٣٧٣ ح ٦٠٤، المعجم الأوسط للطبراني: ج ٨ ص ٢١٣، كتاب السنة لعمر بن أبي عاصم: ص ٤٢٥ ح ٩٠٧ ومعه ضلال الجنة في تحريج السنة للألباني، مسند أبي يعلى الموصلي: ج ١ ص ٣٩٧ حديث رقم ٥١٩، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٤٢ ص ٤٦٩، البداية والنهاية لابن كثير: ج ٧ ص ٣٣٨، كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١١ ص ٢٩٢ ح ٣١٥٥٢، وكذا ج ١١ ص ٢٩٢ ح ٣١٥٥٣، وكذا ج ١١ ص ٣٢٧ ح ٣١٦٤٩، مجمع الزوائد: ج ٧ ص ٢٣٨ باب فيما كان بينهم يوم صفين، انساب الأشراف للبلاذري: ص ١٣٨، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج ٤ ص ٦٠.

٣- شرح السنة للبغوي: ج ٨ ص ٣٧٦. المعجم الأوسط للطبراني: ج ٨ ص ٢١٣، وكذا في المعجم الأوسط: ج ٩ ص ١٦٥، المعجم الكبير للطبراني: ج ١٠ ص ٩١-٩٢ ح ١٠٠٥٣ وكذا حديث رقم ١٠٠٥٣.

١- المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج ٣ ص ١٣٩، وكذا رواية أخرى من المستدرک ج ٣ ص ١٤٠. كنز العمال للمتقي الهندي ج ١١ ص ٣٥٢ ح ٣١٧٢٠، وكذا ج ١١ ص ٣٥٢



وأيضاً روى عمار بن ياسر أن النبي ﷺ قال ^(١): يا علي ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني.

وأخرج ابن مردويه ^(٢) عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ في قوله ^(٣): ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ نزلت في علي بن أبي طالب انه ينتقم من الناكثين والقاسطين بعدي.

وعن القاسم بن سليمان عن أبيه عن جده قال: سمعت عمار بن ياسر يقول ^(٤): أمرت أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

وعن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى قال ^(٥): أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، فقلنا يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ فقال: مع علي ابن أبي طالب معه يُقتل عمار بن ياسر.

والروايات بهذا المضمون كثيرة جداً ومتضافرة يعضد بعضها بعضاً في كتب

١- كنز العمال للمتقي الهندي ج ١١ / رقم الحديث ٣٢٩٧٠ في فضائل علي عليه السلام.

٢- تفسير الدر المنثور للسيوطي: ج ٦ ص ١٨، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ج ٢ ص ٢٣٨.

٣- الزخرف / ٤١.

٤- مسند أبي يعلى: ج ٣ ص ١٩٤ حديث ١٦٢٣.

٥- أسد الغابة لابن الأثير: ج ٤ ص ٣٣.

المسلمين لا ريب في صحة مضمونها، والمهم أن علياً عليه السلام قد أدى وظيفته الرسالية في الدفاع عن الإسلام الصحيح ورجاله الأمناء وكشف رموز الأعداء ونواياهم الذين طمعوا في الدنيا والسلطة وصاروا يتأولون في القرآن والسنة بعيداً الحق والصدق، وبما يتوافق مع أهوائهم ومصالحهم وأهدافهم الضيقة.

الخلل في الأمة

من الطبيعي أن الخلل لا يكون في الرسالة ولا في الرساليين الصادقين، وإنما منشأ الخلل في الأمة بعد أن أحدثت انقلاباً واستولت على الخلافة، وبالتالي صار ذلك مقدمة وتمهيداً لتوسيع دائرة الجراءة على الرسالة والرساليين، فتوالت الحروب الداخلية على أمير المؤمنين عليه السلام أيام حاكميته الفعلية للأمة، حتى اجتمعت الأسباب الكثيرة عليه والتي تمتد جذورها منذ بزوغ فجر الرسالة وإلى ما بعد استشهاد النبي الأكرم ﷺ، حيث أن حركة الرسول ﷺ في الدعوة والتبليغ ومواجهة التحديات والمخاطر والحروب الداخلية والخارجية كانت تركز على وجود أمير المؤمنين عليه السلام، فقد كان يُمثّل فيها قطب الرchy في التحمل والأداء وتحقيق الانتصار، ومن هنا ظهرت



له أو يستصغر شأنهم تحت هذه الصفة، فهذا عمل يتنافى مع مبادئ الشريعة الحقة، ولمن يتتبع يجد أسباباً كثيرة يختلفها المناوؤن لأمير المؤمنين ﷺ فيستغلون السفهاء والجهلاء والحمقى والحاسدين والأعداء لإثارة الفوضى في سبيل تعطيل مسيرته النهضة ورسالته التصحيحية وعمله الجهادي.

إذن الخلل واضح في الأمة وليس في الرسالة أو الرساليين، وقد شخّص الرسول ﷺ هذا الخلل وحذّر الأمة من الانقياد له، وشخّص لهم الحق ورموزه وأكد على ذلك خشية وقوعهم في التهلكة الدنيوية والأخروية، بل أكثر من ذلك صرّح للصحابة بدور الناكثين والقاسطين والمارقين، وقد أمرهم جميعاً بالكينونة مع الإمام علي ﷺ لأنّه على حق ويُمثّل الحق في جميع أدواره، بل حذّر أزواجه من الخروج لمحاربة أمير المؤمنين ﷺ كما في حديث صحيح متفق عليه، حيث قال هُـنَّ (١): لَيْتَ شَعْرِي أَيْتُكُنَّ صَاحِبَةً

١- المصنف لابن أبي شيبة ج ٧ ص ٥٣٨ رقم الحديث ٣٧٧٧٤، كتاب الجمل - ٣٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني ج ١٣ ص ٤٥ / قال: وأخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبزار وصححه بن حبان والحاكم وسنده على شرط الصحيح. وأيضاً في فتح الباري ج ١٣ ص ٤٥-٤٦: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لنسائه أيتكن صاحبة الجمل الأذنب همزة مفتوحة ودال ساكنة ثم موحدتين الأولى مفتوحة

على بعض الناس جملة من ردود الأفعال وتدايعات تلك المواقف الرسالية كالحقد وطلب الثأر والحسد، كما أنّ للمنافقين دوراً واضحاً في معاداته وبث روح الفرقة بين المسلمين، إضافة إلى شعور بعضهم إزاء سياسته بالغبن بعد انهائه النظام الاجتماعي الطبقي في توزيع المناصب والأموال وكأنّه ﷺ قد سلبهم حقهم من تلك الامتيازات الخاصة التي مُنحت لهم على عهد حاكمية أبي بكر وعمر وعثمان، وقد جعلتهم في مصاف كبار الأثرياء والأمراء والملوك مالأً وجاهاً، فصاروا لا يتحملون مبدأ المساواة في الإنسانية والعطاء، واعتماد الايمان والأهلية في تعيين الموظفين والولاة، كما لا تغفل عن الدور الإعلامي المُضلل التي تُمارسه بعض الجماعات الضاغطة في المجتمع والتي تحتل صفة معينة كأصحاب بدر، والمهاجرين، والأنصار، وزوج الرسول، وما إلى ذلك لتمرير مصالح خاصة وأهداف مناوئة لسياسة أمير المؤمنين ﷺ، في حين أنّ هذه العناوين لا تمنح أصحابها صك الغفران ولا تعطيههم صلاحية التجاوز على حقوق الآخرين بل هي فضيلة شخصية مقرونة بصدق النوايا وحسن الخاتمة، ويكون جزاء ذلك عند الله يوم القيامة، وليس أنّ يتكسب بهذه الفضيلة الظاهرية لينال منها الجزاء الدنيوي ويجعل الناس عبيداً



الْجَمَلِ الْأَدْبَبِ، تَخْرُجُ فَيَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ، يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ يَسَارِهَا قَتْلَى كَثِيرٌ، ثُمَّ تَنْجُو بَعْدَ مَا كَادَتْ.

وَحَدَّثَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ قَيْسٍ قَالَ (١):
لَمَّا بَلَغَتْ عَائِشَةُ بَعْضَ مِيَاهِ بَنِي عَامِرٍ لِيَلَّا نَبَحَتْ الْكِلَابَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الْحَوَابِ، فَوَقَفْتُ، فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً، فَقَالَ لَهَا طَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ: مَهْلًا رَحِمَكَ اللَّهُ، بَلْ تَقْدَمِينَ فِيرَاكُ الْمُسْلِمُونَ فَيُصْلِحُ اللَّهُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَنَا ذَاتُ يَوْمٍ: كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوَابِ.

وَقَدْ شَهِدَ الْقَوْمُ زَوْرًا لِعَائِشَةَ عَلَى أَنَّ

تَخْرُجُ حَتَّى تَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ يَقْتُلُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرَةً وَتَنْجُو مِنْ بَعْدِ مَا كَادَتْ، وَهَذَا رَوَاهُ الْبَزَارُ وَرَجَّاهُ ثِقَاتُ الْبَدَايَةِ وَالنَّهْيَةِ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ٦ ص ٢٣٦، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْكَثِيرَةِ.

١- الْمُصَنَّفُ لِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ ج ٧ ص ٥٣٦ رَقْمُ الْحَدِيثِ ٣٧٧٦٠، كِتَابُ الْجَمَلِ - ٣٨. الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ لِلْحَاكِمِ النِّسَابُورِيِّ ج ٣ ص ١٢٠. صَحِيحُ بْنُ حَبَّانَ ج ١٥ ص ١٢٦/ ذَكَرَ الْأَخْبَارُ عَنْ خُرُوجِ عَائِشَةَ. فَتَحَ الْبَارِي شَرْحَ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ لِلْعَسْقَلَانِيِّ ج ١٣ ص ٤٥. مُسْنَدُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ج ٦ ص ٥٢، وَبِهَامِشِهِ مُتَخَبِّ كَنْزُ الْعَمَالِ لِلْمَتَّقِيِّ الْهَنْدِيِّ. وَأَيْضًا مُسْنَدُ أَحْمَدَ ج ٦ ص ٩٧. أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ لِلْبَلَاذُرِيِّ ص ٢٢٤. مُسْنَدُ أَبِي يَعْلَى الْمُوَصِّلِيِّ ج ٨ ص ٢٨٢ رَقْمُ الْحَدِيثِ ٤٨٦٨. مُسْنَدُ ابْنِ رَاهُويَه ج ٣ ص ٨٩٢. الْبَدَايَةُ وَالنَّهْيَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ٦ ص ٢٣٦، قَالَ: وَهَذَا إِسْنَادٌ عَلَى شَرْطِ الصَّحِيحِينَ وَلَمْ يَخْرُجْهُ. وَغَيْرُهَا مِنَ الْمَوَاقِفِ الْكَثِيرَةِ.

هَذَا الْمَاءُ لَيْسَ الْحَوَابُ (٢)، فَسَارَ طَلْحَةُ وَالزَّبِيرُ وَعَائِشَةُ فَيَمْنِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّاسِ فَخَرَجُوا فِي ثَلَاثَةِ الْأَفْ، مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ تَسْعَمَاءُ. وَسَمِعْتُ عَائِشَةَ فِي طَرِيقِهَا نَبَاحَ كِلَابٍ فَقَالَتْ: مَا يَقَالُ لِهَذَا الْمَاءِ الَّذِي نَحْنُ بِهِ؟ قَالُوا: الْحَوَابُ. فَقَالَتْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ رَدُونِي رَدُونِي فَلِإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: وَعِنْدَهُ نَسَاؤُهُ: «أَيْتَكُنْ يَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ»، وَعَزَمْتُ عَلَى الرَّجُوعِ فَأَتَاهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ فَقَالَ: كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ هَذَا الْمَاءَ الْحَوَابُ، وَجَاءَ بِخَمْسِينَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ فَشَهِدُوا وَحَلَفُوا عَلَى صَدَقَ عَبْدُ اللَّهِ.

إِذْنٌ لَمْ يَكُنِ الْخُلَلُ وَاقِعًا فِي ذَاتِ الشَّرِيعَةِ وَنِظَامِهَا الْأَصِيلِ وَلَا فِي الْقِيَادَةِ الْعَادِلَةِ الْحَكِيمَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ وَإِنَّمَا الْخُلَلُ فِي مَسْلُكِيَةِ الْأَصْحَابِ وَمَعَامِلَاتِهِمُ الْخَارِجَةِ عَنْ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ لِمَتَابَعَتِهِمُ الضَّغَائِنَ وَالْأَحْقَادَ وَالْحَسَدَ وَحُبَّ الْأَنَا وَالْهَوَى وَاللَهْثَ وَرَاءَ الدُّنْيَا وَالْوُقُوعَ تَحْتَ تَأْثِيرِ سِيَاسَةِ التَّجْهِيلِ وَالتَّضْلِيلِ مِمَّا أَبْعَدَهُمْ عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَقَدْ خَالَفُوا صَرِيحًا الْكِتَابَ وَالسُّنَنَةَ فِي مُودَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ وَالْكَيْنُونَةَ مَعَ الصَّادِقِينَ وَمُحَارَبَةِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ.

٢- أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ لِلْبَلَاذُرِيِّ ص ٢٢٤. الْبَدَايَةُ وَالنَّهْيَةُ لِابْنِ كَثِيرٍ ج ٧ ص ٢٥٩.



الدهر في سياسته ونضاله وعدله ومقاومته للفساد والانحراف؛ ولذا نحاول قدر المستطاع تسليط الضوء على البُعد الثقافي والعمل التثقيفي في سيرة أمير المؤمنين ﷺ في مختلف مجالات الحياة بلحاظ كونها محط نظر عقلاء الناس ومثقفهم وتأملهم فيها لسعة آفاقها العلمية والمعرفية والميدانية.

وحينما نتكلم عن الثقافة لا نريد منها وصف أمير المؤمنين ﷺ بالرجل المثقف؛ لأنّه أرقى وأسمى من أن يوصف بذلك؛ لكونه الرجل العالم العارف في جميع أمور الحياة وما قبلها وما بعدها بنحو تفصيلي بلحاظ علمه اللدني، وهذه الصفة العلمية والمعرفية من مختصات الرسول ﷺ وأئمة أهل البيت ﷺ الذين لا يُقاس بهم أحد من عامّة الناس، وعليه لا يصح وصفهم بالمتقفين؛ لأنّ الثقافة في بُعدها العام أن تكون لك معرفة في الجملة عن غالب الأشياء بما لا تصل إلى العمق والتفصيل، بخلاف التخصص الذي يعرف فيها المتخصص كلّ شيء عن شيء واحد، وأمّا الحال بالنسبة إلى أمير المؤمنين ﷺ فهو يعرف كلّ شيء عن كلّ شيء بالتفصيل، وبالتالي فهو يفيض من علومه ومعارفه وأخلاقياته وسياساته على الناس بما يجعلهم مُحَصِّنِينَ بثقافة ذات بُعد انساني يستوعب البشرية جمعاء، إلا أن انحراف

ولا نطيل في بيان ذلك، لكي لا تفوتنا الشذرات النورية في تثقيف أمير المؤمنين ﷺ للأمة، وهذا ما يتطلب الحديث عن البُعد الثقافي في مسيرته الطاهرة.

الحديث عن البُعد الثقافي

لا يعني البُعد الثقافي أن نحصر حركة أمير المؤمنين ﷺ في زاوية معرفية ضيقة وبالمعنى المتداول بين الناس؛ لأنّ الثقافة مفهوم واسع تستوعب في أبعادها وحركتها تنظيم ومراعاة حياة الإنسان كفرد ومجتمع وشعب في مختلف المجالات العامّة بما يضمن الحقوق ويُقيم العدل ويُحصّن الأمة فكرياً وأمنياً وعسكرياً واقتصادياً ليحفظ نظامها وسيادتها وعزّتها، وهذا يتطلب قيادة رسالية قوية وأمينية ومخلصة، ولم يذكر التأريخ الإسلامي شخصية بعد رسول الله ﷺ تمتلك مواصفات متكاملة للمعرفة والقيادة والعمل الميداني والحنكة السياسية والحريّة وتدبير شؤون الأمة ورعاية مصالحها إلا أمير المؤمنين ﷺ رغم وجود أخطر التكتلات الحزبية الداخلية في حياته كالناكثين والقاسطين والمارقين، فضلاً عن الخطر الخارجي، حيث شكّلوا عائقاً شرساً لمنع تحقيق طموحاته الرسالية في خدمة الإنسانية جمعاء، حتى صار أعجوبة





الكثير من الناس عن هذا الفيض وجوئهم إلى مشارب مختلفة لدواعي قبلية وعصبية وأهواء وأمزجة ومصالح ضيقة مع قصور مداركهم بما يكسبهم أفكاراً وقيماً وممارسات مختلفة ومتنوعة ومتضادة، يكاد لا يتفقون إلا في قضايا ومسائل قليلة جداً لكثرة اختلافهم في المفاهيم وتشخيص المصايدق وتحديد آليات العمل والممارسات على أرض الواقع لتنشأ عن ذلك ثقافات مزيفة وتحث الخلافات وتشيع النزاعات والصراعات لتعارض مراكز معلوماتهم ومعارفهم فيحصل التناقض في الأفكار والمبادئ والقيم والأخلاق، كما تلحظ التضاد في المصالح وإتباع السياسات، وهذا في واقع الحال ليس من الثقافة في شيء وإنما هو خروج عن دائرة العلم والمعرفة والممارسة الحقة والعادلة، فتكون عبارة عن أوهام وأباطيل وسفسطات ما أنزل الله بها من سلطان، وبالتالي فإنَّ التثقيف الصادر عن الأئمة الهداة هو بالضد من التجهيل الذي يصدر عن أئمة الضلال.

ومن هنا لابد من تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً باعتبار ما عليه غير المعصوم من الأفراد والمجتمعات مما تكتسبه من علوم ومعارف وفنون ذات بُعدٍ محدود ومن مصادر مختلفة وثقافات متناقضة فكراً وممارسة.

فالثقافة لغة لها معاني متعددة إلا أنَّ

المعنى العام والمناسب للمقام كما في الصحاح أن يُقال^(١): ثقف الرجل ثقفا وثقافة، أي صار حاذقاً فطناً، وقال الفراهيدي^(٢): والثقف مصدر الثقافة، وفعله ثقف إذا لزم، وثقفت الشيء وهو سرعة تعلمه. وقلب ثقف أي سريع التعلم والتفهم، وقال ابن منظور في لسانه^(٣): وثقف أيضاً ثقفا مثل تعب تعباً أي صار حاذقاً فطناً، فهو ثقف، وثقف مثل حذر وحذر وندس وندس، ففي حديث الهجرة: وهو غلام لقن ثقف أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه.

وأما الثقافة بحسب الاصطلاح فلها تعريفات متعددة لتعدد الاتجاهات الفكرية والحدود التصورية، منها ما قيل بأنَّها^(٤): مجموعة الأعراف والطرق والنظم والتقاليد التي تميز جماعة أو أمة أو سلالة عرقية عن غيرها. وعلى مستوى الفرد يطلق اللفظ على درجة التقدم العقلي التي حازها، بصرف النظر بالطبع عن مستويات الدراسة التي أنجزها.

- ١- الصحاح للجوهري ج ٤ ص ١٣٣٤ / فصل الثاء [ثقف]. القاموس المحيط للفيروز آبادي ج ٣ ص ١٢١: فصل الثاء- [ثقف].
- ٢- كتاب العين للفراهيدي ج ٥ ص ١٣٩.
- ٣- لسان العرب لابن منظور ج ٩ ص ١٩: [ثقف].

- ٤- مصطلحات علمية / حرف الثاء / د. عبد اللطيف العبد / دار الثقافة. ط ٥ سنة ١٩٩٨ م.



في حركة مترابطة تُستثمر في بناء حضارة عالمية عابرة للحدود تشترك فيها الإنسانية لوحدة أهدافها إذا ما التزم الجميع بالبُعد الثقافي الإنساني المبني على المعرفة، والعلم، والحق، والعدل، والمساواة، والحرية المنضبطة، واحترام الحقوق، وأداء الواجبات، والتكافل، والتناصح، ونصرة المظلوم وردع الظالم....

وبطبيعة الحال فإنَّ البُعد الثقافي الذي أشاعه أمير المؤمنين ﷺ بين الناس جميعاً لم يكن متأثراً بالقبليات والموروثات، ولم يصدر عن التصورات المتوهمة والرغبات الضيقة والتجارب الناقصة، بل هو مُنجز قائم بذاته يحكي الواقع الذي ينبغي على الإنسانية أن تؤمن به وتسلكه في خطابها وسلوكها ومعاملاتها، وكان سلام الله عليه مُجسداً لكل المعايير والموازين الإنسانية في نطقه وصمته، وحركته وسكونه، ونومه ويقظته، وحبّه وبغضه، وعطائه ومنعه، وسلمه وحربه، حتى وُصف بالقرآن الناطق، وبأنه قرآن يمشي على الأرض، وأنه مع الحق، والحق معه، فصار ﷺ ميزاناً يُعرف من خلاله الحق والباطل، والعلم والجهل، والعدل والظلم، والثقافة وأضدادها كالأمية والحمق والغباوة، وما إلى ذلك.

وعموماً فإنَّ الثقيف العَلوي أخذ

ولكنَّ الثقافة في حدِّ ذاتها وكمفهوم معرفي وسلوكي لا ينبغي أن يخرج عن دائرة الحذاقة والفتنة والذكاء الذي يؤدّي بالفرد والمجتمع نحو الصلاح والإصلاح، وبما يصح وصفه بالفكر الإنساني العابر للحدود والمتجاوز للانقسام والخلاف؛ إذ ليست الأفكار والأعراف الفاسدة والنظم الفاشلة والتقاليد البالية والتشريعات الظالمة التي تتميز بها جماعة أو أمة أو سلالة عرقية عن غيرها يصح وصفها بالثقافة، بل هي جهل بسيط أو مركب أو ممارسات ضالّة أو عدوانية وظالمة، وبذلك فإنَّ القول بتعدد الثقافات هو خطأ شائع؛ لأنَّ الجهل بقسميه والضلال والظلم والعدوان لا يُنتج علماً ومعرفة وسلوكاً قوياً بل هو فساد وانحراف وفق المعايير الإنسانية وإن اتفق الجاهلون والظالمون على ذلك، حيث لا يمنحهم الاتفاق صفة الثقافة بل هي جهالة، كما أنَّ الثقيف هي بالضد من التجهيل.

وعموماً فإنَّ الثقافة إنّما هي منطق رسالي ورؤية عالمية مصدرها الحق الإلهي تتجسد فيه المعايير الدينية والعلمية والممارسات الاجتماعية والأخلاقية الأصلية والمتوائمة مع الفطرة الإنسانية، وبما يُعطي معنى رسالياً للحياة وبُعداً تكاملياً للإنسان وتفاعلاً حقيقياً بينهما



مساره الإنساني بين الشعوب ليكون أنموذجاً واعياً يتطلع نحوه العقلاء في مسيرتهم الحياتية الفكرية والعملية لكونه يُمثّل الإسلام الأصيل، والواقع الإنساني الشامل لجميع مناحي الحياة في أبعاده المختلفة.

إذن الامام أمير المؤمنين عليه السلام ذلك الإنسان الرسالي والميزان العادل الذي حمل الدين والمعاني الإنسانية عن علم ودراية بنحو تفصيلي وأدّى ذلك بأمانة وإخلاص على أكمل وجه وأحسن أداء؛ ولذا تجد خطاباته وسلوكياته ومعاملاته تعكس الصورة الناصعة للنظام الإسلامي الذي لا تنحصر ثقافته على حدود جغرافية معينة ومناطق ضيقة ومجتمعات خاصّة بل تعامله مبني على نشر الثقافة الموضوعية الهادفة وتثبيت أسسها في بعدها الإنساني الصالحة للبشرية جمعاء، إلا أنّ انحراف الغالب من البشرية عن هذه الخطوط الرسالية لدواعي خاصة وضيقة وجهل وغباء وما إلى ذلك رغم وضوحها وصلاحتها كان تحت ذرائع واهية ومسوّغات ذات بُعد سفسطائي كدعوى تغير الثقافات بتغير الزمان والمكان مما جعلهم يمنحوها طابع الانقسام الإيجابي، علماً أنّ ما تحمله المجتمعات والشعوب من أعراف وعادات ونُظُم وأفكار يختلف

بعضها عن بعض في داخل المجتمع الواحد فضلاً عن الشعب، حيث لا ضوابط تحدّهم ولا موازين يستندون إليها، مما جعلها خليطاً من الصحيح والفاسد، والحق والباطل، والعدل والظلم بحسب متابعتهم للتصورات الوهمية والأمزجة والمصالح الضيقة وتقليد الآخر عُمياناً، إنّ لم نقل أنّها بالضد التام من الثقيف العلوي، ولكن لما كان هؤلاء يواجهون المنهج الثقيفي الرسالي فقد نشأت لديهم ضرورة وضع تصنيفات مختلفة للثقافة كنوع من التحايل الفكري كالقول بالثقافة الغربية، والثقافة الشرقية، والثقافة الدينية واللادينية، والثقافة البوذية والهندوسية والسيخية، وما إلى ذلك، فيُعطي لكل مجتمع وشعب وأمة خصوصية تكون مشروعة له ويتميز بها عن الآخر في كثير من المبادئ والقيم والأخلاق والأعراف والعادات والنُظُم بعد نفهم لوجود معرفة مطلقة إيماناً منهم بنسبية المعرفة والحقيقة إلا أنّ هذا النفي مردود بالبرهان والوجدان لثبوت الكثير من الحقائق والمعارف المطلقة المتعلقة بالخالق جلّ وعلا والوجود بل وجود البدييات والحسابات الرياضية والهندسية التي لا تقبل الشك والخطأ، إضافة إلى ذلك وقوعهم في مغالطات فاضحة وهي أنّهم في الوقت الذي ينفون



وجود حقيقة أو معرفة مطلقة نجدهم يؤمنون بنسبية المعرفة بنحو مطلق أي أنّ نظرية النسبية لديهم تُتمثل حقيقة مطلقة، وهذا خُلف واضح.

ومن هنا نحاول أن نستعرض بعض الشواهد المُعبّرة عن تلك الثقافة العلوية اتجاه الخصوم من الانقلابيين والبعثة والخوارج وتثقيف الناس عليها لتكون ميزاناً للحق والعدل، وثقافة صالحة لكل المجتمعات والشعوب، نذكر منها.

أولاً: رَفَضَ الإمام أمير المؤمنين ﷺ صراحة بيعة الانقلابيين في يوم السقيفة، ولم يمد يده إليهم مُكرهاً أو مُختاراً، ولو قلنا جدلاً بمبايعته مُكرهاً، فإنّ المُكره لا بيعة له، ولا يترتب عليها أثر شرعي أو عرفي، بل ما هو اليقين أنّه ﷺ لم يُبايع أحداً مُختاراً بعد رسول الله ﷺ لأسباب منها، كونه الإمام الحق بحسب أهليته الكاملة والمؤكدّة بالنص الإلهي وبيعة الغدير الذي لا يُنازعه إلا جاحد وظالم، ولا يُخالفه إلا مُعانِد أو جاهل، ولا يستبيح دمه إلا كافر، كما هو ثابت بالأدلة النقلية والعقلية، كما يقبح بيعة الإمام الفاضل لرجل موصوف بالقصور والتقصير وعدم الأهلية لقيادة الأمة، وهذا الأمر لا يخرج عن القاعدة التي بيّنها الإمام الحسين ﷺ في صريح عبارته: ومثلي لا يُبايع مثله، ولكنّ

الأحداث أخذت تتسارع حيث ^(١) ذهب عُمر ومعه عصابة إلى بيت فاطمة، فقال لهم: انطلقوا فبايعوا فأبوا عليه،... وقد أُجبر علي بالذهاب إلى أبي بكر، فقال له: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي،... فقال عمر: إنك لست متروكا حتى تبائع، فقال له علي: احلب يا عمر حلبا لك شطره! اشدد له اليوم أمره ليرد عليك غدا! ألا والله لا أقبل قولك ولا أبايعه،... وانصرف علي إلى منزله، ولم يبايع.

وأما ما قيل من بيعته ﷺ لأبي بكر بعد وفاة الصديقة الطاهرة صلوات الله عليها إن صحّ ذلك جدلاً، فلا تخرج بيعته عن كونه مُكرهاً، وبالتالي لا قيمة لها، مع القطع بثبوت سخطه ونكرانه على اغتصاب أبي بكر للخلافة بل اعتراضه المستمر على تقمصه هذا المنصب، وكذا تلبّس عمر وعثمان ذلك، وخطبه ومحاوراته دالة صريحاً على ذلك، بما لا تحتاج إلى مزيد تكلف وعناء في اثباته.

ثمّ إنّ حاكمية الانقلابيين بالغلبة وإتباع سياسة الترغيب والترهيب والحيلة مع عدم أهليتهم، وبيعة الناس لهم خوفاً

١١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٦ ص ١١. الامامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري ص ٢٩. السقيفة وفدك لأحمد البصري البغدادي ص ٦٣.



وطمعاً وجهلاً لا يمنحهم مشروعية الحكم والعمل؛ ورغم تحاذل غالبية الأصحاب عن نصرة أمير المؤمنين عليه السلام لاستعادة حقه الشرعي إلا أن الموقف الرسالي حتم عليه أن يكون صابراً محتسباً لعلمه بالحوادث مع توصية الرسول ﷺ له بالصبر عليها لمقاصد وغايات أهم وأعظم كخشية وقوع الردّة عن الدين، وخصوصاً أن الكثير منهم حديثو عهد بالإسلام، وفيهم من يتربص حصول ذلك من المنافقين، ومع ذلك لم يترك الإمام عليه السلام رسالته حيث أخذ يُقاوم الجهل والتجهيل والتضليل وينشر الوعي ويدافع عن الإسلام ويحفظ النظام العام للمسلمين، بل لم يخل حتى على الانقلابيين بمشورة أو نصيحة أو بيان حكم شرعي أو قضائي أو توضيح أمر عقدي وما إلى ذلك حرصاً منه على المصلحة العامة وتأدية للأمانة وتثبيتاً لدعائم الإسلام الأصيل وهداية للبشرية بالفكر والعدل والحب والسلام، والأخذ بالأئمة نحو الرقي والازدهار، وكلما كثرت المظالم عليه وعلى أهل بيته مع خذلان الأصحاب إلا أن ذلك لم يمنعه من التصريح بحقه في الخلافة بلا فاصل بعد رسول الله ﷺ والمطالبة بها للنص عليه مع ثبوت أهليته المتكاملة لقيادة الأئمة؛ ولأجل الكشف عن الحق والحقيقة وفضح المنافقين من دون إثارة

فوضى مُخَلَّة بالأمن العام، وإتمام الحجة على الجميع حتى تتضح الطرق والمسالك التي تخضع للولاء والبراء كمسؤولية شرعية أمام الله تعالى في اتخاذ الموقف الصحيح، وكتاب نهج البلاغة وغيره من المدونات الحديثية والتاريخية مليئة بالخطب والرسائل والأحداث التي تكشف فيها واقع الانقلابيين وتُفصح عن حق أمير المؤمنين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام بالخلافة بعد رسول الله ﷺ بلا فصل.

وهذه المواقف الرسالية تُعطينا درساً بضرورة رعاية الأولويات والمقاصد الأهم وفق معطيات شرعية وعقلية تامة مع عدم ترك الوظيفة الرسالية في الدعوة والتبليغ وبيان الحق، إضافة إلى اتخاذ موقف شرعي وعقلاني اتجاه البيعة والانتخابات؛ لأنها لا تصح إلا لأهلها الشرعيين الذين يمتلكون المواصفات الخاصة، ولا يجوز للجماهير بيعة وانتخاب الكفار والمنافقين والسفهاء والسارقين؛ لأنّ تمكينهم من حاكمية الأئمة يجعل لهم سبيلاً وسلطاناً على المؤمنين ويُساعد على نشر الظلم والفساد، ويُعرّض الأئمة للانقسام والضعف والانحدار والانهيار، ولقبح هذا التمكين وتداعياته الخطيرة على الاسلام والمسلمين فقد صرح عمر بن الخطاب في خطابه حيث قال^(١):
١- صحيح البخاري ج ٤ ص ١٨٥ : ١٦ - ٣ -



كان لا يرى لهذه المناصب قيمة سوى أنها مسؤولية لإقامة الحق ودفع الباطل، قال ابن عباس^(١): عند خروج أمير المؤمنين عليه السلام لقتال أهل البصرة: دخلت عليه بندي قار وهو يُخَصِّفُ نَعْلَهُ، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ قلتُ: لا قيمة لها. فقال عليه السلام: والله لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعُ باطلاً.

نعم قد قالها مراراً، ولقد شرط عليهم ذلك في بيعتهم له بعد مقتل عثمان، حيث قال عليه السلام^(٢): دعوني والتمسوا غيري فإننا مستقبلون أمره وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أي إن أجبتكم ركبتم ما أعلم ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وهو كان يعلم علم اليقين بأنه يستقبل أمره وجوه وألوان؛ لأن أقواماً وأحزاباً سيعمدون إلى إثارة الفتنة والحروب الداخلية لدواعي مبتدعة وخُذَع مصطنعة كما أخبره الرسول ﷺ بالناكثين والقاسطين والمارقين، وهذه المجاميع تحمل من العناوين والمكانة الاجتماعية ما يجعلها من القوة التي لا يُستهان بها ولا يجروء أحد على مواجهتها إلا أن الله تعالى قد قيظ لها أمير المؤمنين عليه السلام ليقطع دابر

إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت، ألا وإنما قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها،... من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي تابعه، تغرّة أن يقتل، فَحَكَمَ عَلَى مَنْ يَسْلُكُ هذا الطريق بالقتل إلا أنه عاد وسلكه مرة أخرى بعد وفاة أبي بكر، كما مهد لحاكمية عثمان في وصيته، فكان ذلك سبباً لانقسام الأمة وضعفها ونزو الأعداء على حاكميتها.

ثانياً: بذل أمير المؤمنين عليه السلام جهده في تثقيف الناس على أن المنصب والحكم تكليف وأمانة ورسالة، وليس امتيازاً وتشريفاً ووجاهة؛ ولذا لا يتحمل ذلك إلا مَنْ يتصف بمواصفات الأهلية مع عَظَمَ خطر هذه المسؤولية إلا أن بعض الناس لفرط جهلهم وضعف إيمانهم ولحبهم الدنيا وطمعهم في السلطة صاروا يتنازعون عليها، فيلبسون ما لا يليق بهم، ويتمصون ما لا يُناسبهم، ويحملون ما لا يتحملوه في الدنيا والآخرة، وما أشبه اليوم بالأمس حيث تتشابه الأحداث والمواقف، فيسَعُ القاصر والمقصر إلى نيل المناصب بكل الوسائل لسد نقصه وإشباع غريزته وارتزاقه منها، في حين أن أمير المؤمنين عليه السلام

باب: رجم الحبل في الزنا إذا أحصنت، رقم ٦٤٤٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: ج ٢ ص ١٤٨. السنن الكبرى للنسائي: ج ٤ ص ٢٧٢، رقم (٧١٥١). وغيرها من المصادر.

١- نهج البلاغة / شرح محمد عبده / خطبة ٣٣.
٢- نهج البلاغة / محمد عبده / خطبة ٩٢.



الظالمين من البُغاة والمارقين المتلبسين بلباس الدين والموصوفين بالصحابة والتابعين وأم المؤمنين، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام ^(١): أما بعد أيها الناس! فأنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن لي جترئ عليها أحد غيري، ولو لم أكن فيكم ما قوتل الناكثون، ولا القاسطون، ولا المارقون، ثم قال: سلوني قبل أن تفقدوني.

إذن لم يكن النص على أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بلا فصل أمراً اعتباطياً ولا لهواً ولعباً بل هو من الحكمة الربانية التي تضع الأمور في نصابها الصحيح لجلب المصالح ودرأ الفساد، حيث الأهلية الكاملة من المواصفات النافمة والشرائط الجامعة، ومع هذا فإن الخلافة لم تُزَيَّنْ علياً بل علي زينها، كما قالها أحمد بن حنبل وغيره، فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال ^(٢): كنت بين يدي أبي جالساً ذات يوم فجاءت طائفة من الكرخيين فذكروا خلافة أبي بكر وخلافة عمر بن الخطاب وخلافة عثمان بن عفان فأكثرُوا وذكروا خلافة علي بن

١- تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٩٣، والنص له. السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ١٦٥: رقم الحديث ٨٥٧٤. المصنف لابن أبي شيبه ج ٨ ص ٦٩٨: رقم الحديث ٨١. كنز العمال للمتقي الهندي ج ١١ ص ٢٩٨: رقم ٣١٥٦٥. نهج البلاغة / شرح محمد عبده / خطبة ٩٣. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢ ص ٤٧٤. ٢- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢ ص ٤٤٦ / الخاص بذكر أمير المؤمنين.

أبي طالب وزادوا فأطالوا فرفع أبي رأسه إليهم فقال: يا هؤلاء قد أكثرتم في علي والخلافة، والخلافة وعلي، إنَّ الخلافة لم تزين علياً بل علي زينها.

وعن المدائني قال ^(٣): لما دخل علي بن أبي طالب الكوفة دخل عليه رجل من حلفاء العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، وهي كانت أحوج إليك منك إليها.

وقام صعصعة بن صوحان فقال ^(٤): والله، يا أمير المؤمنين، لقد زينت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، وهي إليك أحوج منك إليها.

وأيضاً ^(٥): قام قوم من الأنصار فتكلموا، وكان أول من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري، وكان خطيب الأنصار، فقال: والله، يا أمير المؤمنين، لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين، ولئن كانوا سبقوك أمس فقد لحقتهم اليوم، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك، ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون، وما احتجت إلى أحد مع علمك.

- ٣- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج ٤٢ ص ٤٤٥.
٤- تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٧٩.
٥- تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٧٩.



ولما كان عليه أعداؤه، وكان يقول لهم (٢):
إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّائِينَ وَلَكِنْكُمْ
لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَكُمْ وَذَكَّرْتُمْ حَالَكُمْ كَانَ
أَصُوبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَقُلْتُمْ
مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا
وَدِمَاءَهُمْ وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَيَبْنِهِمْ
وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقُّ
مَنْ جَهْلَهُ وَيَرَعَوِي عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ
مَنْ هَجَّ بِهِ.

ولما اجتمع المسلمون طواغية على أمير
المؤمنين ﷺ بعد مقتل عثمان ليبياعوه
البيعة الثانية بعد بيعة الغدير التي ليس
لها مثيل إلا بيعة الناس للإمام الحسن ﷺ،
وقد تخلف عن بيعته نفر قليل حسداً
وبغضاً، منهم عبد الله بن عمر وسعد بن
أبي وقاص، ومحمد بن مسلمة، حتى قال
ابن حزم (٣): وتأخر عن بيعة علي، قوم
من الصحابة بغير عذر شرعي، إذ لا شك
في إمامته.

وقد سُئِلَ أمير المؤمنين ﷺ عنهم
فوصفهم، ولم يهجمهم ولم يسبهم، ولم يُكْرِه
أحداً على بيعته بخلاف مَنْ سبقوه الذين
فرضوا بيعتهم بالإكراه أو قتل كل مَنْ
يتخلف عن ذلك خوف الفتنة بحسب

٢- نهج البلاغة / خطبة ٢٠٦ / شرح محمد عبده.

المعيار والموازنة لأبي جعفر الاسكافي ص ١٣٧.

٣- رسائل ابن حزم الأندلسي ج ٢ ص ١٣٨ /

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

وبالتالي لا بد من أن تُثَقَّفَ أنفسنا
والجماهير في كل مجالات الحياة بالرجوع إلى
مصادرها الحقيقية فكراً وسلوكاً ومعاملة
لكي لا ننحرف ولا نُضِلَّ ولا نمرق عن
الدين، ولم نجد أحداً بعد رسول الله ﷺ
مَنْ أشاع للإنسانية ثقافة واقعية إلا أمير
المؤمنين ﷺ لأنَّه مع الحق، والحق معه،
وقد قال أحمد بن سعيد الرباطي (١):
سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يزل علي
بن أبي طالب مع الحق والحق معه.

فأين دعاة الثقافة والحكام من فكر
ومنهج وسيرة أمير المؤمنين ﷺ التي لا
تستوعبها عشرات المجلدات؟ ألا ينبغي
لهم الاقتداء بجهة الحق والعلم والمعرفة
والأخلاق، أفلا يتدبرون القرآن أم على
قلوب أقفالها.

ثالثاً: رغم الظلمات والمآسي والحروب
والسب والتكفير التي تعرَّض لها أمير
المؤمنين ﷺ إلا أنَّه لم يرد بالمثل ولم ينزل
إلى مستواهم بل كان لا يُشَجِّع أحداً من
أصحابه على سبِّ خصومه وأعدائه، بل
كان تثقيفه لهم مبني على التأدب بأدب الله
ورسوله ليسمو بهم نحو الرقي والخلُق
الرفيع ومكارم الخصال، ويستبدل سبهم
لأهل الشام في حرب صفين بالدعاء لهم
بالهداية من الضلال وحقن الدماء، خلافاً

١- تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر ج ٤٢ ص ٤١٩.



دعواهم إلا أَنَّهُ ﷺ قال في المتخلفين عن بيعته ^(١): أولئك قوم قعدوا عن الحق ولم يقوموا مع الباطل، وفي رواية أخرى: أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل، ولكن هذا القول إن صحَّ صدوره فهو لا يُعفي المتخاذلين عن المسؤولية الشرعية أمام الله تعالى؛ ولهذا لم يوفقوا إلى الهداية وحسن العاقبة.

وقد أجاب أمير المؤمنين ﷺ عمَّاراً في بيان عدم بيعة هؤلاء، فقال له ^(٢): دع هؤلاء الرهط، أمَّا ابن عمر فضعيف، وأمَّا سعد فحسود، وذنبني إلى محمد بن مسلمة: أني قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهودي، علماً أنَّ أمير المؤمنين ﷺ قتل بعض أحوال سعد بن أبي وقاص في معركة بدر، مما جعله يحمل هذه الضغينة أيضاً على الإمام ﷺ، وأمَّا عبد الله بن عمر فضعفه أخزاه وأذله وكشف قبح سريره ونفاقه؛ لأنَّه في الوقت الذي رفض أن يبايع الأسياد - أمير المؤمنين ﷺ، ثُمَّ من بعده ولده الإمام الحسن ﷺ -، نجده قد بايع الأراذل الطلقاء - معاوية بن أبي سفيان، ثُمَّ يزيد بن معاوية، ثُمَّ الحجاج بن يوسف الثقفي لعبد الملك بن مروان -،

١ - تهذيب الكمال عن أسماء الرجال للمزي ج ٢٠ ص ٤٨٧.

٢ - الإمامة والسياسة لابن قتيبة الدينوري: ج ١ ص ٧٣؛ المعيار والموازنة لابي جعفر الاسكافي: ١٠٨.

وكان ابن عمر يقتدي في صلاته بأمراء الجور والضلالة ^(٣) لا يأتي أمير إلا صلى خلفه، وأدَّى إليه زكاة ماله، وكان يقول ^(٤): لا أقاتل في الفتنة وأصلي وراء من غلب، فيكشف عن كون معياره وميزانه ليس الإيمان والحق والعدل وإنما الغلبة كما هو منطق الغاب الذي اعتمده أرباب السقيفة في بيعتهم الفتنة وإكراه الناس عليها بعد غضبهم حق أمير المؤمنين ﷺ في الخلافة، ومن الطبيعي أن يكون الولد على سِرِّ أبيه، فسقط هذا وأمثاله في الفتنة والضلالة ولحقهم الخزي والعار.

وكان أمير المؤمنين ﷺ قدوة وأسوة للمؤمنين في سلوكياته وتعامله مع الآخرين حتى مع المارقين، فلم يكن يحمل حقداً وكرهية لأحد وإن استوجب عليه القصاص والحد والقتال، ولكنه يكره أفعالهم ويشجبها ويستنكرها ويؤاخذهم عليها بما هو مناسب لها، كما هو تعامله مع الخوارج الذين كفَّروه وكفَّروا مَنْ معه واستباحوا دماءهم وقطعوا السُّبُل وارتكبوا الجرائم والموبقات بحق المسلمين حتى استوجب قتالهم، فقاتلهم الإمام ﷺ في النهروان ولم يبق منهم إلا القليل، وقد فرَّوا من المعركة، فقال ﷺ لأصحابه بشأن

٣ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ١٤٩.

٤ - الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ١٤٩.



الخوارج^(١): لَا تُقَاتِلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي،
فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَاهُ كَمَنْ
طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَذْرَكَهُ.

بمعنى أن الخوارج سعوا إلى الحق
ولكنهم أخطأوا الطريق إليه، ورفعوا
شعار حق وهو (لا حكم إلا لله) إلا أنه
شعار حق يُراد به باطل، وهم ليسوا
كمعاوية وأصحابه الذين يعرفون الحق
وخالفوه وعملوا بالباطل وخدعوا
الناس، فيكون معاوية أسوأ حالاً منهم
وأخطر وبالأعلى المسلمين ومستقبل
أجياهم لوجود قيادة لهم ودولة يرجعون
إليها.

رابعاً: لم يسع أمير المؤمنين ﷺ إلى قتال،
كما لم يبدأ أعداؤه به، بل عُرف عنه ﷺ
إرسال مَنْ يُحاورهم ويُفاوضهم على
الحق والعدل حرصاً منه على السلام، و
لإلقاء الحجة على الخصوم، وتجنباً لسفك
الدماء، وكان لا يلجأ إلى القتال إلا اضطراراً
ودفاعاً عن بيضة الإسلام وحفظاً للنظام
ونفوس الناس ومصالحها العامة.

ولم يكن التفاوض أمراً عبثياً أو فوضوياً
بل يستند إلى أسس علمية ومعرفية
وشرعية، وبما يجعل له حدود وضوابط
لا ينبغي للمفاوض أن يتجاوزها، على

أن يكون حاذقاً وفطناً، كما لا بد له أن
يكون ملتزماً ومسترشداً برأي القيادة،
وأن يكون مؤتمناً على أداء محاور التفاوض
وبيانها بشكل واضح لا لبس فيها كما
هو مُؤكَّل بها بحيث لا يفهم خلافها،
بل لا يحق له تعدي تلك المحاور إلى ما
يُضادها أو يُناقضها، ولكن هذا لا يمنع
من مرونة حوارهِ ضمن خيارات معلومة
لتلك المحاور يجري تقدير الأولويات
فيها بالنسبة للمُحاور بحسب ظروف
جلسة التفاوض، حيث لا إفراط فيها ولا
تفريط، وأن لا يستقل برأيه من دون مشورة
بحيث يوصف بالمستبد، ولا يكون مُغفلاً
وإلا سيقع في فخ الأعداء كما نُصِبَ ذلك
للمفاوض أبي موسى الأشعري في صفين
وقد خُدِعَ وأصبح موضع نقد وسخرية،
إضافة إلى تجاوزه الحدود؛ ولذا نُقِضَت
مقرراته جملة وتفصيلاً من قبل القيادة
والجماهير، وهذا بخلاف المفاوض عبد
الله ابن عباس المؤمن بقيادته والملتزم
بإرشاداتها ووصاياها لما التقى بالخوارج
في النهروان، ورغم أنه لم يصل معهم إلى
نتيجة كاملة إلا أنه ألقى عليهم الحجة
وكان مؤثراً فيهم حتى استطاع أن يفصل
نصف جيش الخوارج ويرجعهم إلى
جادة الصواب بعلمه وفطنته وحنكته
في الخطاب والمحاورة مما أربك وضعهم
وزعزع صفوفهم.



من اجتنبه. قال: فهلا أكون كعبد الله بن عمر وسعد بن مالك؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إن عبد الله بن عمر وسعد أخذوا الحق ولم ينصروا الباطل، متى كانا إمامين في الخير فيتبعان؟!.

وعن الأصبع بن نباتة، قال ^(٢): دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم، فجعل - يعني الحارث - يتأود في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه وكان مريضاً، فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام وكانت له منه منزلة، فقال: كيف تجددك، يا حارث؟ قال: نال الدهر مني يا أمير المؤمنين، وزادني أواراً وغليلاً اختصام أصحابك ببابك. قال: وفيهم خصومتهم؟ قال: في شأنك والبلية من قبلك، فمن مفرط غال ومقتصد قال، ومن متردد مرتاب لا يدري أيقدم أو يحجم. قال: فحسبك يا أخا همدان، ألا إن خير شيعتي النمط الأوسط إليهم يرجع الغالي، وبهم يلحق التالي. قال: لو كشفت - فذاك أبي وأمي - الرين عن قلوبنا، وجعلتنا في ذلك على بصيرة من أمرنا؟ قال: قدك - يكفيك -، فإنك امرؤ ملبوس عليك، إن دين الله لا يعرف بالرجال، بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله.

والتفاوض علم قائم بذاته له حدوده وضوابطه ينبغي مراعاته ليحصل المفاوض على نتائج ايجابية، ونحيل التفصيل في ذلك إلى بحوث أخرى.

خامساً: كانت تربيته عليه السلام لأصحابه وغيرهم أن يتعدوا عن إشاعة الكراهية بين الناس؛ لأنّها لا تكون منتجة في عالم الدعوة والتبليغ والإصلاح والتقارب وهداية البشرية، بل كان يُشجّع على نقد الأفعال بعد فرز القبيح عن الحسن ووصفها بالأوصاف المناسبة لها، وحيثُذ يسهل تشخيص من يتلبس بها، وبالتالي يضع للمتلبسين بالقبيح ولأجياهم خطوط رجعة نحو الحق والعدل ويُجَبّب ذلك لهم كما يُكرّهُ لهم الأفعال القبيحة، ولذا كان يتألم على مصير خصومه، إلا أنّه لا يُجامل في تقييم أفعالهم على حساب الحق كما لا تأخذه العصبية فيهم، بل كان يُعلن صراحةً أنّ موقفهم كان ظالماً وباطلاً وعدوانياً، حتى لما سأله الحارث بن حوط الليثي عن طلحة والزبير وعائشة، فقال ^(١): يا أمير المؤمنين، ما أرى طلحة والزبير وعائشة احتجوا إلا على حق؟ فقال: يا حارث، إنك إن نظرت تحتك ولم تنظر فوقك جزت عن الحق، إن الحق والباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الحق ياتباع من اتبعه، والباطل باجتناب



المؤمنين ﷺ كالأصفياء والأبدال والنجباء وغيرهم مختلفة جذرياً عن غيرهم من بطانة وأصحاب منائيه وخصومه من جهة العلم والعمل والأخلاق وعموم سيرتهم الاجتماعية، بل لا مقايسة بينهم.

سابعاً: لقد سار أمير المؤمنين بالأمّة نحو العلا والمكارم وتعامل مع اعداؤه بالبُعد الإنساني حيث لم يقطع عليهم الماء في حرب صفين رغم استيلائه على منابع الماء، ولم يُجهز على جريح، ولم يقتل أسيراً في حرب الجمل بل عفا عن مروان بن الحكم وأمثاله، كما لم يُطارَد الفارّين من الخوارج في حرب النهروان.

ثامناً: أشاع أمير المؤمنين ﷺ ثقافة المساواة بين الناس في البُعد الإنساني، فكان يقول: الناس صنفان: [إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق]، ولم يقتصر في ذلك على الرؤية النظرية بل كان يُأرسها عملياً من خلال تسويته بين الناس في العطاء من دون مفاضلة أو محاباة، وكان يأخذ عطائه كواحد من المسلمين، حتى منع أخاه عقيل من أخذ مال زيادة على حصته لشدة احتياجه له، كما شارك الذمي في العطاء أسوة بالمسلمين، ورفض تمرير نظام الطبقية والمحاصصة؛ لأنّها ظلم وإجحاف بالآخرين، ولكن هذا لا يمنع من اعتماد التقييم بين الناس كاستحقاق

سادساً: اشتغال الامام أمير المؤمنين ﷺ بنشر العلم والمعرفة والوعي في صفوف المسلمين، وحثهم على التدبر والتفكير في الخلق والقرآن الكريم والتفقه في الدين والتزام النهج القويم، وخطبه وأحاديثه ورسائله وحكمه ومواعظه خير شاهد على ذلك، فقد تعامل بروح ايمانية لا سلطوية وخاطبهم بمنطق العقل ولغة القرآن العظيم وسنة رسوله الكريم، وبنى علاقات تعتمد على الحق والعدل والإنصاف من دون أن تؤثر عليها العصبية القبلية والمصالح الشخصية، وكان كأحدهم بلا امتيازات مالية ولا وجاهات سلطوية.

إضافة إلى أنّ منطقهُ ﷺ هو التثقيف على العفو والإصلاح ورعاية المصالح العامة للأمة بخلاف غيره الذين زرعوا الجهل والتجهيل والتضليل والعصبية وكتّم الحقائق وإشاعة الفساد والأباطيل والبدع والفتن والسب والكذب والغدر والحروب؛ ولذا كان تقييمه للناس بحسب ما يُحسنون من علم وعمل ومعاملة، كما قال ﷺ^(١): قيمة كل امرئ ما يُحسنه، فحثّ على التنافس في الخيرات، والابتعاد عن التسابق على الملهيات الزائلة؛ ولذا نلحظ ثقافة الخاصّة من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ - ١ - الأمالي للصدوق ص ٥٣٢. خصائص الأئمة للشريف الرضي ص ٩٥.



طبيعي مبني على أساس التقوى والعمل الصالح، كما في قوله تعالى^(١): ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ، أضف إلى ذلك قوله ﷺ: قيمة كل امرئ ما يُحسنه؛ ولذا كان يهتم بالكفاءات والاختصاصات في تعيين الولاة والقضاة ومسؤولي بيت المال والشرطة وما إلى ذلك.

تاسعاً: جعل مبدأ الضمان الاجتماعي للفقراء العاجزين عن العمل، بلا فرق بين مسلم وذمي، وخير شاهد هو عطاؤه للذمي الذي كان يتسول، حيث

مرَّ شيخ مكفوف^(٢) كبير يسأل، فقال أمير المؤمنين ﷺ: ما هذا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين نصراني، فقال أمير المؤمنين ﷺ: استعملتموه حتى إذا كبر وعجز منعمتموه، أنفقوا عليه من بيت المال.

عاشراً: تثقيف الناس على أن الحاكم مسؤول أمام الله وأمام الشعب وأتته كما قال ﷺ: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، سواء كان حاكماً أم محكوماً؛ ولذا أباح للناس الاعتراض على الحاكم الظالم والفاسد والعمل على عزله، بل

منحهم حرية التظاهر طلباً للحقوق وردعاً للظلم، وبهذا القانون كسر حاجز الخوف من الحُكَّام وأبطل أحدوثة عدم جواز الخروج على الحاكم وإن كان ظالماً وإن جلد ظهره أو أخذ مالك؛ لأنَّ هذه مبتدعات مخالفة للعقل ولما علّم من الدين بالضرورة.

الحادي عشر: وضع ﷺ رقابة ومحاسبة على الولاة والقضاة والعاملين في شؤون الدولة دفعاً للضرر والفساد، ولضمان الأمن والأمان، ونشر العدل والفضيلة، وحفاظاً على النظام العام، حتى إذا وجد منهم التقصير والفساد حاسبهم وعزلهم واستبدلهم بمن هو خير للأمة، ومن جعل نفسه في موضع الشبهة عاتبه كحضور الوالي أو القاضي لمأدبة طعام لم يُدعَ إليها الفقراء، فيكون جميع الناس متساوون أمام القانون وحدود الشريعة ولا حصانة لهم حتى لما سمع بأنَّ أحد ولاته قد أخذ مالاً من بيت المال بغير حق، قال فيه^(٣): والله لو أنَّ الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كانت لهما عندي هودة، ولا ظفرا منّي بإرادة، حتى آخذ الحق منهما وأزيل الباطل عن مظلمتها، وله على ذلك شواهد كثيرة تعتبر مضرراً للأمثال في تدبير شؤون الأمة ورعاية مصالحها وحفظ حقوقها وإقامة العدل

١- الحجرات / ١٣.

٢- وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١١ ص ٤٩ / باب

١٩.

٣- نهج البلاغة / شرح محمد عبده / خطبة ٤١.

بين أبنائها.

علي ﷺ بإحضارها فدافعه، وقال: يا أمير المؤمنين، لم أصبها في عملك. قال: والله لئن أنت لم تحضرها بيت مال المسلمين، لأضربنك بسيفي هذا أصاب منك ما أصاب. فأحضرها وأخذها منه وصيرها في بيت مال المسلمين، وتتبع عمال عثمان، فأخذ منهم كل ما أصابه قائماً في أيديهم، وضمنهم ما أتلفوا.

كما بعث الامام أمير المؤمنين ﷺ برسالة إلى أحد ولاته المنحرفين: وهو المنذر بن الجارود العبدي الخائن^(٣): وكتب ﷺ إلى المنذر بن الجارود وبلغه أنه يبسط يده في المال ويصل من أتاه وكان على اصطخر: إن صلاح أهلك غرني منك وظننت أنك تتبع هديه وفعله، فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع الانقياد لهواك، وإن أزرى ذالك بدينك، ولا تسمع قول الناصح وإن أخلص النصيح لك، بلغني أنك تدع عملك كثيراً وتخرج لاهيا متنزها متصيذاً، وأنت قد بسطت يدك في مال الله لمن أتاك من أعراب قومك، كأنه تراثك عن أبيك وأمك، وإني أقسم بالله لئن كان ذلك حقاً لجعل أهلك وشسع نعلك خير منك، وإن اللعب واللهو لا يرضاهما الله، وخيانة المسلمين وتضييع أعمالهم مما يسخط ربك،

٣- أنساب الأشراف للبلاذري ص ١٦٣ رقم الرسالة: ١٨٣. تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٠٣.

وقد وردت عنه الخطب والرسائل والوصايا والمواقف العادلة بشأن الولاة والعمال التي تقطع دابر الفساد والمفسدين وتكون درساً بليغاً للشعوب لكي لا يقعوا في شرك الخائنين، حيث ذكر ابن عبد البر في استيعابه، فقال^(١): كان علي ﷺ لا يخص بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات، وإذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه قد جاءكم موعظة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين). بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ. إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من أعمالنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك، ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول: اللهم إنك تعلم أنني لم أمرهم بظلم خلقك، ولا بترك حقك.

وقد أحضر الإمام علي ﷺ الأشعث بن قيس^(٢)، وكان عثمان استعمله على آذربيجان، فأصاب مائة ألف درهم، فبعض يقول: أقطعه عثمان إياها، وبعض يقول: أصابها الأشعث في عمله. فأمره

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر: ترجمة علي بن أبي طالب ﷺ.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر / ترجمة علي بن أبي طالب ﷺ.





ومن كان كذلك فليس بأهل لأن يسد به الشجر، ويجبى به الفيء ويؤتمن على مال المسلمين، فأقبل حين يصل كتابي هذا إليك.

وأما بالنسبة لوالي البصرة زياد وهو خليفة عبد الله بن عباس، حيث وجهه عليه السلام (١) إلى زياد رسولا ليأخذه لحمل ما اجتمع عنده من المال، فحمل زياد ما كان عنده وقال للرسول: إن الاكراد قد كسروا من الخراج وأنا أداريهم فلا تعلم أمير المؤمنين ذلك فيرى انه اعتلال مني. فقدم الرسول فأخبر عليا بما قال زياد، فكتب إليه: قد بلغني رسولي عنك ما أخبرته به عن الاكراد، واستكتامك إياه ذلك، وقد علمت أنك لم تلق ذلك إليه إلا لتبلغني إياه، وإني أقسم بالله عز وجل قسما صادقا لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدين عليك شدة يدعك قليل الوفرة، ثقيل الظهر والسلام.

ومن كتاب لأمر المؤمنين عليه السلام إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري، وقد بلغه أنه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها (٢): أما بعد: يا ابن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتيه

أهل البصرة دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم محفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه، ألا وإن لكل مأموم إماما يقتدى به ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها....

الثاني عشر: أعطى الامام أمير المؤمنين درساً للشعوب والأمم بأن الحاكم لا يختلف عن غيره في العطاء كما لا يُمنح امتيازات ومخصصات وتحسين معيشة كما تفعله الحكومات ونواب الشعب بل يمنع من أن يستفيد الحاكم وأعضاء أجهزة الدولة من مناصبهم في الثراء والوجاهة على حساب مصالح الشعب والدين، ومن يفعل ذلك فيكون قد خان الأمانة؛ ولذا كان واضحاً وصريحاً في فكره وسلوكه ومعاملاته، فقد كان عليه السلام يُخاطب أهل الكوفة بقوله (٣): يا أهل

٣- الغارات للثقفى ج ١ ص ٦٨. وسائل الشيعة للحر العاملي ج ١١ ص ٨٣ / حديث ٥ / باب ٤٠. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج ٢ ص ٢٠٠.

١- أنساب الأشراف للبلاذري ص ١٦٢ / رقم ٨٢.

٢- نهج البلاغة / شرح محمد عبده / خطبة رقم ٤٥.



الكوفة إذا أنا خرجت من عندكم بغير رحلي وراحلي وغلامي فأنا خائن.

كما خاطب ﷺ أهل البصرة حيث قال لهم^(١): يا أهل البصرة ما تنقمون عليّ، والله أنهما - وأشار إلى قميصه وردائه - لمن غزل أهلي، ما تنقمون مني يا أهل البصرة، والله ما هي - وأشار إلى صرة في يده فيها نفقته - إلا من غلتي بالمدينة، فإن أنا خرجت من عندكم بأكثر مما ترون، فأنا عند الله من الخائنين.

إذن خليفة المسلمين يكشف حسابه للناس بإرادته تعبيراً عن صدق نواياه وإخلاصه للأمة وحرصه على مصالحها وشدة أمانته لمواردها ونزاهته في تصرفاته، فأين دعاة التدين من سيرة إمامهم وخليفة رسولهم؟!، وكيفهم مساءلة أمام القضاء هو القول: من أين لكم مليارات الدولارات وقد كنتم حفاة وعراة قبل تعيينكم في وظائف الدولة؟!، فلو جلستم في بيوتكم أيهدى إليكم هذا المال، ولو كنتم كسائر الناس هل بإمكانكم جمع هذه الأموال التي تفوق ميزانيات دول كبيرة مجتمعة؟!!!

و حال الطبقة السياسية الحاكمة اليوم
حال أبي هريرة حينما ولّاه عمر بن الخطاب

١- نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للمحمودي ج ١ ص ٤١٣. خطبة ١٢٧.

على البحرين، فذهب إليها وهو لا يملك إلا ردائه، بل صرح عمر له بقوله^(٢): قد علمت من حين أني استعملتك على البحرين، وأنت بلا نعلين، علماً أنه كان من أهل الصفة الذين ينتظرون صدقات المسلمين عليهم في المسجد، وإذا به يصبح من الأغنياء حينما أصبح والياً على البحرين، وقد استدعاه عمر بن الخطاب وعزله عن الولاية، وقال له^(٣): قد علمت من حين أني استعملتك على البحرين، وأنت بلا نعلين، ثم بلغني أنك ابتعت أفراساً بألف دينار وست مئة دينار!، فما ذلك؟، قال: يا أمير المؤمنين كانت لنا أفراسٌ تناجت، وعطايا تتابعت. قال: قد حسبت لك رزقك ومؤنتك، وهذا فضل فأده. قال: ليس لك هذا. قال: بلى والله وأوجع ظهرك. ثم قام إليه بالدرة فضربه به حتى أدماه، ثم قال: ايت بها. قال: احسبته عند الله. قال: ذلك لو أخذتها من حلال وأديتها طائعاً. أجئت من أقصى حجر بالبحرين يجبي الناس لك لا لله ولا للمسلمين! ما رجعت بك أئمة إلا لرعية الحمير. وأئمة أم أبي هريرة.

وروى محمد بن سيرين عن أبي هريرة

٢- العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج ١ ص ٦٨. دار صادر. حققه د محمد التونسي.
٣- العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج ١ ص ٦٨.



قال^(١): قال لي عمر: يا عدو الله وعدو كتابه أسرقت مال الله؟ قال: فقلت: ما أنا بعدو الله ولا عدو كتابه ولكني عدو من عاداهما ولا سرقت مال الله، قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين خيلي تناسلت وسهامي تلاحت وعطائي تلاحق، قال: فأمر بها أمير المؤمنين فقبضت.

وذكر السرخسي في مسوطه^(٢): واستعمل عمر أبا هريرة فقدم بهال، فقال: من أين لك هذا؟ قال: نتاجت الخيول وتلاحقت الهداية، قال: أي عدو الله هلا قعدت في بيتك فنظر أيهدي اليك أم لا فأخذ ذلك منه.

الثالث عشر: أعلن الامام أمير المؤمنين عليه السلام رفضه للغدر، فقد كان يواجه الأعداء بكل وضوح، ويتعد عن الفتك والغيلة؛ لأنها من فعل الشيطان وأعمال الجبناء وأهل النار؛ ولذا قال عليه السلام: لولا كراهية الغدر كنت من أدهى الناس إلا إن لكل غدرة فجرة، ولكل فجرة كفر، ألا وإن

الغدر والفجور والخيانة في النار، ولكن نجد المشركين والمنافقين يُمارسون ذلك بكثرة، كما هي محاولاتهم لاغتيال رسول الله ﷺ، وهذه سنة جاهلية استعملوها في اغتيال الصحابي سعد بن عباد زعيم الخزرج الذي اعترض على رجال السقيفة ورفض مبايعتهم والحضور في صلواتهم، حتى لما استلم عمر بن الخطاب السلطة هاجر سعد بن عباد إلى الشام وقُتل هناك، وقد أُتهم الجن في قتله!! في رواية هزيلة ومضحكة، فعن محمد بن سيرين يُحدث: أن سعد بن عباد بال قائماً، فلما رجع قال لأصحابه: إني لأجد ديباً، فمات، فسمعوا الجن تقول:

قتلنا سيّد الخزرج سعد بن عباد رميناه بسهمين فلم نخط فؤاده.

وكان عمر لا يطيق سعداً حتى قال فيه^(٣): قتل الله سعداً فإنه صاحب فتنة وشر!!.

وكانت تداعيات ذلك أنه لم يبايع أبا بكر، وامتنع عن ذلك بشدة، وقال عبد الله بن عبد الرحمن^(٤): فأقبل الناس من

١- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٣٣٥.
ومثله ورد المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ج ١١ ص ٣٢٣ / رقم الحديث (٢٠٦٥٩). سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢ ص ٦١٢. المبسوط للسرخسي ج ١٦ ص ٨٢. وغيرها.
٢- المبسوط للسرخسي ج ١٦ ص ٨٢.

٣- تاريخ مدينة دمشق لابن عسك ج ٣ ص ٢٨٣. صحيح ابن حبان ج ٢ ص ١٥٧. وغيرها من المصادر الكثيرة.
٤- تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٥٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني ج ٧ ص ١٢٥. الإمامة والسياسة لابن قتيبة ص ١٧. تاريخ ابن خلدون ج ٢ / خبر السقيفة.



كل جانب يبائعون أبا بكر وكادوا يطؤون

سعد بن عباد فقل ناس من أصحاب

سعد اتقوا سعدا لا تطؤه، فقال عمر:

اقتلوه قتله الله، وكان عمر يقول^(١): لا

تدعه حتى يبائع فقال له بشير بن سعد

إنه قد لجّ وأبى وليس بمبايعكم حتى

يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده

وأهل بيته وطائفة من عشيرته فاتركوه،

وقد كان سعد^(٢) لا يصلى بصلاتهم ولا

يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم

بإفاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك

أبو بكر، ونزاعه معهم معروف ومشهور،

ولما وليّ عمر الحكم هاجر سعد إلى الشام

كارهاً البقاء إلى جوار عمر، حيث لا

يُطبق أحدهما الآخر حتى اغتيل بسهم

في الشام.

ولكنّ الإسلام منع من ممارسة

القتل غيلة بحق مَنْ أعطي الأمان

والعهد؛ لأنّ الإسلام قيّد الفتك، أي

منع من الغدر والقتل غيلة وغفلة،

وهذا الأمر يختلف عن الحروب

الجهادية، فكان أمير المؤمنين عليه

يرعى هذه الأحكام، ويثقف الناس

عليها، ويُمكّن القانون من أخذ دوره

لردع وقوع الفتك بين الناس، بل جعل

للقانون هيئته وريادته في رجوع الناس

١- تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٥٩.

٢- تاريخ الطبري ج ٢ ص ٤٥٩.

الرابع عشر: تثقيف أمير المؤمنين عليه

الناس على القناعة والزهد لتهديب

النفوس وكبح جماحها وتطهير الأبدان

لكي لا يتطلع الإنسان نحو الحرام،

وبالتالي فإنّ الغفلة أو التغافل عن

مجاهدة النفس سيؤثر سلباً على الإنسان

كما سيؤدي إلى التعامل اللا إنساني مع

الآخرين، وكانت سيرته صلوات الله عليه

أنموذجاً واعياً للتقشف في اللباس والمأكّل،

وهو أشهر من أن يوصف بكلمات عاجزة

عن بيان حاله وهو القائل^(٣): ألا وإنّ

إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن

طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على

ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد،

وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم

تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا

اعددت لبالي ثوبى طمراً، ولا حزت من

أرضها شبراً، ولا اخذت منه الا كقوت

اتان دبيرة، ولهي في عيني أوهى وأهون

من عفسة مقررة، وإذا ما شعر الناس

بالمسؤولية وجاهدوا أنفسهم ليعيشوا

الورع عن محارم الله والاجتهاد في طاعته،

٣- نهج البلاغة / شرح محمد عبده / رقم ٤٥-

من كتاب له عليه إلى عثمان بن حنيف الانصاري

وهو عامله على البصرة.



والعفة عما في أيدي الناس والسداد في الرأي، فسوف نجد مجتمعاً فاضلاً، وهو ما يدعو إليه الإسلام.

وقال عبد الله بن أبي الهذيل^(١): رأيت علياً خرج وعليه قميص غليظ دارس إذا مَدَّ كُمَّ قميصه بلغ إلى الظفر، وإذا أرسله صار إلى نصف الساعد.

وقد ثبت عن الحسن بن علي أنه قال^(٢): لم يترك أبي إلا ثمانمائة درهم أو سبعمائة فضلت من عطائه كان يعدها لخادم يشترها لأهله.

وقال مجمع التيمي^(٣): أن علياً قَسَمَ ما في بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكنس ثم صلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

وعن عاصم بن كليب عن أبيه قال^(٤): قدم على علي مال من أصبهان، فقسمه سبعة أسباع، ووجد فيه رغيفاً فقسمه سبع كسر، فجعل على كل جزء كسرة، ثم أقرع بينهم أيهم يعطي أولاً.

١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / لابن عبد البر / ترجمة علي بن أبي طالب.

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / لابن عبد البر / ترجمة علي بن أبي طالب.

٣- نفس المصدر.

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب / لابن عبد البر / ترجمة علي بن أبي طالب.

وعن أبجر بن جرموز عن أبيه قال^(٥): رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام يخرج من الكوفة وعليه قطريتان متزراً بالواحدة متردياً بالأخرى وإزاره إلى نصف الساق وهو يطوف في الأسواق ومعه درة يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث وحسن البيع والوفاء بالكيل والميزان.

وكان ضرار بن ضمرة الضبائي يصف علياً عليه السلام لمعاوية، فقال^(٦): فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله وهو قائم في محرابه قابض على لحيته، يتململ تملل السليم، ويكي بكاء الحزين، ويقول: يادنيا، يادنيا، إليك عني أبي تعرضت؟ أم لي تشوقت؟ لا حان حينك، هيهات، غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير، آه من قلة الزاد وطول المجاز، وبعد السفر وعظيم المورد.

والأخبار الصحاح والحسان بشأن زهده، وإعراضه عن الدنيا، وتثقيفه الناس على ذلك، لا يُحيط بها المجلدات.

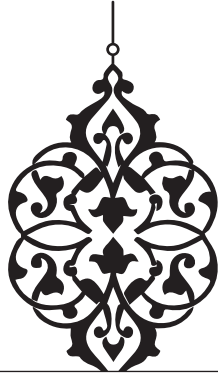
الخامس عشر: تأثير خاصة الناس على العامة، فإن صلح الخاصة صلحت العامة، وإن فسد الخاصة فسدت العامة،

٥- نفس المصدر.

٦- نفس المصدر.

وإذا كان الزاهد راغبا ولما في أيدي الناس طالبا فبمن يقتدى؟ وإذا كان التاجر خائنا وللزكاة مانعا فبمن يستوثق؟ وإذا كان الغازي مرائيا وللكسب ناظرا فبمن يذب عن المسلمين؟ وإذا كان الحاكم ظلما وفي الأحكام جائرا فبمن ينصر المظلوم على الظالم؟ فوالله ما أتلف الناس إلا العلماء الطماعون، والزهاد الراغبون، والتجار الخائنون، والغزاة المراوون، والحكام الجائرون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وقد قسّم أمير المؤمنين ﷺ الخاصة على خمس، وبَيَّن مدى تأثير وخطورة الخاصة على المجتمعات فيما لو فسدت، وسعى إلى تثقيف الناس على مراعاة الصلاح والإصلاح وتمييز الصالح من الطالح لئلا تفسد المجتمعات، وتنهار المبادئ والقيم والأخلاق، حيث إنَّه لما سُئِلَ عن أحوال العامة^(١): إنما هي من فساد الخاصة، وإنما الخاصة ليقسمون على خمس: العلماء وهم الأدلاء على الله، والزهاد وهم الطريق إلى الله، والتجار وهم أمناء الله، والغزاة وهم أنصار دين الله، والحكام وهم رعاة خلق الله. فإذا كان العالم طمّاعا وللها جماعا فبمن يستدل؟



البُعد المعرفي



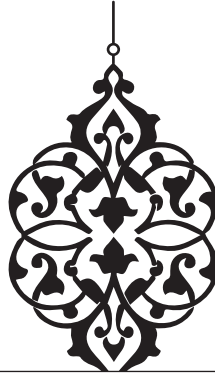
١- غرر الحكم ودرر الكلم لأبي الفتح الأمدى / من كلام لأمير المؤمنين ﷺ. ٥٤٢ / ١٠٦. ترجمة محمد علي الأنصاري.



خاتمة:

لا يخفى على القارئ الكريم أنَّ البحث في البُعد الثقافي للإمام أمير المؤمنين عليه السلام له آفاق واسعة، وحدود مترامية الأطراف، يتعسر على العلماء الإحاطة بها واستيعاب مضامينها، ولكن ما ذكرناه إنَّما هو بعض الإشارات والنقاط الدالة على حركته الثقافية داخل الأمة لمحو الجهل والتجهيل والتضليل، ورغم زرع الخصوم لكثير من المعوقات اتجه حركته الرسالية من ممارستهم الانقلاب وإشغاله

بالحروب وإشاعة البدع والأباطيل إلا أنَّها لم تزل شيئاً من قوته وعزيمته في أداء وظيفته وممارسة دوره الريادي على كافَّة الصُّعد، حتى تغلب نوره على ظلامهم، وعلمه على جهلهم، وعدله على ظلمهم، ليكون نبزاً للإنسانية جمعاء، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا من الموالين له، والمتبعين لآثاره، والمتصرين برسالته، والمشمولين بشفاعته، وإنَّه هو الفوز العظيم، والحمد لله ربِّ العالمين.



أبواب المعرفة



أَبُو الْعَرَفَةِ



الخطاب الاعلامي الانساني في مواجهة التطرف

قراءة في فكر الامام علي بن ابي طالب عليه السلام
وتعاطيه مع الآخر

أ.م.د. علي شمخني الفتلاوي



جامعة اهل البيت عليه السلام
كلية الاعلام





المقدمة:

لطالما اتخذت الانظمة السياسية من الاعلام وسيلة للدفاع عن افكارها واهدافها وتعدد وسائل الاتصال باختلاف وظائفها ويلعب الاعلام دورا مهما في تصاعد مستويات الخلاف بين الدول او تخفيف حدة التوترات ووسط اجواء القلق وتبادل الاتهامات بين الغرب والشرق تتصاعد الدعوات للتأسيس على مبادئ الحوار العقلاني ومهما كانت مسميات هذا الحوار (حوار الحضارات - حوار الاديان - حوار الثقافات - حوار الشعوب - حوار الامم) فان هذا الاختلاف يجري التعامل معه بمستويات متباينة تبعا للايمان بهذه الدعوات وباتت الحاجة الى التعايش حاجة ملحة تبحث عن من يحتضنها باطر سليمة وفي الارث الانساني يحدثنا التاريخ عن انبياء ومصلحين واولياء كان لهم قصب السبق في تلقف هذه المبادرة وشكلت شخصياتهم وسيرهم انموذجا حيا في التعامل مع الاخر وارسوا مبادئ الحماية القانونية لحقوق الانسان قبل قرون من الزمن وتمكنوا من اشاعة العدل والتسامح وواجهوا التحديات والمخاطر الجسام لقد عمل الامام علي بن ابي طالب عليه السلام قبل اكثر من الف واربعمئة سنة على

تكريس مفهوم التعايش واتاح ممارسة الحريات العامة ونادى بتأسيس مجتمع اللاعنف وجسده تطبيقا على ارض الواقع وكانت خطبه عليه السلام ورسائله الى الولاة منارا اعلاميا ووسيلة اعلامية مؤثرة في صفوف الراي العام وجدت فيها الرعاية نافذة شفافة لمراقبة اداء السلطة وما من شك بعد هذا التاريخ المضيء تراجعت كثيرا مثل هذه المفاهيم ووضحت لغة الارهاب والتطرف تتسع كل يوم في العالم وتمتد مع امتداد نوازع الشر التي تحملها المجموعات المسلحة الموسومة بالارهاب والتطرف.. ولطالما تنادت قوى الخير والسلم من اجل مواجهة هذا التمدد ووقف انتشار الافكار الهدامة.. ولعل موضوع الاعلام تحمل في ثناياها معان مزدوجة عند مناقشتها لموضوع التطرف والعنف فمرة نناقش ونبحث في الاثار المترتبة لاستخدام الاعلام في بث الافكار المتطرفة ونشر العنف والترويج للإرهاب بكل اشكاله ومرة نناقش ونبحث في كيفية توظيف وسائل الاعلام في مواجهة هذا الاستخدام اللاأخلاقي من قبل وسائل اعلام اخرى.. انها بالتأكيد مسؤولية عميقة وتحدي كبير لا بد للباحثين في الشأن الاعلامي ايلائه اهمية قصوى انطلاقا من رسالة الاعلام السامية التي نفهمها نحن كرسالة سلام وتسامح وانسانية ويفهمها

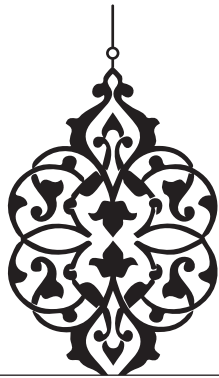




عن الغلو والتطرف و اخلاق المؤمنين في التعاطي مع الآخر والموقف من العدوان والمعتدين وقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي في تناول هذا الموضوع.

ادعو الله ان يكون هذا الجهد العلمي المتواضع محط رضا وقبول من يقرأه

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله الطيبين الطاهرين.



غيرنا كرسالة كراهية.. ونزوع نحو الشر والتطرف والتكفير دون اي وجه حق ودون دليل وبرهان.. من هنا يأتي هذا البحث ليستكمل ما كتبه مختصون ومهتمون بمفاهيم التطرف والعنف الذي قادنا الى هذه الهجمة الشرسة وهذا الإرهاب الذي اصبح يهدد حياتنا ووجودنا كل يوم ويسقط بسببه كل يوم الاف الضحايا والابرياء..!

يتناول هذا البحث في مبحثنا لأصول التاريخية للتحويلات في العنف والتطرف واستطلاع دعوات السلام في مواجهة الشر ايماناً بما قاله الله سبحانه وتعالى في محكم تنزيله الكريم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١) حيث تناول المبحث الاول اصول العنف والتطرف وتعريف المصطلحات المتعلقة بها ومن ثم التعرف على مظاهر الانحراف الاعلامي في مواجهة التطرف ودور الاعلام وتوظيف وسائله في الترويج للتطرف والعنف والارهاب وكيفية مواجهة هذا التوظيف. اما المبحث الثاني فتناولنا فيه بعض المحطات المضيئة من فكر الامام علي بن ابي طالب عليه السلام وما جاء به فكره وعلمه



المبحث الأول

أولاً:

التطرف - العنف - الارهاب مقاربات فلسفية

لا يمكن التطرق الى سبل مواجهة العالم للتطرف من دون تسليط الضوء على مفهوم التطرف وصلته بالعنف والارهاب.. ولربما اشار الكثير من الباحثين الى هذه المتعلقات الثلاث فهناك من يرى ان العنف نشأ مع الانسان وهو ظاهرة قديمة تشدد كلما ضعفت القيم الانسانية لدى الأفراد وقد اجمع اغلب المؤرخين والمفكرين بان تاريخ البشرية هو تاريخ العنف حيث تشير الأرقام انه وخلال (٥٥٠٠) سنة الماضية وقع في الارض ما يقارب (١٥) الف حرب وصراع بمعدل (٢-٣) صراع وحرب في السنة ولم تعش البشرية في حالة وئام الا في غضون ثلاثمائة سنة ليس اكثر^(١). كما تشير الأرقام ايضا الى انه في القرن السابع عشر هلك (٢، ٣) مليون انسان وفي القرن الثامن عشر هلك (٥، ٢) مليون وفي القرن التاسع عشر هلك (٥، ٥) مليون انسان اما الحربان العالميتان فقد حصدتا (٩، ٥) مليون انسان في الاولى ما يقارب السبعة

مليون وفي الثانية ٢ مليون^(٢). وقد مر اكثر من خمسين عاما على صدور الاعلان العالمي لحقوق الانسان ومازال حلم البشرية بعالم اكثر تسامحا وعدالة وانسانية بعيد المنال ولو راجعنا الدساتير الحديثة التي اخذت تتبنى افكار الحرية وحقوق الانسان كالدستور الامريكي عام ١٧٧٦ وميثاق حقوق الانسان والمواطن بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وثورة اكتوبر في روسيا عام ١٩١٧ والثورات المعاصرة فأننا نراها جميعا تؤكد على مثل الحرية وحقوق الانسان والاخاء والمساواة والقيم الانسانية وانصاف المظلوم واحقاق الحق ومنع التعذيب الخ وهي مفاهيم عمق النظر فيها الامام علي عليه السلام واحتواها فكره البليغ وجسدتها^(٣) وتشير الدراسات التاريخية الى ان ظاهرة العنف والتطرف قديمة قدم وجود الوحدة الإنسانية للمجتمع الانساني على الارض فمنذ ان قتل قابيل هابيل عرف الناس انماطا من العنف اثارت بحثا دائما يدور حول اصول العنف في السلوك الانساني وعليه فظاهرة العنف ليست مرتبطة بقوم دون غيرهم وان كان بالإمكان تصور مرافقتها

٢- عبد اللطيف زرنه جي: المعرفة مجلة؛ دمشق؛ العدد ٢٧٦-١٩٩٥

٣- سيرته عبد الحسين شعبان: الاسلام وحقوق الانسان، ط ٢، بيسان، بيروت ٢٠١٤، ص ٩٤

١- حسن السيد عز الدين بحر العلوم: مجتمع اللاعنفا، ط ١- الكويت، ٢٠٠٤ ص ١٩





العالمية الثانية^(٣).

وحينما نريد مناقشة التحولات في مفهوم العنف من المهم ان نعرف اولاما هو التطرف؟ ومن هو المتطرف؟ مصطلح التطرف يعني مجاوزة الحد الاعلى لفهم الفكرة يتبعها تحجر وتعصب ويشمل هذا المصطلح فهم الفكرة بالحد الأدنى او التعصب لهذا الفهم لان الحد الأدنى وان كان يصاحبه في بعض الاحيان تحجر في الفهم الا انه لا ينتج الضرر المترتب على هذه الفكرة في الحد الاعلى ولا بد من الاتفاق على معنى السلام او لا ثم الاتفاق على معنى التطرف ومن هو المتطرف^(٤).

يقول الله عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٥) ووفقا لهذه الآية هناك صدق للتوصيف في علاقة التطرف بالسلام. وبهذا فان اي تطرف يكون في فهم اي مفهوم ديني انما يرجع الى تصور المتطرف بان ما يؤمن به هو الحق والايمان ومن لا يؤمن به هو الكفر والعصيان وتدعم هذا الايمان عوامل نفسية واخلاقية ونفسية وعقلية تدفع للايمان بنظرية

لمجتمع من المجتمعات بنسبة او بأخرى ضمن مقاييس موضوعية مجردة^(١). وفي موضوعه الارهاب لابد ان نشير ان اول منظمة ارايية عرفها التاريخ هي منظمة (السيكاري) التي شكلها بعض المتطرفين اليهود في فلسطين الذين وفدوا الى البلاد في نهاية القرن الاول قبل الميلاد بعد ان كان البابليون قد شتوهم عام (٥٨٦ ق.م) وفي كل الاحوال لا يمكن وضع تاريخ محدد لظهور العنف بكل اشكاله التي تجلت في حروب ونزاعات وقتل واغتيال ففي اثينا مثلاً وبعد الانقلاب الذي قاده (كربتيسياس) وعرفت بديكتاتورية الثلاثين عام (٤٠٤) قبل الميلاد انطلقت فرق البلطجية في عمليات قتل ومذابح واغتيالات ونهب وتدمير في اثينا ضد افراد الطبقة الوسطى الديمقراطيين^(٢) ويعتقد البعض ان مفاهيم مثل (نهاية التاريخ) او صراع الحضارات اللذين شاع امرهما في السنوات الاخيرة كفيلة لرفض مجتمعات باسرها وعزل اجزاء هامة من المجتمع البشري من المشاركة في صنع المستقبل الانساني خصوصا بعد انهيار جدار برلين الذي كان ايذانا بتداعي اركان النظام الدولي القائم بعد انتهاء الحرب

١- مصطفى الانصاري: الارهابيون بين اصولهم القانونية ودوافعهم الانسانية، جريدة الحياة، ٢٠١١
٢- اي، اف، ستون محاكمة سقراط، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢، ص ٣٢

٣- عبد الحسين شعبان: الاسلام وحقوق الانسان،

المصدر السابق، ص ٥٥

٤- حسن السيد عز الدين بحر العلوم، المصدر السابق

ص ٦٨

٥- البقرة: ١٤٣



الرسالة فيلجأ الى العنف في فرض الراي بدل اللجوء الى الحوار ومقارعة الحجة بالحجة من اجل افحام المناوئ وابطال حجته^(١) ويقودنا مفهوم التطرف والعنف الى مجال أساسي في الحياة الانسانية الا وهو موضوع حقوق الانسان فقضية حقوق الانسان التي كانت جزءا من الصراع الايدلوجي اiban فترة الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي من حيث زاوية النظر والتناول ودائرة الاهتمام قد اخذت بعدا جديدا بانبيار الانظمة الشمولية في اوروبا الشرقية وتفكك الاتحاد السوفياتي خصوصا لدى بعض مفكري الغرب ونظرتهم السلبية الى الاسلام السياسي واتخذ بعضهم الاسلام عدوا معلنا وقد احتوت بعض المؤلفات والتأسيسات مغالطات مفضوحة وتأويلات لا تخلو من فجاجة ازاء بعض الاحكام الاسلامية وتضمير نمطا جديدا من الكراهية والعداء^(٢) وخلافا لهذه الادعاءات الصادرة من بعض مفكري الغرب فان ادبيات الاسلام تشير الى ان الدين الاسلامي يؤمن بالسلام حتى في وقت الحرب اذ يطالب امته من خلال دستوره العظيم^(٣)

﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾^(٤) ومن المهم جدا القول بانالعنف امر ليس متأصلا في اي دين او عقيدة او طائفة فهو مرتبط بزمان وبأسباب معينة فالتاريخ يحدثنا بان الماركسيين الذين كانوا يحملون شعار السلام خرج فيهم ستالين وقتل الآلاف بل الملايين فيما قتل الأمريكان مئات الآلاف من سكان مدينتي هيروشيما و ناغازاكي بإلقاء القنابل الذرية وهنا يصح السؤال ليس ذلك ارهابا؟؟ ثم يمكن ان نطرح سؤال اخر هو الم يقتل الفرنسيون اكثر من مليون مواطن جزائري وهم يدافعون عن اراضيهم ليس ذلك ارهابا ايضا؟؟ من هنا يمكن الربط بان التطرف والعنف والارهاب ليس صفة متأصلة في اناس دون غيرهم حيث ان الظروف والمرحلة هي التي تخلق ما يسمى بالإرهاب والعنف^(٥) واذا كانت بعض العناوين تستعمل لتبرير العنف السياسي المسلح ضد الانظمة والاحزاب السياسية المنافسة من مقولة الدفاع عن الاسلام بدعوى ان الانظمة التي تحكم المسلمين هي انظمة كافرة ومن الواجب الثورة وقلبها وازالتها فان الامام الشيخ شمس الدين له راي في

١- حسن السيد عز الدين؛ المصدر نفسه ص ٧٢

٢- عبد الحسين شعبان: المصدر السابق ص ٦٤

٣- محمد حسين فضل الله: الحركة الإسلامية، هموم وقضايا، بيروت، دار المالك للطباعة، ٢٠١١، ص ٢٠

٤- البقرة: ١٩٤

٥- عبد الله العباسي: التطرف الإسلامي بين المأزق والحل، الوطن، جريدة، الرياض، ٢٠١٣

الشعوب والمجتمعات^(٢). والواقع ان الاعلام لم يكن يملك من الوسائل غير وسيلتين هما:

١- وسيلة الخطابة

٢- وسيلة الرسالة

وكان يساعد على النجاح في ممارسة هاتين الوسيلتين امور كثيرة من اهمها

١- قوة الشخصية

٢- حسن الاخلاق وجمال السيرة

وقد اصبح الاتصال علما من العلوم الحديثة المعروفة وقد كان الاسلام في ذاته ثورة كما كانت المسيحية في ذاتها ثورة وكانت اليهودية ثورة وكان لابد ان تعتمد هذه الثورات على كثير من وسائل الاعلام او الاتصال حتى تنجح وتحقق الغرض الذي جاءت من اجله وقد ورد عن بعض البابوات المحدثين انه قال: لو بعث المسيح من جديد لاختار لنفسه ان يكون صحفيا وهذا قول ينطبق على الانبياء جميعهم على السواء فان النبي ﷺ اذا بعثه الله في امة وجب عليه ان يختار من وسائل الاعلام والارشاد والاتصال بين الناس انجح هذه الوسائل

٢- د.هايل ودعان الدعيجة: قضايا حوارية؛ مقال؛ جريدة الاتحاد، ٢٠٠٥

ذلك حين يقول (لابد من الفحص عن دليل معتبر بخصوص هذا العنوان او شامل له بالعموم او الاطلاق ومن دون ذلك لا يمكن الحكم بمشروعية استعمال العنف المسلح ضد هذه الانظمة)^(١)

ثانيا:

الانحراف الاعلامي: محتوى المصادقية في مواجهة محتوى التزييف والتظليل

لطالما كان للأعلام دوراً مهماً ومؤثراً في توجهات الرأي العام واتجاهاته، وصياغة مواقفه وسلوكياته من خلال الاخبار والمعلومات التي تزوده بها وسائل الاعلام المختلفة، حيث لا يستطيع الشخص تكوين موقف معين او تبني فكرة معينة الا من خلال المعلومات والبيانات التي يتم توفيرها له، ما يؤكد قدرة العالم بكافة صوره واشكاله على احداث تغييرات في المفاهيم والممارسات الفردية والمجتمعية عن طريق تعميم المعرفة والتوعية والتنوير وتكوين الرأي ونشر المعلومات والقضايا المختلفة. في الوقت الذي اصبحت فيه وسائل الاعلام جزءا اساسيا من حياة

١- ابراهيم بحر العلوم: مشروعية العنف المسلح في فكر الامام شمس الدين، المعهد، مجلة، العدد الرابع، اذار، ٢٠٠٣، ص ١٧٨



في العصر الذي ظهر فيه وقد كانت الوسيلة الاعلامية سحرا في عهد موسى وكانت طبا في عهد عيسى عليه السلام وكانت قرانا في عهد خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم (١) ليس معنى ذلك ان الاسلام دين اعلامي لأنه اعتمد القرآن والقران اية الله تعالى في البلاغة وفي التأثير في نفوس البشر ثم ان وسائل الاعلام في ذاتها نوعان نوع قديم واخر حديث منها فطري من صنع البشر كالخطابة والشعر والندوة والسوق والنوع لثاني فيهما صناعي من اختراع العلم كالصحف والراديو والتلفزيون ووكالات الانباء والسينما ونحو ذلك

وفي السنوات الاخيرة جرت عمليات ممنهجة تم من خلالها توظيف الاعلام في ممارسة الارهاب بوسائل أخرى ابتدعها الارهابيون لتنفيذ جرائمهم ومنها استخدام وسائل الإعلام للترويج للجرائم الإرهابية، ويؤكد المختصون في الاتصال بان الاعلام بات من الوسائل غير المادية التي يستخدمها الإرهابيون من خلال بث الفزع والخوف بين الناس عن طريق بعض القنوات الفضائية والاذاعات والصحف والمجلات والمواقع

الإلكترونية على الانترنت عن طريق بث الخطابات التكفيرية وتبني سياسة نشر العنف والفوضى والسعي لأثارة الفتنة الطائفية وتزييف الحقائق وعرض الافلام والمقاطع التي تصور عمليات الذبح وحز الرقاب وبالرغم من ان حرية الرأي والتعبير مكفولة بالدستور والقانون وحرية الإعلام هي جزء لا يتجزأ من حرية الرأي والتعبير فان القائمين على الاتصال يؤكدون بان الدور الذي تلعبه الصحافة ووسائل الاعلام م الاخرى يجب ان ينطلق من نقل الحقيقة بعيدا عن المجاملة والتزييف (٢).

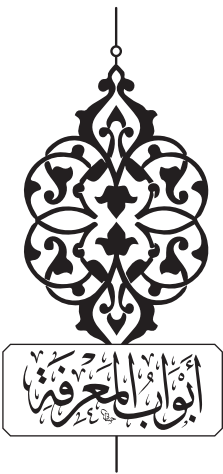
وقد اشار الامام السيد موسى الصدر رحمه الله الى الترابط الحي بين الاعلام والوظيفة التي يؤديها او الهدف الذي يستهدفه في رسالتنا حينما ربط السيد الصدر الاعلام بالوظيفة التي تعطى له حيث يقول ان الاعلام إما أن يكون بناء أو هداما. فهذه الممارسة برايه عالم يصنع الرأي العام ويوجهه. وفي يومنا هذا نجد ان الواقع الاعلامي يشير الى مثل هذا الترابط فما تكشف من حقائق خلال المواجهات والحرب على الارهاب يثبت بان التنظيمات الدينية المتطرفة اعتمدت على

١- عبد اللطيف حمزة: الاعلام في صدر الاسلام، الاعلام في صدر الاسلام، دار الفكر العربي، ط ٢، ١٩٧٨، ص ١٣

٢- كاظم عبد جاسم الزبيدي: الإرهاب العالمي، مقال؛ جريدة البينة ٢٠٠٥



فالفتن الطائفية انتجت لنا تفككا واستهدف دعائها تفتيتا المجتمعات والعمل على انهيارها ويمكن الاشارة هنا الى اتفاق مرجعيات دينية اخرى على مفهوم الحوار الانساني الذي تبنته مرجعيات اسلامية متعددة لحل المشاكل في العالم حيث دعا قداسة البابا بندكتوس السادس عشر في رسالته الملهمة لوسائل الاعلام المختلفة المرئي والمسموع والإلكتروني لتعزيز أشكال الحوار وفتح نقاشات جديّة وتبادل المعلومات لتكون مدخلا لبناء علاقات إنسانية وإيجاد أجوبة ومعارف جديدة. وربط مواقع التواصل الاجتماعي بقيم إنسانية دينية بحيث لا يتحول التواصل إلى ممارسات تخرج عن سياق البناء وتسودها الإثارات السياسية والأمنية والطائفية^(١)



١- عبد الهادي محفوظ: الاعلام والارهاب والتكفير وسبل المعالجة التسعة، مقال، النهار، جريدة، بيروت، ٢ تشرين الاول، ٢٠١٤

مواقع التواصل الاجتماعي والمؤسسات المرئية والإذاعية والمكتوبة لتعميم خطاب الكراهية وإلغاء الآخر. وفي الوقت نفسه لا يمكن انكار ان هذه التنظيمات تستفيد فعلا من المناخات الطائفية والانقسامات لاستقطاب الشباب وتجلى ذلك بوضوح من خلال استغلال الاحداث فيما يسمى الربيع العربي والدفع باتجاه ممارسة العنف داخل المجتمعات العربية والعمل على تهديد نسيجها بغياب رؤية تنظيمية وقانونية تحد من هذه الممارسات وبوجود منظومات حاكمة مستبدة في اعلى هرم السلطة وبتنامي الفساد فيها وقد ساهمت بعض الاحزاب السياسية في العالم العربي في ترسيخ مفاهيم الفشل حينما عملت على تغييب البرامج الاجتماعية وحينما مارست بيروقراطية السلطة وامعنت في فسادها واستبدادها ولا بد من القول ان الاسلام براء من دعوات القتل والتهجير ومصادرة الاملاك وتهديد الاقليات فالأديان هي واحدة عندما نلتقي في الله وهي في الاساس غايتها خدمة الانسان لقد بات الانقسام الطائفي والسياسي الذي تشهده منطقتنا يزرع الهواجس والمخاوف واصبحت مشاهد التفجيرات تبعث رسائل الترويع وصار من الصعب مواجهة دعاة العنف والتطرف الا من خلال الحوار الهادئ.



المبحث الثاني

قراءة في فكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والتعاطي مع الآخر

أشار القرآن الكريم كثيرا عن السلام والتسامح والدعوة الى تبني القيم الانسانية وهناك من النصوص الكثيرة التي تشير الى ان الشريعة الاسلامية تؤمن بالتسامح وتدعو الى نبذ التطرف ولم يرد ذكر التسامح كمصطلح في القرآن الكريم ولكن جاء بما يقاربه او يدل على معناه حيث تمت الدعوة الى التقوى والتشاور والتأراز والتواصي والتراحم والتعارف وكلها من صفات التسامح^(١) وحينما جاء الاسلام الى النبي محمد ﷺ كل احلاف الجاهلية وابقى حلف الفضول ومن المعروف ان هذا الحلف هو اول حلف عربي تبني مبادئ نصرة المظلوم وشكل في ذلك الوقت وثيقة خاصة بحقوق الإنسان قبل ظهور الاسلام وحينما نتصفح القرآن الكريم ونتمعن في سوره وآياته م سنجد ان عشرات من الآيات تؤكد على مجمل حقوق الإنسان التي شرعتها القوانين الوضعية الدولية وفي هذا المبحث نقرن ما جاء به الاسلام ما نادى به امير المؤمنين

عليه السلام علي بن أبي طالب عليه السلام من اجل ان تصان كرامة الناس وتحفظ حقوقها ويمكن القول ان امام المتقين وامير المؤمنين عليه السلام الامام علي بن أبي طالب عليه السلام قد استكمل نهج النبوة في الدعوة الى الرحمة والعدالة ورفض الظلم^(٢) لقد اجتمعت الديانات السماوية على رسالة واحدة حملها الرسل والانبياء مضمونها الدعوة الى السلام وفي القرآن الكريم يخاطب الله الناس ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٣)، والذي نفهمه من هذه الآية المباركة هو أن السلم عمل الرحمن في حين أن الحرب والعنف هو عمل الشيطان، فكل حرب لسبب غير معقول ومع وجود الخيار السلمي هي حرب تسير بلا شك على نهج شيطاني لا على نهج قرآني أو انساني كيف تكون حرب كتلك الحرب شيطانية والله يدعونادائما للسلم والسلام حتى أنه عز وجل قد أسمى نفسه (السلام) ووصف نفسه أيضا في مبدأ كل سورة من سور كتابه الكريم بـ (الرحمن) و (الرحيم)، وبالتالي هل يكون السلام غير الرحمة والمحبة؟! فمسألة العلاقة بين السلم واللاعنف في الفكر

٢- عبد الحسين شعبان، الاسلام وحقوق الإنسان

ط٢، بيسان - بيروت، ص ٩٩

٣- البقرة: ٢٠٨

١- عبد الحسين شعبان، الاسلام وحقوق الإنسان

ط٢، بيسان - بيروت، ٢٠٠١، ص ١٠٨





الاسلامي الاصيل عموما، وفي فكر الإمام علي عليه السلام خصوصاً هي علاقة واضحة المعالم إذ أنها تستمد وجودها من عمق الرسالة الالهية والآداب الربانية^(١) وتستمد روحها ايضاً من الاحاديث النبوية الشريفة وموقف النبي محمد صلى الله عليه وآله منالدعوات الى الجهاد ومنها هذا الحديث الشريف فقد (جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل اللهفان احدنا يقاتل غضبا ويقا تل حمية فرفع اليه النبي صلى الله عليه وآله براسه وقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل وفي هذا الحديث الاخير ما يدل على اختلاف مفهوم القتال في الجاهلية عنه في الاسلام فالقتال في الجاهلية عن حق وحمية وعصية والقتال في الاسلام عن رغبة صادقة في اعلاء كلمة الله واعتقاد بوجوده^(٢).

وحينما نهض الامام علي عليه السلام في ذي القعدة سنة ٢٧ هجرية لإعادة ثقافة الكتاب والسنة فانه احيا في نفس الوقت ظاهرة التعددية في العبادة التي اسسها رسول الله صلى الله عليه وآله^(٣) ولا يسع المؤرخ الاعلامي عندما يتكلم

عن الامام علي عليه السلام الا ان يشير الى الشخصية التي انفرد بها بين الصحابة ولا نبالغ اذا قلنا عن الامام انه كان اكبر شخصية عرفها الاسلام بعد رسول الاسلام^(٤) وفي ذروة الخلاف والاحتقان التي صاحبت الايام الاخيرة لخلافة عثمان كان حزب الامام علي يتألف من جمهور القراء والفقهاء والنساب والحفاظ وكان هؤلاء يسخطون على ترف الاغنياء الذين اثروا في ايام عثمان من وراء المناصب الكبيرة التي وضعهم فيها وكانوا ينكرون كل خلاف يقع بين المسلمين يؤدي الى تفريق الكلمة وكانوا حافظين لحدود الله ولا يرضون عن اولئك الذي لاهم لهم الالهة الدنيا وكانوا يكرهون الحرب الا لنشر الدين، اما حزب معاوية فكانوا طلاب دنيا ومال وجاه وكانوا يسمعون الحق كما يسمعون الباطل لانهم لا يفرقون بينهما وكانوا لا يعرفون غير الطاعة العمياء لمعاوية بن ابي سفيان لا يجيزون الا ما اجازه وكان اصحاب علي عليه السلام كما يقول الاستاذ عباس محمود العقاد اقرب الناس في ذلك الوقت الى الاصغاء الى صوت الضمير قبل صوت الامير ويمكن ان نوجز المشهد بكلمة واحدة هي ان (الاعلام) كان وسيلة الامام علي عليه السلام

٤- عبد اللطيف حمزة: الاعلام في صدر الاسلام، المصدر السابق ص ٢٥١

١- الامام علي عليه السلام شرح نهج البلاغة: محمد عبده، الدار الإسلامية- بيروت، ج ٣، ١٩٩٢، ص ٤٩٠
٢- عبد اللطيف حمزة، المصدر السابق ص ٥٩
٣- السيد سامي البدري: قراءة جديدة في صلح الامام الحسن عليه السلام، دار الوارث للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠١٧، ص ١١٤



الولاية وضمن وصاياه لهم بالكثير من الآداب القرآنية ففي كتابه الى عامله في مصر مالك بن الحارث الاشتر حين ولاه مصر امر الامام علي بن ابي طالب عليه السلام الاشتر بتقوى الله واشار طاعته واتباع ما امر الله به في كتابه وكان هذا العهد انموذجا اخر لحماية حقوق الانسان ويجد المؤرخون لسيرة امير المؤمنين عليه السلام علي عليه السلام أن هناك خطين أساسيين لمبدأ السلم واللاعنف في منظومته الفكرية العامة:

فالخط الاول يتمثل في كيفية التعامل مع العدو الخارجي وموقع ذلك العدو من مبدأ السلم واللاعنف.

أما الخط الثاني وهو برأينا الشخصي الأكثر أهمية والاشد حساسية، فهو ذلك الخط الذي يحدد مكانة ما يمكن أن يسمى بالعدو الداخلي ولو كان مسلما وكيفية التعامل مع ذلك العدو من منطلق السلم، المتمثل بالكلمة الطيبة وبالحوار المبني على الدفع بالتي هي أحسن، ومن مدلولات ومصاديق الخط الاول هو تلك المقاطع الهامة من عهده الخالد لمالك بن الاشتر النخعي حين ولاه مصر (٤)

وقد تجلت مواقف امير المؤمنين عليه السلام

اما (الدعاية السوداء) فكانت وسيلة معاوية ومثلما هو معروف ان الصدق هو قرين الاعلام والكذب قرين الدعاية حيث كان امير المؤمنين عليه السلام لا يرضى لنفسه ولا يرضى له دينه وخلقه ان يبني سياسته الاعلامية على الطعن في اعدائه بنفس الطريقة التي سلكها معاوية (١) وقد حدث ان عليا عليه السلام سمع قوما من اصحابه يسبون اهل الشام ممن اشتركوا في واقعة صفين فقال لهؤلاء (اني اكره ان تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم اعمالهم وذكرتم حالهم كان اصوب في القول وابلغ في العذر، وقتلتم مكان سبكم اياهم اللهم احقن دماءنا ودماءهم واصلح ذات بيننا وبينهم واهداهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به) فاين هذا من فعل معاوية حين كان يأمر بان يسب علي فوق المنابر (٢) لقد اتخذ الامام علي بن ابي طالب عليه السلام القرآن الكريم شرعة ومنهاجا اذ يقول عليه السلام (تعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب) (٣) وقد جسد الامام علي عليه السلام هذا النهج وهذه الشرعة في تعامله مع

١- المصدر نفسه، ص ٢٥٦

٢- عبد اللطيف حمزة: الاعلام في صدر الاسلام،

المصدر السابق ص ٢٦٢

٣- اهل البيت: مجلة، العدد ٩، ٢٠٠٩، ص ٢٤٩

٤- عبد الرضا الزبيدي: الفكر الاجتماعي عند الامام علي عليه السلام، مكتبة فندك، قم، ٢٠٠٥، ص ١٢٢



والاخر منها قوله (من عامل بالعنف ندم) (ومن ركب العنف ندم) و (كن لنا من غير ضعف شديدا من غير عنف) وله ايضا (فوا الله ما دفعت الحرب يوما الا وانا اطمع ان تلحق بي طائفة فيتهدي بي وتعسو الى ضوائي وذلك احب الي من ان اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء بآثامها)^(٢) ان الجور والرعب والميراث الاشر في عالمنا العربي والاسلامي ليس من مبادئ الاسلام الانساني ولا من معطياته الفذة ومنها التي رسمها الامام علي عليه السلام في تلك الوثيقة الانسانية الخالدة لواليه في مصر مالك الاشر حين يقول له: يا مالك (اشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايدهم في العمد والخطأ)^(٣) ويظهر مما تقدم ان المشروع الاسلامي لم يميز بين المسلمين على اساس من اللون او العرق او اللغة بل يرى كل المسلمين يتمتعون بالحقوق والواجبات على مستوى واحد في الدولة كما ان لهم واجبات والتزامات نفسها من دون تفريق

ودفاعه عن حقوق الانسان في الكثير من المشاهد والاحداث حيث يلمس المدارس لسيرته والمتمعن في اقواله بسهولة القيم التي امن بها وعلمها المسلمين بما يعزز حقوق الانسان وبما يدعم القيم التي امن بها وبما يناهض كل سلطة تحاول ان تظلم الانسان وتغتصب حقوقه وخصوصا حقوقه السياسية والاجتماعية وفي نفس الوقت فان هذه المواقف تتجلى فيها صرامة المدرسة السياسية الفكرية التي اسسها امير المؤمنين عليه السلام في فضاله من اجل بناء مجتمع العدل السياسي والاجتماعي وتحدثنا وقائع التاريخ بان علي بن ابي طالب لا يواجه عدوانا بالسيف حتى يتبدأ بالوعظ والارشاد والنصح والهداية يحاجج من جيش الجيوش عليه وا قبل بالعدوان عليه ففي حرب الجمل نزل الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في موضع في الزاوية في البصرة فصلى اربع ركعات ثم رفع يديه داعيا (اللهم رب السموات وما اظلت والارض وما اقلت ورب العرش العظيم.... اللهم ان هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا علي ونكثوا بيعتي اللهم احقن دماء المسلمين)^(١) وله عليه السلام من الاقوال الماثورة الكثير في الدعوة الى التآني والحكمة واتباع اللين في التعاطي مع

٢- الشريف الرضي (الجامع): نهج البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي الصالح، ٢٠٠٤، خطبة ٨٨ ص ١٤٠

٣- السيد محمد بحر العلوم: الارهاب: التعريف والمفاهيم العامة، المعهد، مجلة العدد الرابع، اذار، ٢٠٠٣، ص ٢٠

١- عباس محمود العقاد: عبقرية الامام علي عليه السلام، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٠٢



حسب وضعياتهم الاقتصادية والصحية وغيرهما من الخصوصيات المؤثرة ثم ان حرية الراي والتسامح كانت نهجا ثابتا في حياة الامام علي عليه السلام حيث تنقل لنا الوقائع قضية حدثت له مع الخوارج بعد عودته من صفين الى الكوفة فخرجوا الى صحرائها واعلنوا موقفهم المعارض من الامام علي عليه السلام فارسل علي عليه السلام لهم عبد الله بن عباس والتقى بهم وكلمهم فيما خرجوا عليه وعاد للإمام فقال له الامام ما رأيك؟ فقال ابن عباس ما ادري ما هم، فقال الامام رأيتهم منافقين؟ قال والله ما سيمأهم بسيماء المنافقين ان بين اعينهم لأثر السجود وهم يتلون القرآن فقال علي دعوهم ما لم يسفكوا دما او يغضبوا مالا^(١) وفي احلك الظروف واشد الاحداث لم يفتقد امير المؤمنين علي بن ابي طالب الصبر على ان التاريخ الاسلامي لا يكاد يعرف ظروف افظع ولا اسوء من الظرف التي بويع فيها الامام علي عليه السلام ويكفي ان نذكر من تلك الظروف انه بويع بعد الحادثة التي قتل فيها عثمان بن عفان وفي اعقاب الفتنة الكبرى التي انتهت بقتله واكثر من ذلك ان الامام علي بن ابي طالب عليه السلام بويع الخلافة وهو

متهم بدم عثمان رغم الجهود التي بذلها في المحافظة على حياته^(٢) حيث اعتمد معاوية في دعايته ضد الامام على الطرق المسرحية فما ان سمع بمقتل عثمان حتى بعث الى المدينة من اتى له بقميص أي بقميص عثمان وعليه دمه وامر الرسول فحمل القميص على علم ووصل به الى معاوية ففرشه على الارض وجمع اصحابه وجلسوا ليكون على عثمان ويقولون: علي بن ابي طالب هو القاتل^(٣) وبعد اسشهاده (سلام الله عليه) فقد عمد معاوية على حجز اهل الشام عن التأثير بمشروع الامام علي عليه السلام الاحيائي للسنة او التعرف على اخبار سيرته الصحيحة من خلال الحرب والاعلام الكاذب فازدادوا جهلا بعلي عليه السلام وعادوا الى ثقافتهم السابقة في لعن علي عليه السلام^(٤) كما عمد معاوية على اتباع اساليب في نشر الدعاية السيئة حول علي ومنها اسلوب الاحاديث الموضوعية او الكاذبة ومنها اسلوب تفسير القرآن تفسيرا يسيء من سمعة علي وقد استغل معاوية في دعايته هذه جهل الرعية في زمانه وقد كان العلم في الشام حيث الاعوان الملتفون بمعاوية اقل من العلم في الحجاز حيث كبار

٢- عبد اللطيف حمزة: مصدر السابق، ص ٢٦٥

٣- المصدر نفسه، ص ٢٦٦

٤- السيد سامي البدري: مصدر السابق، ص ١١٥

١- العلامة محمد بحر العلوم: افاق حضارية للنظرية السياسية في الاسلام، دار الزهراء للطباعة، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٣، ص ٢١٠



(لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)، اما حول المساواة فقد ذهبت المادة السابعة من الاعلان العالمي للقول (كل الناس سواسية امام القانون ولهم الحق في التمتع بحماية متكافئة بدون اية تفرقة..) ويقول الامام علي عليه السلام (كل انسان نظير لك في الخلق) وكان الامام علي عليه السلام لا ينفي (حق الاختلاف) ولا يمنع (حق الاعتقاد) او (حرية الاعتقاد) باعتبار الانسان اخ الانسان اما بسبب الرابطة الدينية او الرابطة الانسانية وقد كتب الى عامله في مصر مخاطبه (ولا تكونن عليهم أي على الناس سبعا ضاريا تغتنم اكلهم فانهم صنفان اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) وهي مفاهيم متقدمة لم يجر تطبيقها او تعميمها الا في حدود ضيقة وفي ظروف تاريخية مختلفة^(٣)



الصحابه وابناء الصحابة الذين تالف منهم حزب علي^(١)

ويمكن القول ان للإمام علي عليه السلام فلسفة خاصة وعميقة بخصوص الحرية وحقوق الانسان اذا ما حاولنا الاقتراب من مصطلحات الفكر المعاصر تلك التي اوثقها على نحو شديد بفلسفته للحكم وبمنهجه في التعامل مع الولاية وشؤون الرعية ويكاد الامام علي عليه السلام يقترب رغم المسافة الزمنية الفاصلة بين حاضرننا والزمن الذي عاش فيه من رؤية القرن العشرين (بفارق ١٤ قرناً) للمفاهيم العصرية التي جرى تدوينها في الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ م والعهدين الدوليين ١٩٩٦ م الصادرين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة بخصوص الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حيث تكاد تجد صدى بعضها في فلسفته^(٢) وكما هو مدون في الاعلان العالمي لحقوق الانسان (يولد جميع الناس احرارا متساوين في الكرامة والحقوق وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم ان يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء) (المادة الاولى) يقول الامام علي عليه السلام

١- عبد اللطيف حمزة : المصدر السابق أ ص ٢٦٥

٢- عبد الحسين شعبان : المصدر السابق أ ص ٩٠

٣- المصدر نفسه، ص ٩١



الخاتمة

نناقش مفاهيم السلام والاعتدال والتعايش في الماضي والحاضر والمستقبل

ثانيا: اثبتت الاحداث على مر العصور بان التطرف والعنف ينشأ لأسباب دينية، حيث ينهل الارهابين من فكر ديني متطرف يتم استغلاله سياسيا في الكثير من الاوقات.

ثالثا: ان الانظمة السياسية الظالمة ممثلة بحكام الجور والاستبداد تستدعي نتيجة ظلمها ردود فعل وسلوك عنفي غير منضبط.

رابعا: ان الحاجة تبدو ملحة لإيجاد منظومة قانونية واخلاقية واعية تستمد نهجها من ذلك الاث الانساني المتسامح الذي امن به النبي ﷺ الاعظمواهل بيته الطيبين الطاهرينلمواجهةالفكر المتطرف ولابد من العمل لتأصيل المحطات المضیئة في هذا الارث وان يكون للإعلام دور محوري في مواجهة الافكار الضالة والمنحرفة

خامسا: ان العالم العربي والاسلامي معني اكثر من غيره في مواجهة الافكار المتطرفة باعتبار ان نشاطات الفكر المتطرف تششط بشكل كبير في المنطقة العربية والاسلامية سادسا: ان وجود مناخات ديمقراطية جديدة في العالم العربي واتساع

أصبح الارهاب والعنف والتطرف سمة بارزة في عالمنا العربي والاسلامي والعالم اجمع.. وبات الحديث عن مواجهة هذا السلوك المنحرف حديث الساعة.. ويوما بعد يوم تتعاظم الدعوات من اجل ايجاد إستراتيجية امية لمواجهة المشاريع التي يستهدفها الارهابيون.. ولربما كان العالم ووسائله النافذة القوة التي يمكن استثمارها لمواجهة هذا العنف وهذا التطرف الموسوم احيانا بالإرهاب وقد تناول الباحث في هذه الدراسة جذور العنف والتطرف في العالم والشواهد التاريخية والاجتماعية لبعض مظاهره كما تناول دور العالم في مواجهة اهداف ومرامي الارهابين المتطرفين ورفض الحوار الذين رفعوا شعار الغلو وتناول ايضا بشكل معمق فلسفة الامام علي بن ابي طالب في التعايش والتعاطي مع الاخر ومشروعية خوض الحرب والجهاد في سبيل الله وقد توصل الباحث الى مجموعة من الاستنتاجات ابرزها

اولا: تشكل خطب الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ؑ كنوز ثقافية بمضامينها الانسانية لا يمكن تخطيها حينما



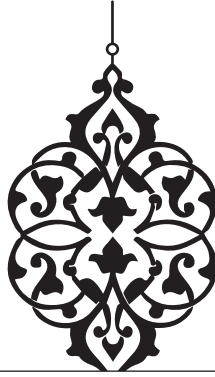


التعددية قابله في نفس الوقت شيوع
الفوضى واستغلال مساحات الحرية
لبث السموم الهدامة واستهداف ملايين
الشباب العربي والمسلم

سابعاً: ان غياب الرادع القانوني في
منظومة القوانين وتباينها في الدول

ساهم الى حد كبير في تغلغل اصحاب
المشاريع المتطرفة في الساحة

العالمية مع وجود تمويل من بعض
الانظمة لهذه المشاريع



الْبَوَّابُ الْمَعْرِفِيُّ





المصادر والمراجع

٩- في الفكر الاجتماعي عند الامام علي
عليه السلام: عبد الرضا الزبيدي، مكتبة
فدك- قم ٢١١١.

١٠- قراءة جديدة في صلح
الامام الحسن عليه السلام:
السيد سامي البدري، دار الوارث
للطباعة والنشر، ط ٢، ٢٠١٧

١١- مجتمع اللاعنف: حسن السيد عز
الدين بحر العلوم؛ ط ١ الكويت،
٢٠٠٤

١٢- محاكمة سقراط؛ اي- اف - ستون؛
المجلس الاعلى للثقافة، ٢٠٠٢

ثالثا: المجلات

١- اهل البيت: مجلة، العدد ٩، ٢٠٠٩

٢- المعهد، مجلة العدد الرابع، النجف
الاشرف، ٢٠٠٣

٣- النور؛ مجلة؛ لندن، ٢٠٠٢

٤- المعرفة؛ مجلة؛ دمشق، ١٩٩٥

٥- النبأ؛ مجلة، سلفيا باور ٢٠٠٥

رابعا: الصحف

١- جريدة الاتحاد؛ بغداد، ٢٠٠٥

٢- جريدة البينة؛ بغداد، ٢٠٠٥

٣- جريدة الحياة، ٢٠١١

٤- جريدة الوطن، الرياض، ٢٠١٣

٥- جريدة النهار، بيروت، ٢٠١٤

اولا: القرآن الكريم

ثانيا: الكتب

١- افاق حضارية للنظرية السياسية في
الاسلام، العلامة محمد بحر العلوم
دار الزهراء للطباعة، بيروت، ط ٢،
٢٠٠٣

٢- الاسلام وحقوق الانسان: عبد
الحسين شعبان، ط ٢، بيسان -
بيروت، ٢٠٠١.

٣- الاعلام في صدر الاسلام: عبد
اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، ط
٢١٩٧٨

٤- الحركة الاسلامية: هموم وقضايا،
السيد محمد حسين فضل الله،
بيروت، ٢٠١١

٥- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد،
القاهرة، دار إحياء الكتب العربية،
١٩٦٥ ط ٢.

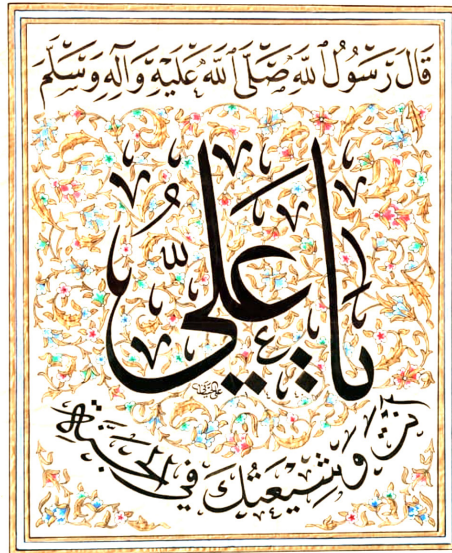
٦- شرح نهج البلاغة: محمد عبده، الدار
الاسلامية، ج ٣، بيروت ١٩٩٢.

الشريف الرضي (الجامع): نهج
البلاغة، تعليق وفهرسة د. صبحي
الصالحط، ٢٠٠٤

٧- الصناعات الابداعية: جون هارتلي
واخرون. ترجمة بدر السيد سليمان،
عالم المعرفة ٢٠٠٧.

٨- عبقرية الامام علي عليه السلام: عباس محمود
العقاد، المكتبة العصرية- بيروت،
١٩٦٧.





أَبْوَابُ الْمُعْرِفَةِ



التسلسل التاريخي لمرقد الامام
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
في النجف الاشرف

ماجستير - علاقات دولية
م.م هاشم محمد الباججي



مؤلف ومحقق





التسلسل التاريخي لمرقد الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الاشرف

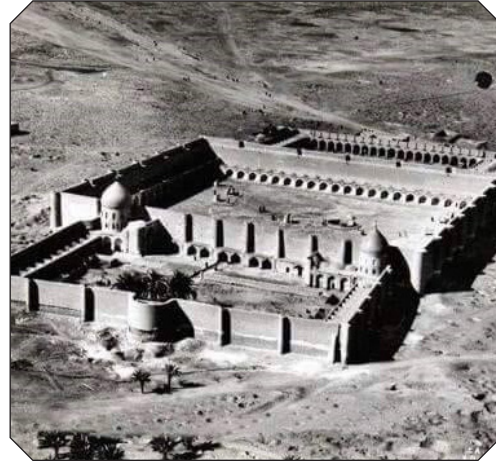
ان لمرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام قدسية وبهاء ونورا في قلوب المؤمنين، مما جعل المؤمنين يتوافدون على هذا الحدث الطاهر لينهلوا من معين بركاته عبرة وعظة وعلماء ونورا، وقد دأب أولاده وأصحابه وأحفاده ومحبيه على تعاهد موضع قبره وزيارته منذ مدفنه الشريف في ظهر الكوفة -

النجف - وحسب وصيته لولديه الحسن والحسين صلوات الله عليهم، وفي هذا البحث المختصر اثبات لمحل دفنه المبارك في هذه الارض المباركة وتواتر زيارته من قبل أولاده الصليبين ومحبيه منذ مدفنه الشريف في الحادي والعشرين من شهر رمضان المبارك سنة ٤٠ للهجرة الى يومنا هذا، فلم يفارقوا القبر ولا زموا زيارة القبر وتعاهدوا وأوصوا الناس بذلك.



■ نشأت مدينة الكوفة بعد فتح العراق من قبل الجيوش الاسلامية سنة ١٤ للهجرة بعد انتصارها على الجيوش الفارسية في معركة القادسية، ومضت الكوفة سنة ١٧ هـ^(١)، بعد اتخاذها قاعدة لتجمع الجيوش الاسلامية وانطلاقها للفتوحات الاسلامية - والكوفة تعني الرملة الحمراء المستديرة، وكل رملة تحاطها حصباء تسمى كوفة، والتكوف أي التجمع -^(٢) وأول ما انشأ فيها هو مسجد الكوفة الذي بني اولا من القصب^(٣) ثم احيطت بالمسجد البيوت بعد ان تم تخطيط عمرانها ...

■ الاحداث والحروب التي أحدثها الناكثون والقاسطون والمارقون، واستقر فيها حتى شهادته، وكان يخرج الى ظهر الكوفة والتي تسمى اليوم النجف - المكان الذي لا يعلوه الماء وهي الارض كالمسناة^(٤) - عندما يضيق صدره ويقف في أعلاها وهو مكان يطلق عليه اليوم (مقام الامام أمير المؤمنين ومرقد صافي صفا) ويخاطب أرض النجف قائلا: (والله ما أجمل منظرك وأطيب قعرك، اللهم اجعل قبري فيها)^(٥)، وأوصى الإمام عليه السلام ولديه الحسن والحسين عليهما السلام أن يكون مدفنه فيها^(٦).



■ سنة ٤٠ للهجرة، في الحادي والعشرين من شهر رمضان، استشهد الامام في مسجد الكوفة أثناء الصلاة بعد أن ضربه بالسيف الخارجي عبد

■ نقل الامام أمير المؤمنين عليه السلام عاصمة الخلافة الاسلامية من المدينة المنورة الى مدينة الكوفة بعد انتقاله اليها في ١٢ رجب سنة ٣٦ للهجرة^(٧)، بعد





■ في سنة ١١٤ هـ زار الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام قبر جده الامام امير المؤمنين عليه السلام (١٢).



الرحمن بن ملجم^(٨)، ودفن الامام علي بن ابي طالب عليه السلام بعد استشهاده الامامان الحسن والحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر مع بعض الاصحاب في موضع قبره الذي اوصى الامام ان يدفنه فيه في ظهر الكوفة (النجف الان) وأن يخفوا موضع قبره حذرا من الامويين والخواارج، وزارا القبر في نفس السنة^(٩).



■ في سنة ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م، بعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، أظهر الإمام جعفر الصادق عليه السلام القبر الشريف للإمام امير المؤمنين عليه السلام، ودلّ عليه شيعة وأمرهم بزيارته، ووضع الإمام عليه السلام على القبر دكة أو صخرة للدلالة عليه^(١٣).



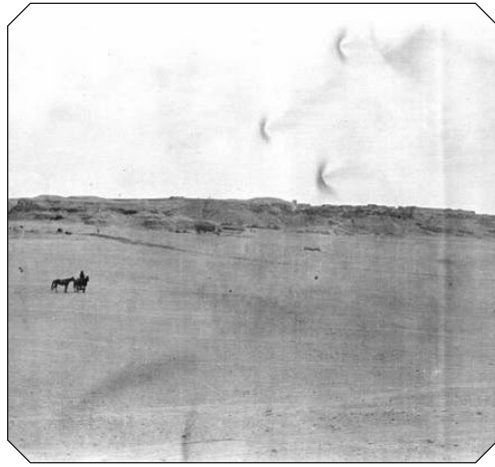
■ سنة ٦٢-٦٣ هـ، زار قبر الامام علي عليه السلام خفية حفيده الإمام علي بن الحسين زين العابدين مع ولده محمد الباقر عليه السلام مع بعض اصحابه، وانشأ عنده الزيارة المعروفة بزيارة (أمين الله)^(١٠).

■ في سنة ٩٤ هـ زار قبر الامام حفيده الامام زين العابدين علي بن الحسين وولده الامام الباقر عليه السلام، قبل شهادة الامام زين العابدين بسنة واحدة^(١١).





- في سنة ١٤٣هـ، زار الامام الصادق عليه السلام قبر الامام علي عليه السلام مع صاحبه صفوان الجمال واعطاه دراهم لإصلاح القبر ودعاه لان يدل الناس على قبر الامام علي عليه السلام في النجف^(١٤).
- في سنة ١٤٩هـ، زار الإمام موسى الكاظم قبر جده الامام امير المؤمنين عليه السلام في سنة ٢٣٤هـ، زار الإمام علي الهادي قبر جده الامام امير المؤمنين عليه السلام، وانشأت بعض الزيارات في زمن الائمة^(١٩).
- في سنة ١٩٩هـ، زار الإمام علي بن موسى الرضا قبر جده الامام امير المؤمنين عليه السلام في النجف^(١٧).
- في سنة ٢٢١هـ، زار الإمام محمد الجواد قبر جده الامام امير المؤمنين عليه السلام^(١٨).

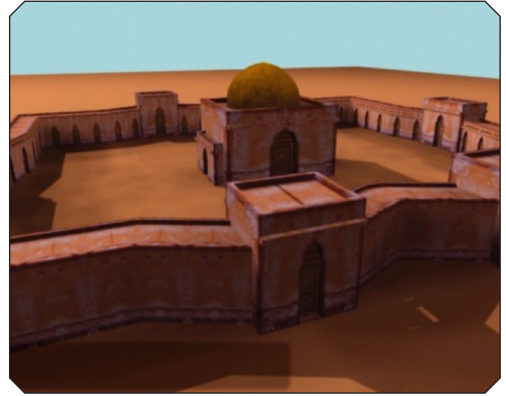


- سنة ١٧٠ او ١٧٥ هـ، قام هارون العباسي (الرشيد) بتَحْجِيرِ قبر الامام علي عليه السلام^(١٦).
- في سنة ٢٧٣هـ، اقام داود عم اسماعيل بن عيسى العباسي الصندوق على قبر الامام امير المؤمنين عليه السلام بعد ظهور كرامة للقبر الشريف قد وقعت في أيام الخليفة المعتمد^(٢٠).





■ في سنة ٢٨٣هـ - ٨٩٦م أمر ملك طبرستان السيد محمد بن زيد المعروف بـ (الداعي الصغير أو الداعي الحسني) ببناء حرم وقبة للمرقد المطهر، وأحاط البناء بحصن فيه سبعون إيواناً لخدمة الزوّار والمجاورين^(٢١)، وهو أول بناء أقيم على قبر الامام امير المؤمنين عليه السلام ومنه بدأ تمصير مدينة النجف الاشرف على الارجح...



■ سنة ٣١١هـ - ٩٢٣م، عمارة والي الموصل الأمير أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان الحمداني المتوفى سنة ٣١٧هـ، فقد كُلف أبا الهيجاء بالحج نيابة عن الخليفة، أو أنّه قرر الحج فيها، فتوقف في الكوفة

على عادة حجاج العراق، وزار قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وأمر بإعمارهم ثم توجه من بعد ذلك الى الحج... وقد بنى قبة عظيمة مرتفعة الأركان^(٢٢).

■ في سنة ٣٣٨هـ - ٩٤٩م، أقام زعيم الكوفة عمر بن يحيى العلوي حرمًا جديدًا وقبة كبيرة على المرقد العلوي المقدس، والذي اختصّه الله بفضيلتين فضيلة بناء قبة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام من خالص ماله، وردّ الحجر إلى محلّه، حيث توسّط الشريف أبو علي عمر بن يحيى العلوي هذا بين الخليفة المطيع لله في سنة ٣٣٩هـ وبين القرامطة حتى أجابوه إلى ردّ الحجر الأسود، وجاؤا به إلى الكوفة وعلّقوه على الاسطوانة السابعة من أساطين الجامع قبل ردّه إلى بيت الله الحرام.

■ في سنة ٣٦٦هـ - ٩٧٦م، قام حاكم بغداد السلطان عضد الدولة البويهري في عهد الخليفة الطائع العبّاسي بإزالة العمارة السابقة وإنشاء عمارة فخمة بقبة بيضاء على المرقد العلوي المقدس وستر جدران الحرم بخشب الساج المنقوش، وأقام عضد الدولة أمام الرواق بهوًا كان يجلس فيه متأدبًا لقضاء الحوائج، وفي هذا البهو وتحت الرواق عُقدت حفلة حضرها الأمراء والنقباء والعلماء^(٢٤)، وهناك

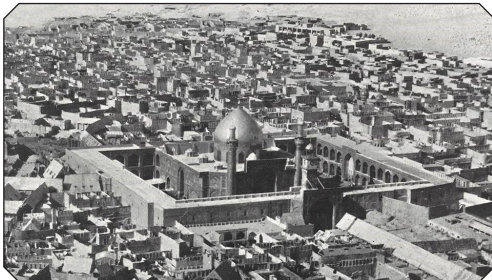




ألقى الشاعر الشهير الحسين بن الحجاج
قصيدته الفائيّة الشهيرة^(٢٥):

يا صاحِبَ القُبَّةِ البَيْضَاءِ فِي النَّجَفِ مَنْ
زار قَبْرَكَ واستشفى لَدَيْكَ شُفِي
رُورُوا أبا الحُسَيْنِ الهَادِي لَعَلَّكُمْ تَحْضَوْنَ
بِالْأَجْرِ وَالْإِقْبَالِ وَالزُّلْفِ

■ في سنة ١٠٢٣ هـ - ١٦١٤ م اقيمت
العمارة الحالية للمرقد العلوي المطهر
وهي العمارة الصفوية، ومرت هذه العمارة
بمراحل، بدأها (الشاه عباس الصفوي
الاول) سنة ١٠٢٣ هـ الذي أصلح العمارة
السابقة حيث عمل على تعمير الروضة
المطهرة والقبة والصحن الشريف، ثم
بدأت المرحلة الثانية التي بدأها (الشاه
صفوي) في عام (١٠٤٢ هـ - ١٦٣٢ م)
فأكمل ما بدأه الشاه عباس الاول واستمر
العمل الى سنة ١٠٤٧ هـ لاكمال الصحن
الشريف، ثم بدأت المرحلة الثالثة التي
بدأها الشاه عباس الثاني سنة ١٠٥٢ هـ
حتى اكمال العمارة الفخمة الحالية للمرقد
العلوي^(٢٧).



■ في سنة ٧٥٥ هـ - ١٣٥٤ م، قام الأمير
حسن بن نوبان الجلائري وهو من الأسرة
الإليخانية التي حكمت العراق بإعادة
بناء المرقد المطهر بعدما احترقت عمارة
المرقد العلوي التي أنشأها عضد الدولة
بسبب الستور الحريية التي كانت تغلف
جدران الحرم المطهر يومئذ بفعل شموع
الإضاءة في حدوث الحريق الذي أتى على
البناء برمته، واستمر العمل لمدة خمس
سنوات الى أن اكتملت العمارة الجديدة
في سنة ٧٦٠ هـ - ١٣٥٨ م، في عهد ولده
الأمير أويس الجلائري^(٢٦).



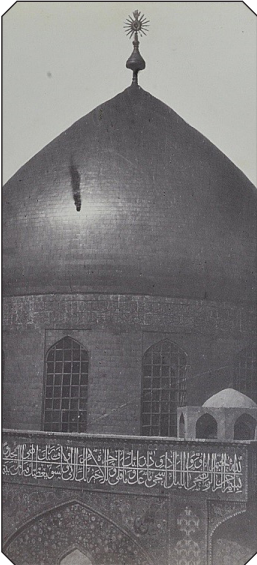
والعمارة الصفوية الحالية لمقر أمير المؤمنين عليه السلام هي تحفة فريدة من الفن الإسلامي الأصيل، فهي تعدُّ أعظم وأفخم العمارات التي شيدت على مرّ أهدل أهل البيت عليهم السلام، وأجلها من حيث الهندسة والرياسة، ولا تضاهيها أي عمارة أخرى، وقد وضع في هندسة الروضة الشريفة إعجازاً فلياً من قبيل تعيين زاوية الزوال وتحكيم بزوغ الشمس على الحرم المقدس، وقد تضمنت هندسة البناء أيضاً جوانب عدة من الرمزية العقائدية المستوحاة من آيات القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت صلوات الله عليهم .

وأجريت على هذه العمارة إصلاحات كثيرة، منها ما قام به حسن باشا سنة (١١٢٩ هـ - ١٧١٧ م) الوالي العثماني في العراق بتجديد قبة أمير المؤمنين عليه السلام، حيث أحدث فيها مسقفاً لطيفاً ومرتفعاً منيعاً، ومن المحتمل أنه قد أبقى قبة

■ في سنة ١١٥٤ هـ تم تذهيب القبة العلوية - الموجودة اليوم - في عهد نادر شاه الافشاري - وانتهى العمل فيها سنة ١١٥٦ هـ، وبلغت تكاليف العمل عشرة آلاف نادر، وقد أهدى الى الضريح المقدس الهدايا والتحف التي لا تقدر بثمن ^(٢٩).

■ في شهر ذي الحجة سنة ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م، بعد أن حدثت شقوق وتصدعات في القبة الشريفة بسبب ارتفاعها وقدم بنائها ومقاومتها للهواء، حيث جرى قلع الذهب الموجود وتطويق القبة الطاهرة بالحديد ليتم إعادة ترميمها وبإشراف المعمار الشهير الحاج محسن والأستاذ النجار حسين

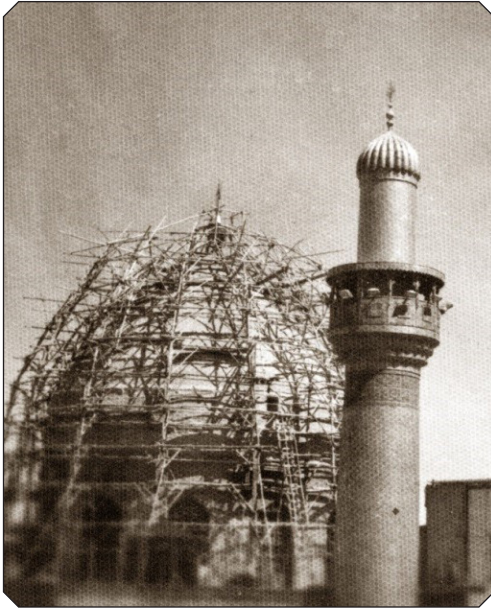
الشمس، وبعد الانتهاء أعيدت الصنائح الذهبية على القبة وتم العمل في آخر شهر ربيع الأول من سنة ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٦ م ^(٣٠).





■ الأشرف، وانتهى العمل فيها بشكل نهائي سنة ١٩٧١ م^(٣٢).

■ في عام ١٩٨٠ م أعيد بناء جدار الصحن الشريف، بعد أن تم إزالة جميع المباني الملاصقة لجدار الصحن الشريف، وبني هذا الجدار المزخرف الموجود اليوم^(٣٣).



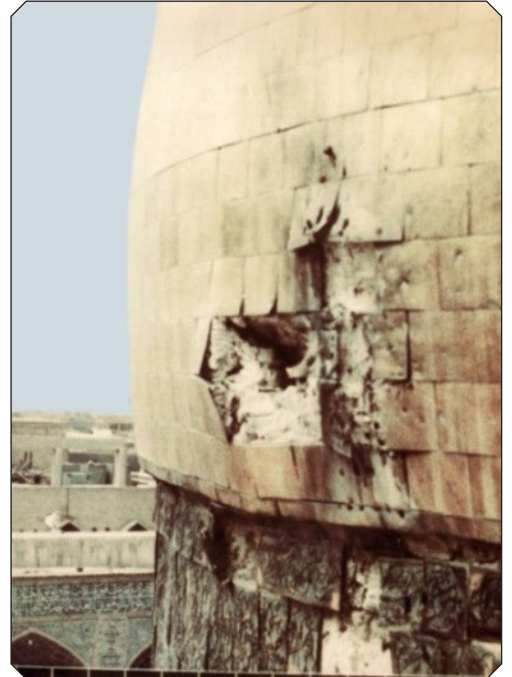
■ وأصلحت القبة في سنة ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م بعد أن تضععت بعض الصفائح الذهبية للقبة وحدوث تصدع فيها، مما أدى إلى دخول مياه الأمطار إلى داخلها، فعمل على رفع الصفائح الذهبية وترميم الأضرار، وبإشراف الأستاذ الحاج سعيد نجل الحاج محسن المتقدم ذكره، وتم الانتهاء من العمل في شهر ربيع الثاني سنة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م^(٣١).



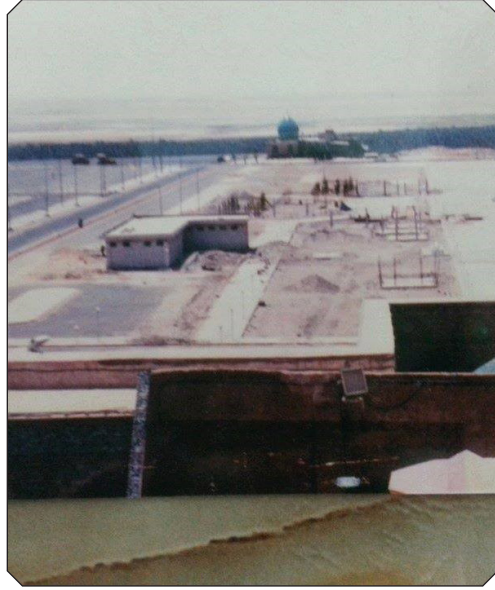
■ ٩ في سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م وبعد أن حصل تصدع كبير للقبة الشريفة، ابتدأ العمل بالترميم واستغرق ستان، وقد تبرع بتكاليف العمل والذهب المصروف على المشروع المرحوم الحاج محمد رشاد ناصر مرزوه وهو من تجار مدينة النجف

■ في آذار ١٩٩١ م بعد أن تعرضت مدينة النجف الاشرف سيما الصحن العلوي الشريف للقصف المدفعي والصاروخي، من قبل جيش النظام السابق (نظام صدام) بعد قيام الثورة الشعبانية، أصيبت القبة الشريفة إصابات بالغة من الجهة الشمالية (باب الطوسي) وقد استقرت إحدى القذائف في بناء القبة ولم تنفجر وقد تم ازالتهافيما بعد، وكان يمكن ملاحظة الأضرار في ذلك الوقت عند رؤية الصفائح الذهبية التي استبدلت بالصفائح المتضررة سيما من جهة باب الطوسي بوضوح، وقد تم إعادة اعمار الاجزاء المتضررة من قبل الحاج شريف يوسف المعمار وأولاده وبأشراف الدولة (٣٤).

■ في عام ٢٠٠٤ تم ازالة الساباط والجزء المتبقي من مسجد الرأس وبعض المقابر، لتوسعة الحرم وانشأ رواق ابي طالب الذي تم افتتاحه عام ٢٠٠٩ م (٣٥).



■ في عام ٢٠٠٧ م وبعد استملاك العتبة بقرار حكومي لمنطقة العمارة سابقا (مشروع توسعة الصحن الشريف - صحن فاطمة-) بمساحة ٤٧٠ م × ١٣٩ م، وتم ازالة جميع المباني التي كانت عليها (فنادق مدينة الزائرين)، ومن ثم بدأ بحفر المنطقة بعمق ١٣ م، وبعد تحضير الامور اللوجستية بوشر بالعمل عام ٢٠١٢ م وانجز الان صحن فاطمة بجميع مرافقه بنسبة ٨٠٪ (٣٦).



■ في العام ٢٠١٣ بدأت العتبة العلوية المقدسة بالعمل على مشروع تذهيب عنق القبة العلوية بارتفاع خمسة أمتار وعشرين ستمترا أسفل حزام القبة، وبتنفيذ من قبل ورشة التذهيب التابعة الى العتبة العباسية المقدسة، مع تبديل شبايك القبة البالغة اثني عشر شباكاً من قبل كوادر قسم الصيانة الهندسية في العتبة العلوية المقدسة (٣٨).



■ في عام ٢٠٠٨ م باشرت الامانة العامة للعتبة العلوية المقدسة بالعمل على اعادة الحزام الذي يطوق القبة الشريفة بعد رفعه من قبل النظام البعثي البائد سنة ١٩٨٦ م، وفي العام ٢٠٠٩ م أكملت العتبة العلوية المقدسة إعادة حزام القبة اليها بعد ترميمه وتأهيله (٣٧).



■ وفي العام ٢٠١٦ أكملت العتبة العلوية المقدسة ترميم وتذهيب القبة العلوية المباركة بشكل كامل بعد سنين من الإصلاح شمل البناء الخاص بالقبة وتقويته وإعادة تذهيب الصفائح الذهبية الخاصة بها، تحت إشراف وتنفيذ مؤسسة الكوثر لإعمار العتبات المقدسة، وكان عدد الصفائح الذهبية للقبة فوق الحزام ٩٢١٧ صفيحة، وعدد الصفائح تحت حزام القبة ٢٥٢٥ صفيحة، والمجموع الكلي لها ١١٧٤٢ صفيحة، وكمية الذهب الخاصة بها، تحت إشراف وتنفيذ مؤسسة الكوثر لإعمار العتبات المقدسة، وكان عدد الصفائح الذهبية للقبة فوق الحزام ٩٢١٧ صفيحة، وعدد الصفائح تحت حزام القبة ٢٥٢٥ صفيحة، والمجموع الكلي لها ١١٧٤٢ صفيحة، وكمية الذهب الخاصة بها، تحت إشراف وتنفيذ مؤسسة

(٣٩).



المصادر

- ١١- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، ص ٩٢.
- ١٢- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، ص ٩٢.
- ١٣- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، ص ١٠.
- ١٤- فرحة الغري في تعيين قبر الامام علي، ابن طاووس، ص ١٩٤.
- ١٥- مراقد المعارف، محمد حرز الدين، ج ٢، ص ٣٢٣-٣٢٤.
- ١٦- حياة الحيوان الكبرى، الدميري، ج ٢، ص ١٧٧.
- ١٧- مراقد المعارف، محمد حرز الدين، ج ٢، ص ٣٢٣-٣٢٤.
- ١٨- مراقد المعارف، محمد حرز الدين، ج ٢، ص ٣٢٣-٣٢٤.
- ١٩- مراقد المعارف، محمد حرز الدين، ج ٢، ص ٣٢٣-٣٢٤.
- ٢٠- مرقد وضريح أمير المؤمنين عليه السلام، صلاح الفرطوسي، ص ١٥٤-١٦١.
- ٢١- التهذيب، الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ٨٨-٨٩. أعيان الشيعة، محسن الاميني، دار التعارف، بيروت ١٩٨٣ م، ص ١، فرحة الغري، ابن طاووس،
- ١- البلاذري، فتوح البلدان، ص ٢٧٥.
- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، ص ٥٧٩.
- ٢- شرح صحيح مسلم، النووي، ج ٤، ص ١٧٥-١٧٦. فتوح البلدان، البلاذري، ص ٢٧٥.
- ٣- الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج ١، ص ٤٣٨.
- ٤- بحار الأنوار، المجلسي، ج ٩٧، ص ٢٣١.
- ٥- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص ١١٠٤١١٠٥.
- ٦- بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج ٤٢، ص ١٢٩.
- ٧- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، ص ١٢.
- ٨- أعيان الشيعة، محسن الأمين، م ١، ص ٣٢٣. وكما في شرح ابن أبي الحديد ومقاتل الطالبين ومروج الذهب.
- ٩- فرحة الغري، عبد الكريم ابن طاووس، ص ٢٥.
- ١٠- المزار، الشيخ المفيد، ص ٤٦. مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ٢٢٢. وبحار الانوار وكامل الزيارات.





ص ٢٨٦. دلائل الامامة، محمد بن جريّر الطبري، ص ٤٥٩. ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة، ج ١، ص ٤٧.

٢٧- اليتيمة الغروية والتحفة النجفية، البراقي، ص ٤٠١-٤٠٢. ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة، ج ١، ص ٤٩.

٢٢- صورة الأرض، ابن الحوقل، ص ٢٤٠. أعيان الشيعة، محسن الأمين، ج ١٢، ص ٥٧. ابن الأثير، الكامل، ج ٦، ص ١١١. نزعة المشتاق في اختراق الآفاق، الادريسي، ج ١، ص ٣٨١-٣٨٢.

٢٣- تاريخ النجف الأشرف، محمد حرز الدين، ج ٢، ص ٨٨-٨٩. تحفة العالم، جعفر بحر العلوم، ج ١، ص ٢٧٢. مشهد الامام علي، سعاد ماهر، ص ١٢٩. خاتمة المستدرک، حسين النوري الطبرسي، ج ٢، ص ٢٩٧.

٢٤- تاريخ النجف الأشرف، محمد حرز الدين، ج ٢، ص ٩١. حياة الحيوان الكبرى، الدميري، ج ١، ص ١٤٦.

رحلة ابن بطوطة (تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، ص ١٧٦-١٧٧. مشهد الإمام، محمد علي التميمي، ج ١، ص ٢٠٠.

٢٥- نزعة الغري، محمد الكوفي، ص ٣٩.

٢٦- أعيان الشيعة، محسن العاملي، ج ٣، ص ٥٩٣. عمدة الطالب، ابن عنبه، ص

٢٢. ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة، ج ١، ص ٤٧.

٢٧- اليتيمة الغروية والتحفة النجفية، البراقي، ص ٤٠١-٤٠٢. ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة، ج ١، ص ٤٩.

عنوان الشرف في وشي النجف، محمد طاهر السماوي، ص ٥٣. مشهد الإمام علي، سعاد ماهر، ص ١٣٨. ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة، ج ١، ص ٤٩. مقدمات كتب تراثية، محمد مهدي الخرسان، ج ٢، ص ٣٢٤.

٢٨- المفصل في تاريخ النجف، حسن الحكيم، ج ٢، ص ٨٨.

٢٩- تاريخ العمل والتذهيب موجود الى هذا اليوم على أعلى كتيبة باب الدخول الرئيسي الى الحرم الشريف. دليل العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ص ٣٤. مشهد الإمام علي، سعاد ماهر، ص ١١٣.

٣٠- اليتيمة الغروية والتحفة النجفية، البراقي، ص ٤٠٥. مشهد الامام، محمد علي التميمي، ج ١، ص ٢٠٠.

٣١- اليتيمة الغروية والتحفة النجفية، البراقي، ص ٤٠٥. مشهد الامام، محمد علي التميمي، ج ١، ص ٢٠٠.

- ٣٢- قصة الحاج محمد رشاد مرزوه عبد الرحيم مرزوه، ص ١٧.
- ٣٣- معايشة الحدث في الزمان والمكان.
- ٣٤- معايشة الحدث في الزمان والمكان.
- ٣٥- دليل العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ص. معايشة الحدث في الزمان والمكان.
- ٣٦- دليل العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ص. معايشة الحدث في الزمان والمكان.
- ٣٧- دليل العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ص. معايشة الحدث في الزمان والمكان.
- ٣٨- دليل العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ص. معايشة الحدث في الزمان والمكان.
- ٣٩- دليل العتبة العلوية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ص. معايشة الحدث في الزمان والمكان.
- ١- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ١٩٩٧م، ص ١١٠٤١١٠٥.
- ٢- جوهرة اللغة، ابن دريد، م٢، ص ١٠٨.
- ٣- تاج العروس، الزبيدي، م٦، ص ٢٥١.
- ٤- الغدير، الشيخ الأميني، ج٤، ص ٨٩.
- ٥- العاملي، الصحيح من سيرة الإمام علي، ج٢، ص ١٩٢.
- ٦- الإستيعاب بهامش الإصابة، ابن عبد البر، ج٣، ص ٥٥.
- ٧- النيسابوري، روضة الواعظين: ص ١٣٦ ١٣٥.
- ٨- المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص ٣٥٢.
- ٩- مقاتل الطالبين، الاصفهاني، ص ٤٢.
- ١٠- خصائص الأئمة، الشريف الرضي، ص ٦٣.
- ١١- الطبقات، ابن سعد، ج٣، ص ٣٥.
- ١٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج٣، ص ٩٥.
- ١٣- المسالك والممالك، الاضطخري، ص ٥٨.
- ١٤- موسوعات العتبات المقدسة، جعفر الخليلي، ج٦، ص: ٧٩.
- ١٥- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ١٩٦٥م، ج٩، ص ٢١٩.







أَبُو الْإِبْرَاهِيمِ الْحَرْثِيُّ



العلاقات العامة في فكر امير المؤمنين عليه السلام

فضيلة الشيخ الدكتور
رسول خضرو



تدريسي في جامعة المصطفى العالمية في قم
وجامعة الاديان والمذاهب





الملخص

ان العلاقات العامة من المنظور الاسلامي هي فن تنظيم وتحسين العلاقات الانسانية بين جميع الافراد والهيئات والمؤسسات والطبقات في المجتمع وبين المجتمعات بعضها البعض بغيت تحقيق المحبة والتالف والتماسك والتفاهم بين افراد البشريه وذلك باستخدام وسائل وأجهزه الإعلام الحديث المختلفه والمتنوعه وأساليبه الفنيه الجذابه.

ان الاسلام يدعو الى التواضع وينهي عن التكبر والغرور، كما قال تعالى ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾^(١).

كما يامر الاسلام بالاحسان والانفاق في وجوه البر، في قوله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^(٢). فهذه التعاليم تجعل الجمهور المؤمن بها يمارس العلاقات العامة الاسلاميه بتلقائيه وعفويه من دون تكلف ولا رياء، وبذلك يصبح المجتمع كله صوره مشرقه يسودها الحب والسلام.

يهتم الاسلام في بناء العلاقات العامة بدءا من الاسره والمنزل الى اداب السلوك وافشاء السلام ومساعدته الضعيف الى علاقه الفرد بالمسلمين وغير المسلمين في جميع مجالات الحياه. فهناك تعاليم و احكام تنظم السلوك الفردي والاجتماعي بشكل يرسخ القيم والاخلاق الساميه والحث على التعاون والحب بين الناس بصوره طبيعيه لان الفرد يتربى عليها فتصبح جزء من اخلاقه وشخصيته.

في العلاقات العامة الاسلاميه لا يقتصر نشاطها ومجال عملها على الميادين السياسيه والتجاريه والخدميه. في علاقه المؤسسات من جمهورها مثلا وانما يمتد ليشمل اكثر من ذلك فهو يشمل علاقه الافراد بعضهم البعض وعلاقتهم بالهيئات والمؤسسات و مختلف فئات المجتمع ثم يمتد ليشمل علاقه المجتمعات ببعضها.

تحدث الاسلام عن العلاقات العامة عند ما كان العالم يغرق في الجهل، اذا القينا نظره سريعه فقط على كتاب نهج البلاغه، فسرى الى اى مدى عبر عن العلاقه بين البشر على اساس الدين وغير الدين، عندما نطالع الرساله ٥٣ من نهج البلاغه تدرك عمق الاسلام، اذا كان المجتمع يريد الاصلاح، فعليه أن يتعلم من هذا الكتاب، فقد ذكرت بايجاز فقط

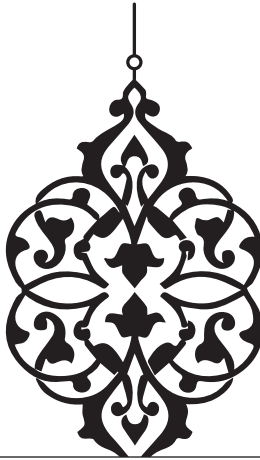
١- سورة لقمان، ١٨

٢- سورة ال عمران، ٩٢





علاقه السلطان و الحاكم بالناس و معامله
الحاكم للموظفين و الشعب.
الحكومـه و المؤسسات، الموظفـين، الناس،
علي عليه السلام.



أَبْوَابُ الْمَعْرِفَةِ



المقدمة

أهمية العلاقات العامة:

- العلاقات العامة: هي المهمة المستمرة والمخططة للإدارة والتي تسعى من خلالها المنشآت باختلاف أنواعها إلى كسب تفاهم وتعاطف وثقة وتأييد الجماهير الداخلية والخارجية والحفاظ على استمراره وذلك بدراسة الرأي العام وقياسه للتأكد من توافقه مع سياسات المنظمة او المنشأة وأوجه نشاطها، وتحقيق المزيد من التعاون الخلاق والأداء الفعال للمصالح المشتركة بين المنظمات وجماهيرها باستخدام الإعلام الشامل المخطط^(١).
- ومن حيث البناء اللفظي لكلمة علاقات عامة (Public Relation) فإن كلمة علاقات Relation تعني عملية الصلات والارتباطات التي تتوفر بين المنظمة والجماهير المتعاملة معها،^(١) أما كلمة عامة Public فتعني كل جماعة أو جمهور أو شريحة من المجتمع تكون المنظمة على علاقة بها مثل جمهور العاملين، أو العملاء، أو الموردين، أو المستهلكين، أو الممولين أو الطلبة أو الهيئات والجهات الحكومية الخاصة الأخرى..... الخ^(١).
- ١- تكمن أهمية العلاقات العامة إجمالاً فيما يلي:
- ١- قيامها بمهمة قياس الرأي العام وإيصال رغبات واحتياجات الجماهير المختلفة للإدارة العليا في المنطقة.
 - ٢- قيامها بدور تهيئة الرأي العام لتقبل تغييرات وأفكار وقرارات جديدة صادرة من القيادات العليا في المنطقة.
 - ٣- ان لها دوراً فعالاً في التوعية بالأهداف التنموية للجهات الحكومية بغية تحقيق فهم الجمهور لها وإيمانه بها وتعاونه مع تلك الجهات في تحقيقها.
 - ٤- انها تقوم بدور الإعلام في نشر المعلومات والحقائق وتوزيعها بما يخدم مصلحة كل من المنظمة والجمهور وتجعل المعلومة التي يبحث عنها الجمهور سهلة وميسرة التداول^(٢).
 - ٥- ان لها دوراً كبيراً في دراسة وبحث

٢- جوده، محفوظ احمد، العلاقات العامة، مفاهيم وممارسات، ٢٠٠٥ ص ١٥

١- البخشونجي حمد عبد الحارث: العلاقات العامة في الدول النامية، ٢٠٠٠، ص ٣٠



تعاملها المستمر مع هذه المنظمة الخدمية.

اهمية العلاقات العامة في المنظمات الحكومية

تقوم مختلف الحكومات على رضا الشعب وتستمد قدرتها على الاستمرارية في ممارسة سلطتها على تأييده ورضاه لذلك تحرس الحكومة الديمقراطية على اقامة علاقات طيبة مع الشعب والحفاظ عليها من خلال مده بمختلف المعلومات والحقائق عما تؤيده له من خدمات مستخدمة في ذلك جميع وسائل الاعلام المتاحة والمعروفة تحت اشراف ادارة العلاقات العامة وفي المقابل ينمو الشعور بالمسؤولية لدى المواطنين وبالتالي الى تحويلهم الى جمهور ايجابي متعاون مع الحكومة^(١).

العلاقات العامة والعلاقات الإنسانية

هنالك اختلاف بين العلاقات العامة والعلاقات الإنسانية، فالعلاقات الإنسانية تركز على العنصر البشري والاعتبارات الإنسانية وتهتم بالتكامل بين الأفراد في محيط العمل بالشكل الذي يدفعهم ويحفزهم الى العمل بإنتاجية وتعاون، مع حصولهم على إشباع لحاجاتهم الطبيعية

١- ابراهيم امام، فن العلاقات العامة والاعلام، ١٩٦٨ ص ٦٠

مشاكل وقضايا المنظمة المتعلقة بشكل مباشر بالجمهور (الداخلية أو الخارجية) والخروج بحلول ومعالجات سليمة منها.

٦- انها تقوم بدور (الاتصال) لخلق التفاهم المصلحي المشترك بين المنظمة والبيئة المحيطة بها والتي تخدم في نطاقها.

اهمية العلاقات العامة في المنظمات الخدمية

تتميز الخدمة عن السلعة في انها منتجات غير ملموسة غير قابلة للنقل والتخزين ويتم شراؤها واستهلاكها في نفس الوقت كل هذه الصفات تجعل من السهل الاستغناء عن الخدمة او استبدالها بخدمات تتجهها منظمات اخرى فاذا ما اهملت شركة طيران مثلا الاهتمام بعملائها وعجزت عن تقديم الخدمات على الوجه المرضي او عدم قيام طائرتها بالإقلاع في مواعيدها المحددة فلا شك ان المسافرين سوف يتوجهون نحو شركات الطيران الاخرى التي تقدم احسن الخدمات بنفس التكلفة بل وربما اقل من هذا يتضح اهمية العلاقات العامة في المنظمات الخدمية والتي تقوم ببذل الجهود لإقامة علاقات جيدة وتكوين سمعة طيبة امام جماهير المنظمة المتصلة بها لجذب ودعم

والعلمية نحو تحسين الأداء ومن ثم فإن القيم الاخلاقية تؤثر في السلوك وان التحدي الكبير لمؤسساتنا لا يكمن فقط في القدرة على استيعاب المعرفة بقدر ما يكمن في القدرة على صياغة قيم اخلاقية حضارية ومؤسسية جديدة في اطار تراث وثقافة المجتمع وشرائه السماوية ودراسة الواقع ومعرفة القيم والمثل الاخلاقية الايجابية التي تقود الى التقدم ومواكبة حركة التطور^(١).

فاليوم نجد ان هنالك مصطلحات كثيرة تتمثل في آداب وقواعد المهنة واخلاقيات الوظيفة واخلاقيات الأعمال وتتسابق المؤسسات من أجل اصدار أعمال تتضمن اخلاقيات العمل من اجل كسب ثقة جماهيرها، بعد أن كانت الكفاءة هي مركز الاهتمام الوحيد، والربح هو الهدف الاساسي والمسؤولية الوحيدة للأعمال، واصبحت الاخلاقيات تحظى بالاهتمام وتعاد صياغة الأهداف والسياسات بطريقة تبرز المسؤولية الاخلاقية للمؤسسات ويبدو أن الاهتمام بدأ يتسع ليغطي المجالات المختلفة الى الجانب الاكاديمي نجد أن الدراسات والكتب التي تم تأليفها في هذا المجال لم تكن كافية وتعتبر فترة السبعينيات ١- عبود نجم، اخلاقيات ومسؤوليات الأعمال في شركات الأعمال، ٢٠٠٦م، ص ٢٣.

والنفسية. وعادة ما تهتم العلاقات العامة بهذا الجانب كجزء هان من نشاطاتها وخاصة في تعاملها مع أفراد الجمهور الداخلي للمنظمة من عمال وموظفين وخلافه.

ويمكن تعريف العلاقات الإنسانية بأنها (تنمية مجهود جماعي منتج للمنظمة أو للمشروع ومنتج للأفراد في الوقت نفسه).

ومما سبق يمكن استخلاص ثلاثة أهداف رئيسية للعلاقات الإنسانية وهي أن العلاقات الإنسانية:

- ١- تعمل على تنمية روح التعاون بين الأفراد والمجموعات في محيط العمل.
- ٢- تحفز الأفراد والمجموعات على الإنتاج.
- ٣- تمكن الأفراد من إشباع حاجاتهم الاقتصادية والنفسية والاجتماعية.

مبادئ العلاقات العامة الاسلامية

تُعتبر العلاقات العامة من اساسيات النجاح لانها تعكس ثقة المؤسسة بموظفيها وأجهزتها وكذلك ثقة المجتمع، وان كفاءة الانسان ترتبط وتتأثر بأيمانه العميق وقناعاته بالقيم الاصيلية والمثل الاخلاقية والايمانية العالية التي تدفعه الى تنمية معرفه العلمية ومهارته السلوكية



ولاسيما العمل على تحقيق أعلى درجات الالتزام بأخلاقيات وادبيات المهنة لذلك كان من الضروري تحديد ميثاق أخلاقي يضم مجموعة من القوانين تنظم أعمال نشاطات العاملين في مجال العلاقات العامة الاسلامية كما هو الحال بالنسبة للمهن الاخرى كالمحامين والصحفيين وغيرهم.

وقد وضعت العديد من المؤسسات والاتحادات المحلية والاقليمية والدولية قوانين تلزم محترفي العلاقات العامة سواء كانوا مهنيين أو مستشارين بممارسة رشيدة وملتزمة اجتماعيا واسلاميا ومن ابرز هذه القوانين أو ماتطلق عليها دساتير وهو دستور الاتحاد الدولي للعلاقات العامة ١٩٦٥م (لأداب مهنة العلاقات العامة). وأن أي انتهاك لهذه الأخلاقيات أو القانون من طرف العاملين فيها يعتبر خطأ جسيما يستوجب العقاب وبناء عليه فإن كل ممارس لمهنة العلاقات العامة عليه ان يلتزم بالقوانين والأخلاقيات المحددة في هذا الدستور.

ميثاق العلاقات العامة تمت كتابته وتدوينه ليكون بمثابة المرشد الدائم، وكانت جمعية العلاقات العامة الامريكية أول من وضعت قائمة بعدد من المعايير المهنية لممارسة العلاقات

بداية الاهتمام الفعلي بالاخلاقيات في العمل كنتيجة لظهور العديد من القضايا المتعلقة بالرشوة واستغلال النفوذ وغيرها وفي المقابل نجد أن ديننا الاسلامي منذ ظهوره أخذ يحث على الالتزام بأخلاقيات العمل والمحافظة عليها، والثناء على الاخلاق الحميدة والصدق، وذم الاخلاق غير الحميدة.

وجاء الاهتمام بأخلاقيات العمل والضوابط والمعايير الاخلاقية والبرامج التدريبية التي تناولت القضايا الأخلاقية والاسلامية لأن سوء التصرف الاخلاقي من قبل الافراد والإدارة يضر بالمصلحة العامة التي من أجلها أنشئت المؤسسات، لذلك لا بد أن يكون الاهتمام بموضوع اخلاقيات العمل يرتبط بموضوع اخلاقيات ومبادئ العلاقات العامة الاسلامية وقيم العمل في المؤسسات العامة والخاصة^(١).

أخلاقيات العلاقات العامة في الاسلام

هنالك قيم ترتكز عليها العلاقات العامة وتنظم أنشطة وبرامج العلاقات العامة وتعتبر أسس اخلاقية اسلامية تستند عليها العلاقات العامة في ممارسة انشطتها كالصدق والامانة وحفظ الكرامة

١- عبود نجم، نفس المصدر ٢٠٠٦م، ص ٣٠.



العامة، وبعد ميثاق معهد العلاقات العامة البريطاني لممارسة العلاقات العامة الذي تمت مراجعته ١٩٩٨ م من أفضل وأدق وأشمل وأحدث المواثيق التي وضعت لضبط مهنة العلاقات العامة، لذلك كانت الممارسات المتعلقة بأداء العلاقات العامة بالنسبة للعضو^(١).

أن يكون للعضو عمل إيجابي نحو المحافظة على أفضل المعايير في العلاقات العامة والتعامل بنزاهة وصدق وأمانة مع صاحب العمل والزملاء المسؤولين والموردين والوسطاء والمهنة الأخرى ووسائل الاتصال.

وأن يكون مُدركاً ومتفهماً و موافقاً على الالتزام بميثاق مهنة وشرف العلاقات العامة بالممارسة الجيدة لا نشطة العلاقات العامة والاعلام مع وضع الاعتبار مصالح الجمهور واحترام الحقيقة وعدم نشر الأكاذيب أو المعلومات المضللة عمداً أو التحقيق الجيد من المعلومات قبل نشرها الاهتمام - الاهتمام بمصالح المؤسسة التي يعمل بها واحترام المواثيق الخاصة بالمهنة الأخرى أو المؤسسات الأخرى عند الاشتراك في العمل معها ولا سيما الحفاظ على اسرار صاحب العمل

١- على برغوث، العلاقات العامة اسس نظريه ومفاهيم عصره، معهد البحوث و الدراسات العربي، ٢٠٠٧م، ص ٤٠.

أو العميل السابق أو الحالي وعدم كشف الاسرار والخصوصية من أجل الاضرار بالعميل أو صاحب العمل.

عدم إساءة استخدام المعلومات الخاصة بأعمال العميل أو صاحب العمل من أجل الحصول على مكاسب مادية، ان يكون استخدام المعلومات الخاصة بالمؤسسة من أجل تحقيق مكاسب وتقديم خدمات وامكانيات بمنتهى الحرية الى أي عميل أو صاحب عمل وعدم تجريح سمعة المؤسسة والأداء المهني للزملاء^(٢).

لذلك يرى محمد جودت ناصر ان العلاقات العامة تعتمد على الصدق

والأمانة وكشف الحقائق للجمهور وذلك دائما حتى في ظروف الازمات كما يجب كشف الحقائق وعدم اخفاءها أمام الجمهور أو الصحافة أو وسائل الاتصال الاخرى فإخفاء الحقائق يؤدي الى: انتشار الشائعات التي كثيرا ماتكون أكثر تشويها لسمعة المؤسسة من أي شيء آخر، ومما ساعد على تطور موضوع الاخلاقيات وجعل منها قضية لها أهميتها ما يلي:

ظهور حركات الدفاع عن المستهلك في العالم والتي بدأت ظهورها في الولايات المتحدة الامريكية حيث استطاعت القيام ٢- الصرايرة، محمد نجيب، العلاقات العامة، الاسس و المبادئ، ٢٠٠١، ص ٥٦



عن اشباع حاجاته البيولوجية والنفسية بنفس أما الإحتياجات الاجتماعية فلا تقوم أساسا بدون وجود الانسان مع آخرين من البشر، وهكذا تنشأ علاقات مختلفة مع غيره من الناس، هو في أشد الحاجة اليها لإشباع إحتياجاته المختلفة المتجددة^(١).

إن الانسان كائن إجتماعي متفرد ومتغير من وقت لآخر ورغم أنه يتشابه مع غيره من بني البشر إلا أنه توجد اختلافات في جميع الاتصالات مع بني الانسان فالإنسان كائن إجتماعي يتعامل مع غيره من المواقف الاجتماعية، بمعنى أنه يؤثر ويتأثر بالمواقف الاجتماعية، ولهذا فإن إنعدام الاتصال المباشر بين الطرفين أو توقفه يؤدي الى إنعدام عنصر الأيجابية الذي يعتبر أساس ديناميكية العلاقات العامة كذلك ردُّ الفعل أو الاستجابة تجاه العملاء يؤثر تأثيرا عميقا في برامج المؤسسة وفي سياستها بل في أسلوب العمل فيها لذلك الانسان يتميز بالعقل والتعقل، ومعنى هذا أن الاقتناع يرتفع به الى مستوى الانسان بينما تهبط به السيطرة والضغط والارهاب الى مستوى الآلة مما يقتضي احترام أدمية الانسان ومحاوله القناعة حتى يوضع الانسان في

١- صلاح عبد الرزاق، مقدمه في العلاقات العامة والاعلام الاسلامي، ٢٠١٠ ص ١٦٤

بدور أساسي في هذا المجال والضغط من أجل سن التشريعات الاخلاقية بهدف حماية هؤلاء المستهلكين.

ظهور حركات حماية البيئة من التلوث أو غيره وعندما شعرت الشركات والمؤسسات بأن هذه الانتقادات قد أدت الى تشويه صورتها امام الجمهور اضطرت الى أن تحاول بقدر الامكان التخفيف من الآثار السلبية بتركيب أجهزة معينة في مصانعها أو القيام ببعض الأعمال والخدمات للجماهير انطلاقا من أيمانها بالمسؤولية الاجتماعية تجاه هذه الجماهير.

ارتفاع مستوى التعليم والثقافة حيث ان كافة الاحصائيات تدل على ارتفاع مستوى التعليم والثقافة في العالم، وكما ازداد المستوى التعليمي والثقافي لدى الجمهور كلما ازدادت مطالباته وتوقعاته بإتباع الشركات للأسس الأخلاقية وفق القيم والمبادئ الاسلامية في تعاملها مع الجماهير وان فلسفة العلاقات العامة تستند على مجموعة من المبادئ والحقائق الاسلامية وهي:

ترتكز فلسفة العلاقات العامة على حقيقة علمية مفادها أن الانسان كائن اجتماعي بطبيعته ولأيمكن أن يعيش بمعزل عن الآخرين وقد اثبتت الكثير من البحوث العلمية ان الإنسان يعجز



مكانته الحقيقية فالعلاقات العامة تركز على الجانب الانساني والاسلامي سواء كان عضوا في جماعة أو مواطنا في المجتمع ككل فمن غير المنطقي أن تبدأ المؤسسة أو المنشأة بتحسين علاقاتها مع الجمهور الخارجي وعلاقتها مع جمهورها الداخلي على غير ما يارم، فيجب ألا خلق روح الجماعة والتعاون بين افراد المؤسسة على اختلاف مستوياتهم الإدارية، ثم بعد ذلك تبدأ في تنمية وتوطيد العلاقات الحسنة بين المؤسسة وجمهورها الخارجي، ويتحقق ذلك بتوفير البرامج الاجتماعية والترفيهية المناسبة لهم، وتحسين ظروف العمل للعاملين، والسعي لتدريبهم وإشراكهم في الإدارة وإتاحة الفرص أمامهم للخلق والابتكار فالعلاقات العامة تقوم على ركائز اجتماعية اخلاقية وفق المعايير الاسلامية لذلك يجب أن تضع كل.

هيئة أو مؤسسة أهدافها بحيث تتوافق مع ظروف المجتمع وأهدافه العامة واحترام رأي الجماهير، وتقوم العلاقات العامة بتدريب جماهير المؤسسة الداخلية والخارجية على تحمل المسؤولية الاجتماعية لذلك نجد العلاقات العامة تستند الى مبدأ التنظيم، والتنظيم هو السير وفق نظام معين، فالهيئة أو المؤسسة يجب عليها

أن تتعاون مع المؤسسات الأخرى ومن هنا نشأت الحاجة الى تنظيم الاتصال بين المؤسسات للاتفاق على أسس التعاون بينهما ولا سيما في برامج العلاقات العامة، واتباع طريقة البحث العلمي في حل أي مشكلة من مشكلاتها، فطريقة البحث العلمي مبنية على المنطق وتحاول الوصول الى مبادئ عامة عن طريق التحليل والتدقيق البعيد عن كل تحيز، وتبدأ طريقة البحث العلمي بتعريف المشكلة تعريفا دقيقا فتمتد عرفنا المشكلة حددنا سبل جمع البيانات في حلها ويلى تعريف المشكلة تحديد الهدف من البحث الذي سنقوم به ثم تحديد محور البحث من حيث المكان والزمان ثم جمع المعلومات المتعلقة بالمشكلة^(١). وهذه إما أن تكون في حيازة المؤسسة، أو من الممكن الحصول عليها من هيئات أخرى حكومية وغير حكومية ثم طريقة الاستقصاء الميداني والخطوط الأخيرة من تبويب النتائج واختيار حيزها ثم تحليلها واتخاذ قرار بشأنها، ياتباع طريقة البحث العلمي أعلاه تتمكن من الوصول الى قرار سليم مبنى على معطيات الواقع.

ويقول الرسول محمد ﷺ (ما من شئ

١- عبود نجم، اخلاقيات و مسؤوليات الاعمال فى شركات الاعمال ط الاول ٢٠٠٦م، ص ٤٠.



في أكمل صورها فقد كان صلوات الله عليه دأب الاتصال بالناس يجتمع بهم في المسجد النبوي الشريف بعد الصلوات فيسمع أخبارهم ويتعرف على مطالبهم وحاجاتهم وآرائهم ويعمل على إيجاد الحلول لهم، ففي سيرته عليه السلام صورة مثلى للعلاقات العامة، كما يقوم عليه بالتعرف على قضايا الجماهير وكيفية حلها، ومن صور العلاقات العامة التي مارسها الرسول عليه السلام ما يلي: (٤)

حسن استقبال الرسول عليه السلام للوفود:

فقد كان الرسول عليه السلام يحسن استقبال الوفود التي وفد إليه بالمدينة المنورة وترغب في اعتناق الإسلام على يديه وكان يبعث معهم القراء والفقهاء ليقوموا بشرح تعاليم الدين الجديد، وتقوية الروابط بين أفراد هذه القبائل كما كان الرسول عليه السلام يهتم بضيوفه إهتماماً كبيراً.

وظائف العلاقات العامة في المؤسسات

لا شك نجد أن وظائف العلاقات العامة الحكومية تتجاوز حدود تقديم المعلومات للمواطنين والاستشارات للمسؤولين الحكوميين، ويمكن رصد الوظائف التالية

٤- الحاج، ٢٠٠٢م، ص ٩٨.

أثقل في الميزان من حسن الخلق) (١)، وفي نفس الوقت يحذر الإسلام من إنتشار العوامل التي تؤدي إلى فساد العلاقات الإنسانية بين أفراد المجتمع وجماعته المتعددة.

ذهب الدكتور عبد الوهاب كحيل الى أن تعريف العلاقات العامة في الإسلام هو (فن تنظيم وتحسين العلاقات الإنسانية بين جميع الأفراد والهيئات والمؤسسات والطبقات في المجتمع وبين المجتمعات وبعضها بغية تحقيق المحبة والتآلف والتماسك والتفاهم ليكون الناس جميعاً جسداً واحداً وروحاً واحدة وذلك باستخدام وسائل وأجهزة وقنوات الإعلام المختلفة) (٢)، كما تم تعريفها بأنها الجهود المشروعة التي يبذلها الأفراد والمؤسسات في صلاتهم بالجهود مع كافة وسائل الإعلام والاتصال المتاحة وتقوم بعدة وظائف إستشارية وإعلامية واتصالية بهدف تحقيق التفاهم المتبادل بين المؤسسة وجماهيرها المختلفة. (٣) والمتابع لمسيرة الرسول عليه السلام يدرك انه قد مارس الاتصال بالناس وأقام العلاقات العامة

- ١- ميزان الحكمة، محمد الريشيري، ج ١، ص ٨٠٠.
- ٢- مصطفى فهمي، محمد علي القطان، علم النفس الاجتماعي، ١٩٧٧، ص ١٠٥.
- ٣- جابر محمد الطمأوي، العلاقات العامة و تطبيقاتها العلمية ص ٢٣.

ومبرراتها لإنتاج سياسة معينة أو لإتخاذ قرار معين بما في ذلك البحث في الأسباب والتتائج المتوقعة ويشمل ذلك سياسات وقرارات الحكومة على الصعيدين الوطني والدولي^(١).

الوظيفة الإقناعية:

تهدف هذه الوظيفة إلى إقناع الرأي العام بضرورة اتخاذ اجراءات معينة أو اعتماد سياسات محددة أو اللجوء إلى قرارات ذات طبيعة خاصة فحين تقوم الحكومة بتبني سياسات او قرارات مصيرية يجري بها إقناع مواطنيها بهذه السياسات والقرارات وتوضح موقفها وتقديم بارهينها وأدلتها التي تدعم ضرورة ذلك فالمواطن لا يمسأل إلى تقبل القرارات المفاجئة خاصة إن كانت تؤثر في مجريات حياته ومعيشته اليومية التمهيد على إتخاذ مثل هذه القرارات يساعد في تجنب عنصر الصدمة الذي قد تحدثه مثل هذه القرارات يساعد في تجنب عنصر الصدمة الذي قد تحدثه مثل هذه القرار لدى الجمهور، والتي قد تقود إلى حالة من الاضطراب والفوضى.

الوظيفة التقييمية:

وتضم هذه الوظيفة النشاطات المتصلة بإعداد التقارير المرجعية، والتحليلات ١-جوده، محفوظ احمد، العلاقات العامة، مفاهيم وممارسات، ٢٠٠٥ ص ٥٢.

التي تقوم بها أجهزة العلاقات العامة في المؤسسات الحكومية.

الوظيفة الإعلامية المعلوماتية:

وتهدف هذه الوظيفة إلى إعلام المواطنين بالقوانين والانظمة الحكيمة والمشاريع التي تنفذها أو تسعى لتنفيذها، والنشاطات الروتينية التي يقوم بها المسؤولون الحكوميون إلى جانب قرارات الحكومة في المجالات المختلفة ومن الجانب الآخر واعلام صانعي السياسات والقرارات بما تتوفر من معلومات حول ردود الأفعال السريعة للرأي العام ووسائل الإتصال حول نشاطات الحكومة وسياساتها وقراراتها ومشاريعها المختلفة وتتركز هذه الوظيفة على الأخبار وجمع المعلومات الأولية عن مجريات الأحداث اليومية والأحداث الروتينية، ومن خلال استطلاعات الرأي العام السريعة التي تبحث في تحديد اتجاهات الجمهور من القضايا المختلفة إلى جانب متابعة ما ينشر أو يبحث عبر وسائل الإتصال المختلفة.

الوظيفة التفسيرية:

وتذهب هذه الوظيفة إلى أبعد من عملية الأخبار وجمع المعلومات فهي تقدم التفسيرات للسياسات والقرارات المختلفة أي بمعنى تقديم رؤية الحكومة



الإعلامية والصحفية وأسماء العاملين فيها ويتوقف دور أجهزة العلاقات العامة في مجال التوثيق على المجال الذي تخدمه بالإضافة إلى مستواه فالأجهزة الوطنية تخدم الحكومة بكافة مؤسساتها، أما الأجهزة المؤسسية فتخدم القطاع الذي تعمل فيه.

الوظيفة التسهيلية:

ترتكز الوظيفة على تقديم الخدمات وتنظيمها مثل استقبال الوفود الرسمية ومارفقتها وتسهيل اجراءات إقامتها في البلد وكذلك تسهيل مهمات الصحفيين والإعلاميين وتنظيم الاجتماعات والندوات والمؤتمرات، وتعمل على تهيئة الاجواء المناسبة لها وتنظيم لقاءات الصحفيين والإعلاميين بمسؤولي الحكومة، وتسهيل مهمات إدارة المؤسسة التي ينتمي لها جهاز العلاقات العامة^(١).

العلاقات العامة في فكر الإمام علي عليه السلام

في عهده عليه السلام لملك الأشتر، تناول الامام علي بن أبي طالب عليه السلام مجموعة من المبادئ والأسس ذات الصلة بالإدارة والعلاقات

١- جوده، محفوظ احمد، العلاقات العامة، مفاهيم وممارسات، ص ٥٤.

والدراسات التي تبحث بعمق في نتائج السياسات والخطط الحكومية الحالية، والظواهرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل المجتمع وقياس اتجاهات الراي العام حولها وتعتبر هذه الوظيفة من أهم الوظائف التي تقوم بها العلاقات العامة نظرا لأهميتها للمخططين في مجال السياسات العامة، حيث توفر لهم معرفة مسبقة بإحتياجات المواطنين وتطلعاتهم.

وتستند هذه الوظيفة لدارسات وبحوث الراي العام السريعة، والتي تسعى لتوفير معلومات مفيدة حول اتجاهات الراي العام في إطارها العام، في حين تقدم دراسات وبحوث الراي العام معلومات حول اتجاهات الراي العام وذلك حيث عمقها واتساعها وشدتها إلى جانب الأسباب والدوافع التي تقف واره تشكيلا.

الوظيفة التثقيفية:

وتشمل هذه الوظيفة حفظ وتصنيف الوثائق الرسمية، والقوانين والقرارات الحكومية والخطب الرسمية والتصريحات التي تتعلق بمواقف الحكومية محليا ودوليا ومواقف الحكومة من الاتفاقيات الدولية إلى جانب القوانين الخاصة في مجال الاتصال والاحتفاظ بقوائم المؤسسات



العامة، التي تمثل نبوغاً مبكراً لهذه العلوم والفنون، فبالإضافة إلى الجوانب الفنية والإدارية، يضفي الإمام ﷺ صفة أخلاقية إسلامية تسمو بالإنسان سواء كان فرداً أو مجتمعاً، مسلماً أو غير مسلم، حاكماً أو محكوماً، موظفاً أو مراجعاً، قاضياً أو منهجاً، وهكذا

اختيار الموظفين الإداريين

يُبين الإمام ﷺ أهم الصفات اللازمة توافرها فيمن يتولى منصباً حكومياً، ثم يتناول كيفية اختيارهم من قبل الحاكم ومراقبته أداءهم لأعمالهم ومدى التزامهم بالتعليمات ثم الحذر من تأثيرهم عليه فيقول، ثم انظر في أمور عمالك (أي شؤون موظفيك والذين يتولون مسؤوليات أمام الناس) فاستعملهم اختباراً (أي من خلال امتحان لعلمهم وخبرتهم وإدارتهم وصدقهم ونزاهتهم) ولا تولهم محابة وأثرة (أي لا يكون أمر تعيينهم في وظائفهم نابعا من محابة فلان أو صديق أو قرابة، أو تأثير عشيرة أو شفاعة قبيلة، بل العلم والكفاءة والنزاهة والخبرة هي الأساس في ذلك. وإن لا يولهم انطلاقا من الأثرة، أي الاستئثار بالمنصب، من دون الآخرين المستحقين له، فهذا من الأنانية).

فأما الجور أو الظلم فهو منع المستحق وإعطاء غير المستحق سواء وظيفة أو عملاً أو فرصة، وأما الخيانة فلأن الأمانة تقتضي تقليد الوظائف والمسؤوليات العامة للأكفاء، ومن لم يعتمد هذه المعايير فقد خان الأمانة التي أعطيت له وتوخ منهم أهل التجربة والحياء (لأن التجربة هي الأساس لتقييم كفاءة الموظف في إتقانه عمله وأدائه واجبه الذي يُعهد إليه. كما إنها مقياس لسعة علمه واضطلاعه بالوظيفة، ومعرفته بقواعد العمل وشؤونه. ولما كانت التجربة وحدها غير كافية، فقد أشار ﷺ إلى الحياء الذي هو أساس المروءة، لقول النبي ﷺ: لا يأتي الحياء إلا بخير^(١). وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: من لم يكن له حياء فلا دين له، ومن لم يكن له حياء في الدنيا لم يدخل الجنة^(٢)، فالحياء الذي يجب أن يتصف به الموظف الذي هو أساس المروءة، والاعتدال، وإلا ينقلب إما إلى الجبن والذلة وضياع الكرامة، وهذا يؤدي إلى تفريطه بحقوق الناس ومصالحهم، أو يقل حياؤه فيصير وقحا مستهترا، مما يؤدي إلى غلظة المعاملة وخشونة في الطباع فيفر الناس منه، وبالتالي ينفرون من الدائرة والمؤسسة التي يعمل فيها، ليتحول إلى

١- الديباج على مسلم، جلال الدين السيوطي، ج ١، ص ٥٣.
٢- مكارم الاخلاق، ابن أبي الدنيا، ص ٨٧.



توفير ما يحتاجه الموظف كي لا يضطر إلى انتهاج أساليب ملتوية أو محرمة كالرشوة والسرقة والاختلاس والتزوير وغيرها من أجل كسب المال الحرام

وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك (فالمحاسبة مطالبهم في حال مخالفة الأوامر والقوانين والتعليمات، وسيكون العطاء الجزيل حجة عليهم إن تحججوا بأنهم محتاجون أو فقراء. فليس بعد ذلك سوى الخيانة التي يعاقبون عليها).

ثم تفقد أعمالهم (فالمتابعة في أدائهم تجعلهم يشعرون بأنهم مراقبون بشكل مستمر أثناء قيامهم بمسؤولياتهم، وكيفية تعاملهم مع الناس وإنجاز أعمالهم).

وابعث العيون من أهل الصدق والوفاء عليهم (يوصي عليه السلام باختبار هؤلاء المراقبين أو المفتشين ممن يحمل مواصفات الصلاح وأهلها الصدق، لأن تقاريرهم سيؤخذ بها على اعتبار أنها جاءت من مصادر موثوق بها، ويجب أن لا تتضمن افتراء، أو كذباً أو كيدا ضد من يكتب عنهم، والصفة الثانية هي الوفاء، أي ملتزمين بما يطلب منهم ويمارسون عملهم بإخلاص وحرص على الدائرة وكذاك على الناس، وحتى على الموظفين أنفسهم).

فإن تعاهدك في السر لأموالهم قدوة

استياء وغضب على الحاكم الذي عينه .
اخيارهم من أهل البيوتات الصالحة والقدم في الإسلام المتقدمة (أي اختيار الاصلح والأكفاء من العائلات المعروفة بماضيها وتاريخها فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصح أعراضاً، وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً) وهؤلاء بسبب التربية التي تلقوها في بيئة صالحة والخبرة التي اكتسبوها سنجعلهم مؤهلين أكثر من غيرهم التولي مناصب رفيعة،

لأنهم سيكونون أحرص على سمعة عائلاتهم و متقدين بالأخلاق

واجتناب الطمع. كما إنهم احسنوا بعد نظر في تتبع واستنتاج عواقب الأمور).

ثم أسبغ عليهم الأرزاق (فأمر بإجزال رواتبهم بحيث يكونون مكتفين مادياً، وذلك لثلاثة أسباب)

فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم (أي لسد حاجتهم و كفاية مستواهم المعاشي بشكل لائق يحفظ كرامتهم ومروءتهم أمام الناس، فالجائع والمحتاج لا أمانة له).

وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم (لأن اكتفاء هم المادي سيعدهم عن الطمع فيما بين أيديهم من أموال، فيجب



لهم على استعمال الأمانة، والرفق بالرعية، وتحفظ من الأعوان

(فالمراقبة والتفتيش غير العلني للموظفين سواء في مبنى الدائرة أو الوزارة أو في المناطق البعيدة، يجعلهم أكثر حرصاً على أداء واجباتهم لأنهم يعلمون بأن هناك من ينقل أخبارهم وأخطاءهم إلى المدير أو رئيس الدائرة أو المؤسسة. كما سيجعلهم أكثر اهتماماً بأمور الناس والمراجعين لأنهم يعلمون بأن سلوكهم ومعاملتهم ستصل إلى المركز بسرعة).

فإن أحدا منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك، اكتفيت بذلك شاهداً (أي إذا وصلتك أخبار مؤكدة عن خرق للقانون أو التعليمات أو سوء تصرف، وتواترت هذه الأخبار من عدة مصادر، وكلها تؤكد وقوع الخطأ، فليكن هذا كافياً وشاهداً على من ارتكبه)^(١).

فبُسِطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة (وهذا جزاء كل من يخون الأمانة وشرف المهنة، إذ يستحق عواقب عمله من عزله ومعاقبته على ما اقترفت يده،

وأن يوصف بالخيانة بين جميع الموظفين والمواطنين كي يعرفوا مدى حزم المسؤول وعدم تهاونه تجاه من يخطئ، وليكون عبرة لغيره كي لا يفكر بمخالفة القانون والتعليمات

علاقة الموظف بالجمهور:

يواصل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الحفر في الشخصية الإنسانية والمؤثرات والخوافز التي تسيطر على سلوكها و انفعالاتها، وبالتالي سلوكها ومواقفها تجاه القضايا العامة، إذ يضع عليه أسساً للعلاقات العامة بين الموظف والجمهور حيث يتناول مجموعة من الجوانب الهامة كالحب والثقة ومراعاة العادات والتقاليد.

واعلم أنه ليس شيء بادعى إلى حسن ظن راع يرعيتيه من احسانه إليهم، وتخفيفه المؤنات عليهم، وترك استكراهه إياهم على ما ليس قبلهم (فحسن المعاملة من أولى مبادئ العلاقات العامة التي ترشح الثقة بينه وبين المؤسسة والعاملين فيها. وإن عدم إيقاظهم المراجعات أو ما يرهقهم من إجراءات، وفرض تعليمات ثقيلة عليهم، كل ذلك يشكل مدعاة لبناء جسور حسن الظن من قبل الناس بالموظف والمؤسسة التي يعمل فيها).

فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به

١ - صلاح عبد الرزاق، مقدمه في العلاقات العامة و الاعلام الاسلامي، ٢٠١٠،



مجموعة من العادات والأعراف والتقاليد العربية المتوارثة من أجدادهم. فإذا كان عرفاً جيداً ونافعاً للناس وللمجتمع وصلاح به أمرهم وألفته قلوبهم أو نفوسهم فلا داعي لتغييره، لأن الأمة عادة تميل إلى المحافظة على التقاليد، ولا تقبل التغيير بسرعة).

ولا تحدث سنة تضر بشيء من ماضي تلك السنن، فيكون عليه السلام الأجر لمن سنّها، والوزر عليك بما نقضت منها (تغيير العادات قسراً أو بلا مبرر خاصة إذا لم تكن مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية، بل ربما تتضمن أمراً بمعروف أو أخلاق إسلامية أو إنسانية. وانطلاقاً من الحديث الشريف من سن سنة صالحة فله أجرها وأجر من عمل بها. ومن سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها، إلى يوم القيامة، فإن قيام المسؤول بتغيير عادات طيبة يستوجب تحميله إثم إلغائها).

أهمية الرأي العام:

بين الامام علي عليه السلام أهمية واضحة لدور الرأي العام في ادارة شؤون الدولة وتسيير أمور المجتمع، إذ يجعل رضا المواطنين هدفا تهوى أمامه نتائج أخرى كاستيلاء طبقة من الوجهاء أو الموظفين أو حاشية

حسن الظن برعيتك، وإن حسن الظن يقطع عنك نصباً طويلاً

(فالغاية في العلاقات العامة تعزيز الثقة بين الجمهور والمؤسسة. فإن بلغت إلى مستوى حسن الظن سيوفر الكثير من الجهود والصعوبات والمشاكل التي أولها عليه السلام الظن وسوء الفهم، الأمر الذي يعقد العلاقة بين الطرفين، وربما يكلف المؤسسة خسائر مادية أو معنوية لا يمكن تعويضها بسهولة)..

وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده (فالناس تولي ثقتها لمن يكون تعامله معها أكثر إنسانية واهتماماً وثقة. فحسن الظن يأتي من خلال العلاقات الجيدة والاعتقاد بأن المؤسسة حريصة على الناس وعلى مصالحهم، وتكرار هذا الشعور يؤدي إلى تعزيز الثقة أو حسن الظن. مما يقود إلى احترام المؤسسة وبياناتها وخدماتها أو العكس صحي أيضاً، فكلما ساءت العلاقة بين الجمهور والمؤسسة، أدى ذلك إلى عدم التفاعل مع نشاطاتها وتصريحات رؤساءها).

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت أيها الألفة، وصلحت عليها الرعية (فلكل مجتمع



غنى عنه الذي يحسب لرأيه وموقفه في كل الأحوال.

الحاكم ألدولة تهدف بالأساس إلى خدمة الناس ورعاية حقوقهم ومصالحهم

وإن ظنت الرعية بك حيفاً، فأصحر لهم بعذرک، واعدل عنک ظنونهم بإصهارک، فإن في ذلك رياضة منك لنفسک ورفقاً برعينک واعذاراً تبلغ بها حاجتک من تقويمهم على الحق. إن أصل العلاقة بين المسؤول أو المؤسسة والجمهور هو حسن الظن والثقة. فإن عملت أزمة أو مشكلة أو حدث أدى إلى زعزعة هذه الثقة و شعور الجمهور بالكذب أو الخيانة أو الظلم، فإن أول الخطوات الصحيحة في مثل هذه الحالات تبدأ بمكاشفة الجمهور عما حدث. إن مصارحة الجمهور هي السبيل الأفضل لشرح الموقف وعرض مبرراته وتحمل مسؤوليته، ومشاركة الناس فيه من خلال عرض جميع المعلومات الصحيحة وتطور الوضع. ثم يأتي بعد ذلك اتخاذ الخطوات العملية من خلال معاقبة المتسبب، وتعويض المتضرر ودراسة الموقف بكل جدية وحكمة. إن ذلك سيوحي للجمهور بأن المؤسسة جديرة بالثقة، وأنها تحملت نتائج أعمال موظفيها مهما كانت، وكانت على قدر عال من الحرص على المواطنين

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمّها في العدل، وأجمعها لرضا الرعية فاختيار أوسط الأمور التي تقع كلها في دائرة الحق يكون مدعاة لنشر العدل على عموم المواطنين. وأن يحظى هذا الاختيار بتأييد غالبية المجتمع لأنهم الأساس في تشكيل الرأي العام، فإن رضاهم بقرار المسؤول سيؤدي إلى تطبيقه بيسر والالتزام به من قبل الجميع)

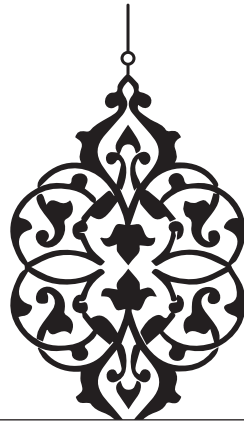
فإن سخط العامة يُجحف برضا الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضي العامة... وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء، العامة للأمة (فالمسؤول يحرص على الاجتهاد في إرضاء عموم الشعب، لأنهم أساس المجتمع وأكثريته وقوامه. وإذا ما غضب الجمهور على المؤسسة أو المسؤول فيؤدي ذلك إلى عدم تجاوب الشعب مع قراراتها أو التفاعل مع نشاطاتها، وقد يقود ذلك إلى كثرة الشكوى ضد المؤسسة أو المسؤول ثم إغلاقها أو عزله. ويجب مراعاة الرأي العام في كل الأحوال حتى لو أدى ذلك إلى سخط فئة صغيرة سواء كانت من حاشية المسؤول أو ممن تضرروا بقرارات المؤسسة لأن لا بديل عن الجمهور العريض ولا



المصادر:

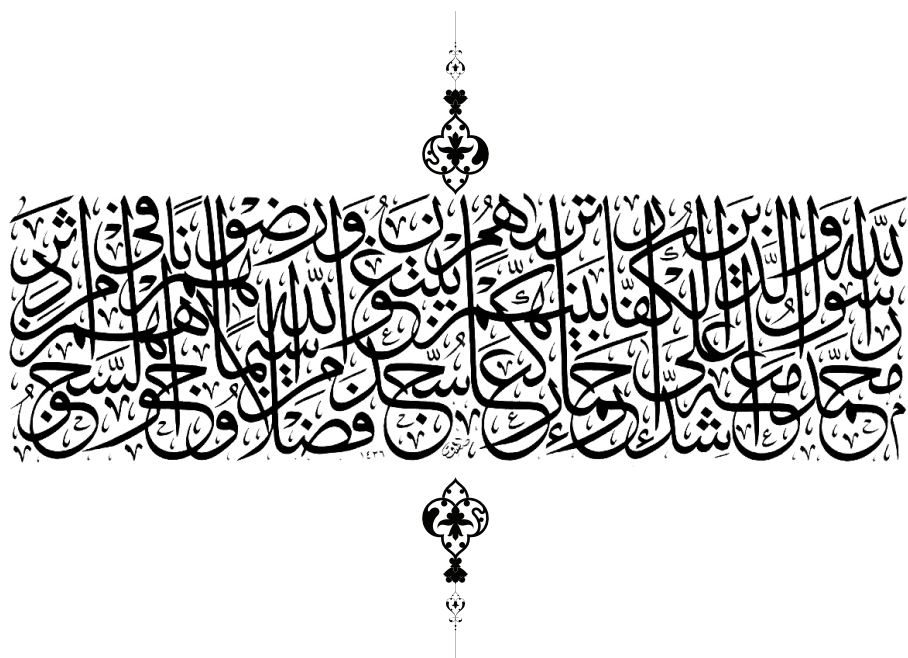
القرآن الكريم

- ١- نهج البلاغة، رساله ٥٣
- ٢- ابراهيم امام، فن العلاقات العامة و الاعلام، ١٩٦٨ ص ٦٠.
- ٣- ابن ابي الحديد، عز الدين، شرح نهج البلاغة، ١٩٩٥، بيروت، موسسه الاعلمى.
- ٤- جابر محمد الطمأوي، العلاقات العامة وتطبيقاتها العلميه.
- ٥- جوده، محفوظ احمد، العلاقات العامة، مفاهيم و ممارسات، ط ٤ عمان، دار زهران للنشر و التوزيع، ٢٠٠٥
- ٦- الصرايرة، محمد نجيب، العلاقات العامة، الاسس و المبادئ، ٢٠٠١،
- ٧- صلاح عبد الرزاق، مقدمه فى العلاقات العامة و الاعلام الاسلامى، ٢٠١٠، الطبع الاولى، بيروت،
- ٨- عبود نجم، اخلاقيات و مسؤوليات الاعمال فى شركات الاعمال ط الاول ٢٠٠٦م، ص ٢٣.
- ٩- على برغوث، العلاقات العامة اسس نظريه و مفاهيم عصريه، معهد البحوث و الدراسات العربيه، القاهره ٢٠٠٧م، ص ٤٠.
- ١٠- مصطفى فهمى ف محمد على القطان، علم النفس الاجتماعى، مطبعة المجد الرياض، ١٩٧٧، ص ١٠٥.



الْإِبْرَاءُ الْمَعْرِفَةُ







أَبُو الْإِبْرَاهِيمِ مُحَمَّدٌ



شبهة السلطان خدابنده في محاولة نقل جسد الامام امير المؤمنين عليه السلام

فضيلة الشيخ
موسى الشيخ راضى نصار (دام توفيقه)





ذكرت في هذه المحاولة في كتاب التاريخ (تاريخ ايران) الذي كتبه (السربيسي سايكس) في اللغة الإنكليزية، ولا سيما في الجزء الثاني منه وتناقلته اقلام المؤرخين الذين تعرضوا الى مرقد الامام عليه السلام مما ذكره المؤلف عن (السلطان خدابنده) انه انشأ في سنة (٧٠٥هـ - ١٣٠٥م) مدينة السلطانية^(١) على بعد مئة ميل من غرب قزوین، فكانت اهم مدينة مهدها الايلخانيون المغول في ايران وغيرها وقد كان في نيته ان يحقق بذلك مشروعاً محموم في مخيلته ردحا من الزمن، وهو مشروع نقل رفات الامامين علي والحسين عليهما السلام من النجف وكرلاء الى المدينة الجديدة هذه، ولذلك انشأ فيها عتبة محكمة البناء بشكل مثنى تقوم فوق كل زاوية بزواياه مئذنة رشيقة عالية، وتحيط هذه المآذن

كلها بقبة ضخمة جميلة يبلغ طول قطرها اربعة وثمانين قدماً غير أن امنيته لم تتحقق بطبيعة الحال، واصبح المرقد المذكور مدفناً له بعد ان توفي سنة (٧١٦هـ - ١٣١٦م)^(٢).

هذه الشبهة محاولة طمس معالم التشيع في تاريخ خدابنده قصد منها تغيير انتباه المؤرخين لحياته الحافلة بالإنجازات العظيمة التي حققها في مملكته، وكذلك هي صورة عارية من الحقيقة قصد بها التشويه وتضخيم الامور وتزييف الحقائق اذن لا بد من وقفة امام هذه الشبهة ليتضح الصواب وقد تبحت في حالتين:

الحالة الاولى: الهاجس الديني الذي سيطر على السلطان محمد خدابنده عندما قصد النجف الاشرف لزيارة الضريح المطهر، ومكث في جوار الامام عليه السلام رأى في احدي الليالي حلماً اطمأن له، ظل هذا الحلم يراوده، ولما رجع من زيارته اراد ان يجعل في عاصمته (السلطانية) الحديثة البناء اثرًا للتشيع الذي احبه واعتنقه، فعمد الى بناء هذا الضريح العظيم تخليداً لذكر الامامين أمير المؤمنين علي والحسين عليهما السلام على ان يكون رمزا للتبرك والزيارة وقد اشار الدكتور (هوليستر) ان بعض ملوك

١- قال القلقشندي: هي مدينة محدثة بناها خدابنده ابن ارغون بن ابغا بن هولوكو، على القرب من جبال كيلان، على مسيرة يوم منها، وجعلها كرسى مملكته، وهي في متسوى الارض، ومياؤها قنى، قليلة البساتين والفواكه، وانما تجلب اليها الفواكه من البلاد الملاصقة لها قال في مسالك الابصار: هي مدينة قدر رفع بناؤها واستع فنائها واتقنت قمتها في الخطط والاسواق، وجلب اليها بانيها الناس من اقطار مملكته واستجلبهم اليها بما ييسر لسكانها من العدل والاحسان، قال: هي الان عامرة اهلة كانا مر عليها مئو سنين لكثرة من استوطنوا وتاهل بها واولد من الولد فيها وقد مضت عليها مدة حتى بلغ بنوها مبالغ الرجال، وفيهم جاز الى الاكتمال: صبح الاعشى ج٤ ص ٣٥٨

٢- جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة ج٦ قسم النجف ص ١٩٧



(أوده) في الهند الى قيامهم ببناء الحسينيات الثلاث المشهور في (كلناو) فيقول انها كلها تستحق الزيارة والمشاهدة، وان كل واحدة منها تختلف عن الاخرى وتسمى احداها (شاه نجف) لان الملك غازي الدين جدد بناءها بحيث يكون الضريح الموجود فيها مشابها لضريح الامام عليه السلام في النجف الاشرف^(١)، كما نقل ياقوت ايضا قال: في عين البقر: قرب عكا وعلى هذه العين مشهد ينسب الى علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) وقال: فيه حكاية غريبة ولم يذكر تلك الحكاية^(٢) حيث كان القسم الاكبر من الشيعة آنذاك لا يستطيعون الوصول الى العتبات المقدسة لصعوبة الطريق ووعثاء السفر، فكانوا يكتفون في بناء تلك الاضرحة في اقطارهم النائية فيفضل بينهم معلما يخلد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فمن المحتمل ان تكون هذه القبة السلطانية من تلك الاضرحة المعدة للتبرك والدعاء، ولذا تظهر بعض الكتابات والنقوش الباقية الى الان نقش (علي ولي الله) التي لا تزال موجودة على القبة السلطانية وهي تعود الى سنة (٧٠١هـ - ١٣١٠م)^(٣).

اما محاولة نقل رفات الامامين امير المؤمنين علي والحسين عليه السلام كما جاء في بعض المصادر ما هي الا مفتعلة من قبل المؤرخين السنة، حيث كان تشيع خدابنده الشغل الشاغل لهم آنذاك فما برحوا الصاق التهم فيه، حتى نسبوا له مقالة عزمه الاعتداء على الاول والثاني واخراجهما من مدنفهما من جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقل ذلك بن تغري بردي الاتابكي المتوفي (٨٧٤هـ - ١٤٦٩م) عن النوري المتوفي سنة (٧٣٢هـ - ١٣٣١م) قال: كان خدابنده قبل موته بسبعة ايام امر بإشهار النداء الا بذكر وعمر رضي الله عنهما وعزم على تجريد ثلاثة الاف فارس الى المدينة النبوية لنقل ابي بكر وعمر رضي الله عنهما، من مدنفهما، فعجل الله بهلاكه الى جهنم وبئس المصير^(٤).

وقد قصد من هذا الخبر اولا: تشويه اسلام خدابنده، وهو الاستخفاف بمشروعية معرفة احكام الاعتداء على حرمة الميت ولا سيما على الاول والثاني، وثانيا: اظهار المنقبة الى ابي بكر وعمر من جراء هذا العداء لهما فعجل الله بموته.

ولم يكتف هؤلاء المؤرخون بذلك حتى حقروا وغيروه، وقد نقل بعضهم ان

٤- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٤٩٢، وابن تغريد بردي: النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٣٨ سنة ٧١٦

١- جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة ج ٦ قسم النجف، ص ٢١٥
٢- ياقوت الحموي: معجم البلدان ج ٤، ص ١٧٦
٣- مجلة ميراث فرهنگي: العدد الاول ص ٨ عن الشيعة في ايران ص ٤٧٤.



السلطان كان اسمه خدابنده فصار يسميه اهل السنة (خربنده) تحقير له من حين قبل مذهب التشيع^(١).

اذن كانت القضية الرئيسية في حياة خدابنده تشيعه القوي ولذا نسبوا له هذه المفتريات، ولكي تتضح الصورة نذكر بعض شذرات من سيرته واثر التشيع فيها حتى قيل عنه الكثير من الذين لا يريدون للتشيع وحب اهل البيت عليه السلام ان يتمدد على حساب التسنن، الا ان الذي يدرس فصول حياة هذا السلطان والمؤثرات البيئية التي احتضنته يجد خصائص التشيع ظاهرة في سيرته لان الاجواء الدينية من حيث التشيع والتسنن، ولا سيما اعتناق (الايلخانيين) الاسلام وجدوا هؤلاء انفسهم اما مذهبين متناحرين السني و الشيعي وعندما ركن الامير غازان خان سنة (٧٠٣هـ - ١٣٠٣م) - وهو الاخ الاكبر الى خدابنده - الى الاسلام اتخذ موقفا وسطا بين المذهبين، لعله يوفق بينهما في دوائر مملكته، وقد نقل رشيد الدين فضل الله رؤيا غازان خان، إذ رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامه قال: ودار حوار طويل بينهما، كان امير المؤمنين علي، والحسن والحسين عليهم السلام مع النبي (صلوات الله عليهم) ومدحه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: عليكم ان تكونوا اخوه

١- ابن تعري بردي: النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٣٧ - ٢٣٩

وامره ان يعانق اهل البيت ورضي الجانبان بالأخوة... ومنذ ذلك الحين، زادت محبة الملك لأهل بيت النبوة عليهم السلام وكان غازان يقدم تسهيلات للحجاج، ويزور مراقد اهل البيت ويقبل النذور ويرسلها، ويحترم السادات ويكرمهم ويمنحهم المبرات والاعطيات، وكان يشيد في كل موضع الخانقاة^(٢) والمدارس والمساجد وغيرها من ابواب البر، ويعين الاوقاف، ويأخذ بنظر الاعتبار وظائف كل طائفة واعمالها، وكان يقول: كيف يكون ذلك للفقهاء والمتصوفة وغيرهم من الوظائف الاخرى، ولا يكون للسادات؟ وامر ان يكون نصيبا منها للعلويين ايضا وكذلك بني السلطان غازان في النجف مبنى خاصا للسيادة سمي (دار السيادة) وشيد فيه تكية خاصة للصوفية (خانقاة)^(٣).

كما امر في بناء دار السيادة في تبريز والخواضر الكبيرة في جميع الاقطار كأصفهان وشيراز وبغداد لينزل فيها السادات، وكان يقول: انا لا انكر احدا، وأقر بعظمة الصحابة، لكنني لما رأيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المنام، وعقد بيني وبين اولاده عقد الاخوة والمودة، فلاني اود اهل البيت كثيراً ومعاذ الله أن أنكر الصحابة،

٢- معرب فارسية (خانكاه) هو المكان الذي ينقطع فيه المتصوف للعبادة.
٣- جعفر التخليلي: موسوعة العتبات المقدسة ج ١ ص ١٩٥



و أمر بحفر نهر لمشهد الحسين عليه السلام^(١).

هذه الاعمال تدل دلالة واضحة على تشيعه واعتداله فيه وقال حافظ آبرو: في تشيع غازان خان أيضاً كان الملك غازان يميل الى هذه الطائفة (الشيعة) ميلاً تاماً، بيد انه لم يظهر ذلك قط وكان يراعي المصلحة العامة^(٢).

و عندما انتقل غازان خان الى دار البقاء سنة (١٣١٥م-٧١٥هـ) خلفه في الحكم أخوه محمد خدا بنده الملقب بلقب (أولجايتو) وكان السلطان محمد أحد أخوة ثلاثة ولدوا لأرغون خان من زوجته المسيحية، وقد أنشأت أمه على دينتها وسمته (نقولا) بعد أن أجرت له مراسيم التعميد المعتاد على الديانة المسيحية، لكنه اعتنق الديانة الإسلامية حينما تقدم به العمر بتأثير من زوجته المسلمة، وأصبح محباً للمناقشات الدينية التي صار يعقد مجالساً كثيرة من أجلها، وقد أسمعته أعداء الدين الحنيف في يوم من الايام أن الإسلام يبيح للمسلم التزوج للمسلم التزويج بأمه أو أخته أو أبنته فار تعدت فرائضه، وصدق ما قيل له حينما هبت من بعد ذلك عاصفة رعديّة شديدة فقتل

١- رسول جعفریان: الشيعة في ايران ص ٤٧٤ و ٤٧٥ عن جامع التواريخ ج ٢٥٨ ج ٢
٢- ابن كثير: البداية و النهاية ج ٧ ص ١٦١

فيها عدد من رجال حاشيته و حسب حدوثها دليلاً على غضب السماء عليه لأنه اعتنق الديانة الاسلامية، ثم أخذت تحدثه نفسه بترك الإسلام و العودة إلى التمسك بديانة المغول القديمة^(٣).

لكنه قصد النجف الاشراف سنة (٧٠٩هـ-١٣٠٩م) لزيارة الضريح المطهر فيها، و في تلك الاثناء حلم في إحدى الليالي حلمًا

٣- ذكر ابن كثير نقلاً عن الجويني بعض المبادئ عن ديانة المغول التي منها أنه من زنى قتل محصناً أو غير محصن، و كذلك من لاط قتل، و من تعمد الكذب قتل، و من سحر قتل و من بال في الماء الواقف قتل و من أنغمس فيه قتل و من اطعم اسيراً أو رمى الى أحد شيئاً من المأكول قتل، بل يناوله من يده اي يده و من أطعم أحداً شيئاً قلباً أكل منه أولاً ولو كان المطعم أميراً لا أسيراً قتل، و من ذبح مثله، بل يشق جوفه و يتناول قلبه بيده و يستخرجه من جوف أولاً (البداية و النهاية ج ١٧ ص ١٦١)
و قال الدكتور القزاز: كانت الديانة الرسمية تسمى (بالشاماترم) و تمثل عبارة مظار الطبيعية و خاصة الشمس، و تمتاز بشدة الطاعة لكهنتها للدين يتولون بدورهم الحياة الخاصة لاتباعها، و لذا لم تستطيع تعليمها الصمود اما الديانة الاخرى التي احتك بها المغول، الامر الذي ادى الى ذوباتها و تحول المغول عنها الى البوذية في الصين و الاسلام في البلاد الاسلامية و المسيحية في روسيا - العالم الاسلامي و المغزو المغولي ص ٣٤



مال اليه لضعف عقيدته السنية ومنهم من ركن اليه فطريا، وجنح اكثرهم اليه، فعلا كعب الشيعة وكان بين الامراء من لم يستجب للسلطان كسعيد جوبان، وايسن قتلغ اذ كان شديدي الاعتقاد بمذهب اهل السنة، ولم يطرأ فتور على عقيدتهما قط، ودبر هؤلاء المتشيعون خط دقيقة من اجل ترغيهم في المذهب الشيعي، فلم يتيسر لهم، وشاء القضاء ان تتغير الخطبة في جميع بلاد ايران، اذ اسقطوا منها اسماء الصحابة الثلاثة واقتصروا على اسم امير المؤمنين علي بن ابي طالب والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) وغيروا النقود (٧٠٩هـ - ١٣٠٩م) وسكوا عليه اسم امير المؤمنين عليه السلام مكان الصحابة، واظهروا فقرة (حي على حير العمل) في الاذان وشاع ذلك في كافة انحاء البلاد (اولجايتو) بخاصة في قزوين حي ازدهر المذهب الشيعي فيها ازدهارا بالغاً^(٥) ولكن العزاوي ذكر قبل هذا التاريخ وقبل ان يذهب الى النجف الاشرف قال: نقش اسماء الائمة الاثني عشر عليهم السلام على نقوده في سنة (٧٠٧هـ - ١٣٠٧م) كما هو المستفاد من النقود المضروبة والموجودة في المتحف^(٦).

أطمأنت به نفسه وقررا اعتناق المذهب الجعفري على اثره^(١).

بعدما نقل للأمرء الذين معه ذلك الحلم فحثه المتشيعون منهم على اختيار المذهب الشيعي فأستجاب لهم^(٢) ولكن ابن تغري بردي يرى تشيعه كان بعد تسننه و الذي صيره شيعياً السيد تاج الدين الاوي^(٣) قال: لما ملك خربنداً اسم وتسمى محمد، واقتدى بالكتاب والسنة وصار يحب اهل الدين والصلاح وضرب على الدرهم والدينار اسم الصحابة الاربعة الخلفاء، حتى اجتمع بالسيد تاج الدين الاوي الرافضي وكان خبيث المذهب، فما زال بخربندا حتى جعله رافضيا وكتب الى سائر ممالكهم يأمره بالسب والرفض ووقع له بسبب ذلك امور^(٤).

كان السلطان وامراؤه وندماؤه يبالغون ليختار الجميع هذا المذهب ومن هؤلاء من اعتنقه مجاملة للسلطان، ومنهم من

١- جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة ج ٢ قسم النجف ص ١٩٦

٢- رسول جعفريان: الشيعة في ايران ص ٤٧٦

٣- تاج الدين الاوي: في تكملة الرجال: كان في زمن السلطان محمد خدابنده وكان مقربا عنده ومؤيدا للشيعة استشهد بعد وفاة السلطان المذكور بسعي اهل السنة وتهمتهم / اعيان الشيعة ج ٥ ص ٥٤٢

٤- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٣٨

٥- رسول جعفريان: الشيعة في ايران ص ٤٧٦
٦- العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٤٠٧



دور العلامة الحلي في تشيع خدابنده

اما الفصل المهم في تشيع السلطان محمد خدابنده هو الدور الذي قام به العلامة الحلي الحسن بن يوسف المطهر المتوفى سنة (٧٣٦هـ - ١٣٣٥م) وذلك ما ذكره ابن بطوطة ابن بطوبة على ان العلامة هو السبب في تشيع خدابنده قال: فامر السلطان بحمل الناس على الرفض، وكتب بذلك الى العراقيين، وفارس واذربيجان واصفهان وكرمان وخراسان.. وكان السلطان قد امر بان تسقط اسماء الخلفاء وسائر الصحابة من الخطبة ولا يذكر الا اسم علي ومن تبعه كعمار بن ياسر^(١).

ولكن بعض المصادر تذهب الى العلامة الحلي رحمه الله كان سببا اسلامه فضلا عن تشيعه قال العزاوي: ولما اسلم السلطان خدابنده بعد ما كان كافرا اسلم بإسلامه التتر حتى زاد في تعظيم هذا الفقيه - العلامة الحلي - فزين له مذهب الروافض وفضله على غيره وشرح له حال الصحابة والخلافة وقرار لديه ان ابا بكر وعمر كانا وزيرين لرسول الله ﷺ وان عليا ابن عمه وصهره فهو وارث الخلافة، ومثل له ذلك بما هو مألوف عنده^(٢).

ان مثل هذا التصور القادح في دعوة العلامة للإسلام، قد لا يوجد في سير دعوته وانما قد يكون مختلفا تماما عن سيرة الدعاة الاوائل الى الاسلام الذي اهتموا كثير بنشر الدين والتركيز على الابعاد العلمية والنفسية للمدعوين الى الاسلام، ولا سيما اصحاب مراكز القرار للتغيير الاجتماعي، ولذا وجد العلامة الحلي ضالته في السلطان خدابنده فكانت طريقته في الدعوة الى التشيع ومناقشته مع نظام الدين عبد الملك الشافعي في مجلس السلطان لم يبحث مسألة من المسائل على سبيل التعصب مطلقا، وانه كان يدعو (خدابنده) الشيعي الى حب الصحابة كلهم^(٣) حتى تأثر به السلطان فاحب العلم والعلماء لدرجة انه امر بإنشاء مدرسة متنقلة من الخيام وعين بها مجموعة من الفقهاء على راسهم الشيخ جمال الدين الحسن بن المطهر الحلي واسكن في المدرسة قرابة مائة طالب، وهيا لهم ما يحتاجونه من الطعام واللباس والدابة وغيرها من الاشياء ليكونوا في خدمة السلطان، وكذلك انشأ مدرسة بالسلطانية في ابواب البر المباركة^(٤).

ولما اثمرت جهود العلامة في دعوة

ج ١ ص ٤٠٧

٣- ابن حجر: الدرر الكامنة ج ٤ ص ٧١

٤- رسول جعفريان: الشيعة في ايران ص ٤٧٧

١- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة ص ٢٠٥ والشيعة

في ايران ص ٤٧٨

٢- العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين



السلطان (خدا بنده) للإسلام ونشر التشيع في ربوع البلاد صنف عددا من الكتب في العقائد وفي الامامة واهداها له ومنها كتاب (نهج الحق وكشف الصدق)^(١) ونص في مستهل كلمة الاهداء على انه صنف الكتاب خشية لله ورجاء لثوابه وطلباً للإخلاص من أليم عقابه، بكتمان الحق وترك ارشاد الخلق وفي الوقت نفسه راعي فيه التقاليد السائدة آنذاك في الاهداء الى الملوك والسلاطين وان يذكر خواص عمله قال: مثلت فيه مرسوم سلطان وجه الارضا الباقية دولته الى يوم النشر والعرض، سلطان السلاطين، وخاقان الخواقين، ملك رقاب العباد وحاكمهم وحافظ اهل البلاد وراحمهم، المظفر على جميع الاعداء المنصور من إله السماء المؤيد بالنفس القدسية، والرياسة الملكية، الواصل بفكره العالي الى اسنى مراتب العلى، البالغ بحدسه الصائب الى معرفة، الشهب الثواقب، غياث الملة والحق والدين (اولجايتو خدا بنده محمد) خلد الله ملكه الى يوم الدين. وقرن دولته بالبقاء والنصر والتمكين وجعلت ثواب هذا الكتاب واصلا اليه^(٢).

ولم يكتف العلامة الحلي في اهداء كتابه

(نهج الحق) حتى اهدى اهم كتبه بالعقائد وفي الامامة (منهاج الكرامة) وقال في اوله: خدمت بها خزانة السلطان الاعظم، مالك رقاب الامم ملك ملوك طوائف العرب والعجم مولى النعم، مدد الخير والكرم شاهنشاه المعظم، غياث الحق والملة والدين اولجايتو محمد خلد الله سلطانه، وثبت قواعده ملكه وشيد اركانه، وامده بعنايته والطافه، وايده بجميل اسعافه، قرن دولته بالدوام الى يوم القيامة^(٣) كما اهدى اليه ايضا كتاب (كشف اليقين) ولم يختصر العلامة على اهدائه الى السلطان خدا بنده فحسب وانما اهدى كذلك (الرسالة السعدية) الى احد اعضاء ديوان السلطان ويدعى (محمد بن علي ساوجي) الشهيد سنة (٧١١هـ - ١٣١١م) وزير خدا بنده^(٤) وكتب في مقدمتها بعد التعريف بالكتاب قال: يرسم المولى الاعظم والصاحب الكبير المعظم، صاحب ديوان الممالك شرقا وغربا وبعدا وقربا، مالك السيف والقلم، ملجأ العرب والعجم، ملاذ جميع طوائف الامم، مسدي الفواصل والنعم، محبي رفات المكارم والرسم، مميت البدع ودافع النقم، المؤيد بالإلطف الربانية، المظفر بالعنايات الالهية.

١- هذا الكتاب رد عليه العلامة الاشعري، الفضل ابن رزبهان، باسم (ابطال الباطل)
٢- مقدمة منهاج الحق وكشف الصدق نقلا عن الشيعة في ايران.
٣- مقدمة منهاج الكرامة للعلامة الحلي.
٤- اغا بزرك: الذريعة ج ١٢ ص ١٨٣



عن الاولى في مناقشة الراي الذي نسب الى السلطان خدابنده، فهو ليس وارده لاعتبارات اخرى ان يتم تصويره من قبل المؤرخين في نقل رفاة الامامين علي والحسين عليه السلام الى مدينته السلطانية التي بناها، وجعل فيها معلما ضخما ظن البعض انه المشهد الذي يريد ان ينقل اليه رفاة الامامين عليه السلام.

ان مثل هذا الحدث -وهو مجرد رأي لم يقع - كان في غاية الاهمية كان في غاية الاهمية من الخطورة في المذهب الشيعي الذي كان هو نفسه عاملا على نشره في ربوع بلاده، فضلا من خشية العواقب الوخيمة التي قد تترتب على مثل هذا الاعلان. ولكن لو كان هذا الامر ماثلا في قيد البحث في بلاط السلطان لأثار هذا الحدث المزمع ردود فعل قوية في متسبي البلاط الذي كانوا اكثرهم من الشيعة، وقد ذكر ابن كثير عن اجراءات احد قادة السلطان خدابنده الشيعي ويدعى: دلقندي اذ حاول هذا القائد نشر التشيع في بلاد الحجاز ايضا بيد ان محاولته توقفت بسبب وفاة خدابنده^(١).

والمظنون ان مثل اشاعة هذه المحاولة اريد بها التقليل من اهمية جهود العلامة الحلي بل هي تهدف الى ضياع ما بذله من

خواجة سعد الحق والملة والدين اعز الله تعالى بدوام دولته الاسلام والمسلمين، وشيد قواعد الدين ببقاء ايامه الزاهرة الى يوم الدين، وقرن احفاده بالنصر والظفر والتمكين، وختم اعماله بالصالحات، واسبغ علي من جلايب المبرات وكساه حلل السعادات وافاض عليه من عطاءم البركات، ووقفه لجميع الخيرات، بمحمد واله الطاهرين، صلوات الله عليهم اجمعين.

غير ان هذا لا يعينني ان نتصور ان العلامة لم يكن جادا في بعض ما ذكره من الالقاب، وانما راعى التقاليد السائدة يومئذ، وهذا لا ضرر فيه اذا كانت مثل هذه الالقاب تساعد على ترسيخ قواعد التشيع في تلك المجتمعات الاسلامية المتناحرة ولذا يمكن ان نتصور في هذا الاهداء كيف تحول التعالي العلمي والقيم الدينية العليا التي يحملها العلماء الاعاظم الى تحقيق مشروع عقائدي على الارض خالصا لوجه الله متجاوزا كل الرغبات الضيقة، ومثل هذا التصور الوظيفي للعلماء والعاملين في سبيل العدل والحق، ليس غريبا على العلماء الربانيين، الاوائل الذي نظروا لأصل المذهب مثلهم مثل ائمتهم عليه السلام.

الحالة الثانية: قد تختلف هذه الحالة

ارادوا بذلك تشويه القيم الدينية التي اتبعها، وقد جاء في الدرر الكامنة عن هذه الحوادث التي ارقتهم قال: كان- السلطان- حسن الاسلام لكن لعبت بعقله الامامية ففرض وأسقط من الخطبة في بلاده ذكر الائمة-الخلفاء- الا عليا عليه السلام وكان فيما يقال قد رجع عن الرضا وظهر شعار اهل السنة فقال بعضهم في ذلك.

رأيت الخربندا اللعين دراهما

يشبهها في خفة الوزن عقله

عليهم اسم خير المرسلين وصحبه

لقد رابني هذا التسنن كله^(١)

وقد بعض المؤرخين ان السلطان كان اسمه خدابنده فصار يسميه اهل السنة (خربنده)^(٢)

١- العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص ٤٠٨ عن الدرر الكامنة ج٣ ص ٣٧٨
٢- في عقد الجمان: اسمه الاصيل الذي هو بلغة اهل المغول فهو (انجيتو) ولما اسلم سمي نفسه محمد خدابنده ولقب نفسه بغيث الدين (وخدابنده) معناه عبد الله بالفارسي وفي المنهل الصافي (معناه باللغة العربي عبد الله) غير ان اباه لم يسمه الا خرابندا وهو اسم مهمل معناه الحمار وسبب تسميته بذلك ان اباه كان مما ولد له ولد يموت صغيرا فقال له بعض الاتراك: اذا جاءك ولد سمه اسما قبيحا يعيش فلما ولد له هذا اسماه خربندا في الظاهر واسمه الاصيل (انجيتو) فلما كبر وملك البلاد كره هذا الاسم واستبقه

اعمال مضيئة في رسوخ المذهب الشيعي في تلك البلاد حتى اصبح مذهب الدولة الرسمي كما ان السلطان نفسه كان من حماه بعد ما توثقة علاقة العلامة به واهدى بعض مؤلفاته الكلامية -كما مر- وكان السلطان معجبا بشخصية العلامة ورؤيته للدعوة التي تعتمد على التذكير الى ما يدعو اليه واسلوبه الذي يميل الى الهدوء اكثر مما يؤجج بالألفاظ المشحونة بالانفعالات والتوتر الطائفي.

ومن المعلوم ان العلامة لو لم يجد في نفس السلطان محمد الركون الى التشيع وكان واثق كل الوثوق من معتقده والقيم الدينية التي يحملها، لما اهدى له كتبه التي هي عصارة فكره، فليس من المعقول ان يفكر السلطان محمد في نقل الرفاة المطهر وهو في هذه المنزلة من العلم والتشيع والصحبة الملازمة للعلامة ان يصدر عنه مثل هذا الرأي الذي يخالف التشريف فقها وعقيدة ثم، ليست ثقافته الفقهية تردعه من ارتكاب مثل هذه الحرمة، وسواء جاءت هذه المحاولة متأثرة بالتصور وليس بالواقع، فان اكثر النصوص التي تحمل مثل هذه المخيلة ترجع الى خلفية غير منضبطة.

وقد أقحم هؤلاء المؤرخون اشياء عديدة في مسيرة حياة السلطان خدابنده



عليها واولاده (صلوات الله وسلامه عليهم) وكل ما اثار الجانبان من نقاش من المجاججات لم يؤثر الفرة بينهم ، وكان السلطان سيعيد بما جرى من حوله يناظر العلماء دائما بسبب حبه للدين الاسلامي ومودته لمحمد رسول الله ﷺ واهل بيته ازدهر وضع العلماء ازدهارا تاما^(٣) ايام حكمه وليس هذا الازدهار للعلم والعلماء فقط وانما لكل (ملكته) - كما جاء في جامع التواريخ قال: لما توفي السلطان عازان في شعبان سنة (٧٠٣هـ - ١٣٠٣م) بحدود قزوین اوصى لاخته بولاية العهد وكان اهموه الجاييتو بخراسان - ثم شرع في تدبير الامور وتنظيمها ، والتزم التيقظ والتحرس لحسن الادارة اذ كانت الامور في اضطراب والادارة في تشتت وانحلال والحكومة متداعية البنيان الا انها مهمة هذا السلطان الجديد قد اكتسبت كل هدوء وراحة وانتظام ولم يسبق ان نالته في ما قيل فازيلت المشاكل والصعاب واخذت الثورات واستقرت شؤون المملكة ، ومن جملة ما قام به ان امر بابقاء ما كان على ما كان ايام اخته من الموظفين والامراء... وان يمضي على طريقة اخته ونهجه^(٤) وهذا مما يدل على رجحان عقله والتزامه

تحقيقا له من حيث قبل مذهب التشيع^(١) - كما تقدم - والكثير من مثل هذه النصوص التي تستهدف بالدرجة الاولى طمس معالم شخصية الامة لان المستهدف بالذم كان كافرا فاسلم وباسلامه اسلمت جميع التتر^(٢) وهذا يتطلب ان يعني في مدحه ومدح العلماء الذي استطاعوا ان يجعلوه ومن معه بهذه المنزلة من الدين ولكن لا يروق للبعض مثل هذا الاسلام المتشيع .

لقد احدث هذا السلطان (خدابنده) نقلة نوعية في توسع المذهب الشيعي وجعله الرائد الاول والمذهب الرسمي في ملكته ، ولكن تصوره للمذاهب الاسلامية الاخرى لم يخرجها عن المجال المذهبي العام الذي حدد النظرة للاختلاف المذهبي ، ولكن شذمة من الاشرار كانوا يثيرون الفتنة ويخرجون المسلمين في شتى حواضرهم ، ولم يتأثر اهل السنة والجماعة ، بذلك وثبتوا على اعتقادهم الخالص ومحبتهم لصحابه المصطفى ﷺ ومودتهم لأهل بيته وتعظيم امير المؤمنين فجعله (خدابنده) ومشى ذلك بباليكه وهدد من قال غيره ولم يفده ذلك الا من حواشيه خاصة / انظر في ذلك تغري بردي: النجوم الزاهرة ج٩ ص٢٣٨ مع الهامش .

- ١- العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص٤٠٥
- ٢- العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص٤٠٧

٣- رسول جعفريان: الشيعة في ايران ص٤٧٧

٤- العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج١ ص٤٠١-٤٠٢ ، عن جامع التواريخ وتقويم التواريخ والدرر الكامنة ج٣ ص٦٢



الديني، وهذا ما يظهر في سلوكه في بداية حكمه عادلا محسنا قال القلقشندي لما بنى مدينة السلطانية دخلها الناس من اقطار مملكته بما بسط لسكانها من العدل والاحسان^(١).

فمن النصوص السابقة تظهر سيرته واضحة بين رعيته وارباب دولته وعلماء عصره كلها تشير الى تكامل شخصيته الدينية، وليس مصادفة هذا الازدهار الشيعي الواسع الا وكان اعتناقه لمذهب التشيع ظاهرا فيع وعلى الرغم مما نقل عن ارتداد خدابنده عن التشيع فان ابن كثير يشير الى نزعه الشيعية بعد مرور سنة على حكومته ويقول: ولم يزل على هذا المذهب الى ان مات في هذه السنة (٧١٦هـ - ١٣١٦م)^(٢).

ونستطيع الان ان ننهي هذا الموضوع عن الدور الذي قام به السلطان خدابنده من اجل التشيع فليس من المعقول ان يسعى الى نقل رفات الامامين علي والحسين عليهما السلام وهو بهذه الدرجة من العلم والدين، فهو مما ليس واردا بتاتا ان يتم تصويره فضلا عن السعي له، ولكن الشبهة في النقل تأتي من البناء الضخم الذي اتخذه

السلطان مدفنا له وانشا فيه فوق كل زاوية من زواياه مأذنة عالية وتحاط هذه المآذن كلها بقبة ضخمة جميلة فيسحبها النصار انه عتبة لنقل الامامين علي والحسين عليهما السلام لشدة تعلق السلطان بهما، ولكن المطلع على سيرة هذين الاخوين السلطان غازان وخابنده يرى انهما اعتنيا كثيرا في مدفنها.

وقد ذكر المؤرخون ان لما توفي السلطان غازان بتاريخ ١٠ شوال سنة (٧٠٣هـ - ١٣٠٣م) بحدود قزوین نقل الى تربته التي اتخذها مدفنا له في ظاهر تبريز ولم يكن عادة المغول قبل هذا يظهر قبورهم، فجعل في بناية قبره ما تعجز العبارة عن بيانه من ابواب البر ما لا يوصف من مدرسة وخانقاة ودار الحديث ودار القرآن ومستشفى ومكتب الايتام^(٣).

فاذا كان هذا المسعى الخيري الذي قام به اخوه، فهو من طبيعة هذا الموقف ان يقوم بما يليق به، فمن هذا المنطلق قام في بناء هذا الصرح العظيم الذي اثار حفيظة المؤرخين، واتهموا السلطان في نقل رفاة الامامين فمن المعقول ان يكون القصد من هذا البناء مدفنا له، وهو ما حصل فعلا ودفن فيه.

١- القلقشندي: صبح العشي ج ٤ ص ٣٥٨

٢- ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٤ ص ٧٩، والشيعية في ايران ص ٤٧٨

٣- العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٣٩٨ - ٣٩٩



المصادر

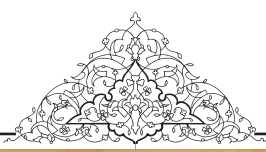
- ٩- عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين
- ١٠- ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة
- ١١- ابن حجر: الدرر الكامنة
- ١٢- العلامة الحلي: منهاج الكرامة
- ١٣- العلامة الحلي: الرسالة السعدية
- ١٤- اغا بزرك الطهراني: الذريعة
- ١- الفلقشندي: صبح الاعشى
- ٢- جعفر الخليلي: موسوعة العتبات المقدسة - قسم النجف
- ٣- ياقوت الحموي: معجم البلدان
- ٤- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة
- ٥- ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة
- ٦- مجلة ميراث فرهنگي العدد الاول
- ٧- رسول جعفریان: الشيعة في ايران
- ٨- ابن كثير: البداية والنهاية



البواب المعرفية







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمَّا وَلَكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يَحْمِلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رُكُوعٌ



أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ



سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة

الاستاذ المتمرس
محمد كاظم البكّاء

رئيس قسم علوم القرآن الكريم
والحديث الشريف / كلية الفقه - جامعة الكوفة



تمهيد...

على الوجه الآتي:

القسم الأول: سيرته العلمية.

القسم الثاني: سيرته الإسلامية في خلافته.

القسم الأول - سيرته العلمية

أولاً - معرفته بحقائق الغيب

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أما بعد أيها الناس، فأنا فقأت عين الفتنة، ولم تكن ليجرأ عليها أحد غيري بعد أن ماج غيبتها واشتد كلبها».

«فأسألوني قبل أن تفقدوني، فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها، ومناخ ركاها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ويموت منهم موتاً؛ ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور وحواذب الخطوب لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسؤولين، وذلك إذا قلصت حربكم وشممت عن ساق، وضاعت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم».

٣- مصدر سابق، ج ٧، ص ٤٤ - ٤٥.

(نهج البلاغة) للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) قد جمعه الشريف الرضي (عليه السلام) لغرض بيان فصاحته وبلاغته؛ قال ابن أبي الحديد^(١): كان «يلتقط كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) التقاطاً، ولا يقف مع الكلام المتوالي؛ لأن غرضه (عليه السلام) تعالى ذكره فصاحته عليه السلام لا غير».

ولكن الذي يتضح لنا أن تسميته بـ (نهج البلاغة) هي نعت لأسلوبه وتنويعها ببيانها، ولكن هذه التسمية قد تحيقت نهجه القرآني ومقاصده الإسلامية التي أكدها ابن أبي الحديد^(٢):

قال ابن أبي الحديد:

«إن شئت تزداد استبصاراً، فانظر القرآن العزيز.. وانظر كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فإنك تجده مشتقاً من ألفاظه، ومقتضياً من معانيه ومذاهبه، ومحذوفاً به حذوه، ومسلوفاً به في منهاجه»، ولم يغفل الشريف الرضي (عليه السلام) هذه الحقيقة وهو يختار ما علا من خطبه وكلامه بلاغة.

والذي يتضح لنا أيضاً أن نهج البلاغة يكشف لنا عن سيرة الإمام (عليه السلام)، وأنها

١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ١٥٣.

٢- نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٣.



قال ابن أبي الحديد «وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادعاء الربوبية، ولا ادعاء النبوة، ولكنه كان يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبره بذلك، وقد امتحنا أخباره، فوجدناه موافقا؛ فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة»، وهو ما ثبت لنا بما يعرف بالعلم (اللدي).

والتوجيه النحوي هو الآتي:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٢)

أما نحويا فهي أداة تفصيلية، وقد تحذف الثانية نحو: أما اللفظ الذي يقترن بزمن معين فهو (الفعل)، واللفظ الذي لا يقترن بزمن معين فهو (الاسم).

وهذا ما نجده في كلامه عليه السلام في إشكالية (الراسخين في العلم) التي وردت في الآية المذكورة- وهي مما وقع فيها الخلاف -، فهو يرى عليه السلام : أن الله وحده يعلم التأويل وحقيقة التشابهات وما جرى مجراها، وأن الراسخين في العلم آمنوا به إيمانا مطلقا أنه من الله تعالى؛ فلم يكلفوا أنفسهم مشقة التأويل، قال عليه السلام :

ثانيا - تفسيره غوامض القرآن الكريم

فسر الإمام عليه السلام بعض الآيات التي وقع فيها الخلاف بين المفسرين، من ذلك قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١).

وقد وقع الخلاف بين المفسرين حتى تردد السيد الطباطبائي في تفسير الميزان «من كان يقول إن التأويل لا يعلمه





نَاجِذِكَ، أَعْرِ اللَّهَ جُمُوعَتَكَ، تَذِي فِي الْأَرْضِ
قَدَمَكَ، أَرَمَ بِبَصَرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ، وَغَضَّ
بَصَرِكَ، وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ

«وَأَعْلَمَ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ
أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ
الْغُيُوبِ الْإِقْرَارِ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ
مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ».

أراد ﷺ أَنْ حَجَرَ السَّجِيلَ لَا يَنْقُذُ قَوْمًا
جِنَاءً؛ فَلَا بَدَّ لِإِحْرَازِ النَّصْرِ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى الشَّجَاعَةِ الَّتِي تَتَطَلَّبُ شُرُوطًا،
هِيَ: الثَّبَاتُ، فَاجْعَلْ قَدَمَكَ فِي الْأَرْضِ
كَالْوَتْدِ، وَقَوْلُهُ: تَذِي فَعَلَ أَمْرًا مِنْ وَتَدَ
قَدَمُهُ فِي الْأَرْضِ، وَعَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ، أَيِ:
مِنَ أَقْصَى الْأَضْرَاسِ فِي آخِرِ الْحَنَكِ؛ لِأَنَّ
عِظَامَ الرَّأْسِ تَشْتَدُّ وَتَصْلُبُ، وَأَعْرِ اللَّهَ
تَعَالَى جَمْعَتَكَ، أَيِ: ابْذُلْهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ،
وَأَنْ تَفْتَحَ عَيْنَكَ لِتَحْدَقَ إِلَى أَقْصَى الْقَوْمِ؛
لِأَنَّ الْجَبَانَ تَضْطَرُّ بِقَدَمِهِ، وَيَخْفِقُ قَلْبُهُ،
فَلَا يَمْتَدُّ عُنْقُهُ نَاكِسَ الرَّأْسِ غَضِيضِ
الطَّرْفِ إِلَّا مِنْ بَرِيقِ السِّيُوفِ وَكَثْرَةِ
عَدَدِهِمْ؛ فَتَنَالُ الدَّهْشَةَ مِنْهُ، وَيَسْتَشْعِرُ
الْخَوْفَ، وَتَيَقَّنُ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُوَ إِنْ اللَّهَ
لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤).

وقد مدح الله تعالى إقرارهم بالجهل،
واعترافه بالعجز عن التأويل؛ قال ﷺ
«فَمَدَحَ اللَّهُ تَعَالَى اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ
تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا».

واستطرد في اعتبار التأويل على وفق
العقول هلاكاً «وَلَا تُقَدَّرُ عَظَمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ»

فالله تعالى تفرّد بعظمته في معرفة
المحجوب وأسرار الكون ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ
يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ (١).

ولا يمنع هذا التفسير معرفة المعصوم ومن
بمنزلته ببعض المحجوب بـ (العلم اللدني)
الذي يأتيه الله تعالى من يشاء من عباده (٢).

ثالثاً: خبرته في الفروسية والجهاد

متطلبات النصر من الله تعالى

«قال أمير المؤمنين ﷺ (٣):

«تَزُولُ الْجِبَالُ وَلَا تَزُلُّ! عَضَّ عَلَى

رابعاً: خبرته في القضاء

من كلام له ﷺ في صفة من يتصدى
للحكم بين الأمة، وليس لذلك مؤهلاً

١- يونس: ٣٩

٢- ينظر: شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٤٠٣-٤٠٤

٣- نفس المصدر، ج ١، ص ٦١.





قال امير المؤمنين عليه السلام (١):

(الصف الأول)

«إِنَّ أَبْعَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللَّهِ رَجُلَانِ رَجُلٌ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ وَدَعَاءِ ضَلَالَةٍ فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنْ افْتَنَّ بِهِ ضَالٌّ عَنْ هَدْيٍ مَنْ كَانَ... حَمَلٌ خَطَايَا غَيْرِهِ رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ.

(الصف الثاني)

وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوَضِعٌ فِي جُهَالِ الْأُمَّةِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَمَّ بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدَنَةِ مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسَجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ جَاهِلٌ خَبَاطُ جَهَالَاتٍ... إِذَا تُبِلَ حَقُّ تِلَاوَتِهِ وَلَا سِلْعَةُ أَنْفَقٍ يَبْعَا وَلَا أَعْلَى ثَمَنًا مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرٌ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرِفُ مِنَ الْمُنْكَرِ».

صنّف امير المؤمنين عليه السلام من يتصدّى للقضاء أو الحكم في الأمة ممن لم يكن مؤهلاً في نوعين، هما:

الضالّ عن الطريق، غير المهتدي لأصول العقائد والأحكام، فحمل خطايا وخطايا غيره، فهو رهن بخطيئته وخطيئة غيره ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٢).

والثاني: جاهل لا يعلم الخطأ من الصواب، متفقه وليس له علم بالشرعية، وقد ذكر صفاتها؛ فالأول داع لبدة وضلالة، والثاني قد استطرد في بيانه عنه، فهو من لبس الشبهات لا يدري أصاب أم أخطأ؛ فكانت حجته واهية كنسج العنكبوت ﴿وَأَنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبِثَ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٣)، وهو يشيع الروايات من غير علم ودراية يذروها إزاء الريح الهشيم ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مِثْلَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ (٤)، وقد وجد مجتمعا لا يعنون بكتاب الله ولا يفقهونه، ولا يحسنون تلاوته ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتَوَلَّوْهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٥)، ولا يتورعون عن

تحريفه

٢- العنكبوت: ١٣

٣- العنكبوت: ٤١

٤- الكهف: ٤٥

٥- البقرة: ٢٢١

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا
بِهِ ثُمَّ قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ
أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (١)

خامسا - ذمه الاختلاف في الفتيا

ومن كلام له عليه السلام في ذم اختلاف العلماء
في الفتيا وفيه يذم أهل الرأي ويكل أمر
الحكم في أمور الدين للقرآن

قال امير المؤمنين عليه السلام: (٢)

«تَرِدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ
الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرِدُّ تِلْكَ
الْقَضِيَّةُ بَعَيْنَهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا
بِخِلَافِ قَوْلِهِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ
الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَفْضَاهُمْ فَيَصُوبُ آرَاءُهُمْ
جَمِيعاً وَإِلَهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ
وَاحِدٌ...»

للخلاف أسباب كثيرة منها هو
اختلاف الفهم، ومنه ما يقع بسبب عدم
التدبر ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ عَلَى قُلُوبٍ
أَقْفَالُهُمْ﴾ (٣) والتدبر أن تستكمل الكلام
حتى نهايته، وغايته التأمل والتفكير، وقد
يقع الخلاف بسبب الأصول والقواعد

التي يتبعونها من قياس ونحوه، وقد
يجتهد أحدهم برأيه فلا يصيب؛ لذلك
ألزم امير المؤمنين عليه السلام الجميع بكتاب الله
وفيه تبيان كل شيء، وليس فيه اختلاف
لأنه منه وحده سبحانه، وإلزامهم بسنة
رسوله صلى الله عليه وآله الذي أتم التبليغ؛ فهو دين
كامل «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ
عَلَيْكُمْ نِعَمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً»
[المائدة]

سادسا - خبرته الاجتماعية ومعرفة
أصناف الناس

أصناف الناس من حيث سلوكهم
وبواعث نفوسهم

قال امير المؤمنين عليه السلام: (٤)

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ
عُنُودٍ وَزَمَنٍ شَدِيدٍ يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً
وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلَّمْنَا
وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا وَلَا نَتَخَوُّ قَارِعَةً
حَتَّى نَحُلَّ بِنَا».

المفسدون:

وَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ مَنْ

١- البقرة: ٧٩

٢- مصدر سابق، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٦٩-٧٠

٣- محمد: ٢٤

٤- مصدر سابق، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٧٤-

١٧٥



لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةً نَفْسِهِ
وَكَلَالَةً حَدَّهُ وَنَضِيزُ وَفَرِهِ.

المتسلطون:

الْمَرْجِعِ وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ الْمُخْشَرِ فَهُمْ
بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ وَسَاكِتٍ
مَكْعُومٍ وَدَاعٍ مُخْلِصٍ وَتَكْلَانٍ مُوجِعٍ قَدْ
أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةَ وَشَمَلَتْهُمْ الدَّلَّةُ فَهُمْ فِي
بَحْرِ أَجَاغٍ أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ وَقُلُوبُهُمْ
قَرَحَةٌ قَدْ وَعْظُوا حَتَّى مَلُّوا وَقَهَرُوا حَتَّى
ذَلُّوا وَقُتِلُوا حَتَّى قُلُّوا.

موعظة التزهيد في الدنيا:

فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ
حُثَالَةِ الْقَرْطِ وَقَرَاةِ الْجُلْمِ وَاتَّعْظُوا بِمَنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ
وَارْضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ
كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ.»

تكلّم امير المؤمنين عليه السلام على أصناف
الناس وأحوالهم من حيث الهداية
وانتهاج الصراط المستقيم ذاكرة شدة
الزمان، وروي «زمن كنود»، أي: كفور من
قوله تعالى ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(١)،
أي: يحدد نعمته تعالى؛ فوجد غير الأبرار
في أصناف:

فالصنف الأول - يقعد به عن طلب
الإمرة، والأمر بالفساد حقارته في نفسه،
وقلة ماله.

وَمِنْهُمْ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ
وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ
وَأَوْبَقَ دِينَهُ حِطَامٍ يَتْتَهِزُّهُ أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ
أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ وَلَيْسَ الْمُتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا
لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ عَوَضًا.

المنافقون:

وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ
وَلَا يَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ
مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ
مِنْ ثَوْبِهِ وَزَحْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ
وَاتَّخَذَ سِرَّ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمُعْصِيَةِ وَمِنْهُمْ
مَنْ أَبْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ الْمُلْكِ ضُئُولُهُ نَفْسِهِ
وَانْقِطَاعُ سَبَبِهِ فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ
فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقَنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ
الزَّهَادَةِ وَلَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاكِحٍ وَلَا
مَغْدَى.

الراغبون في الله:

وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ





والصنف الثاني - من يطلب الإمرة بسلطة السيف وتحشيد الناس لسطوته بجلب الخيل والرجال، أخذه من قوله تعالى ﴿وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِحَيَلِكَ وَرَجِلِكَ﴾^(١).

والصنف الثالث - المنافق الذي يظهر ناموس الدين ويطلب به الدنيا ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

والصنف الرابع - العاجز الذي تزين بلباس أهل الزهد.

وقد أفرد الكلام على الأبرار فقد أخلتهم التقية يعني خشيتهم من الله تعالى، وأراقوا دموعهم خوف الحشر ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾^(٣).

ويبدو لي أنه ﷺ يتمثل التصنيف القرآني للناس في مفتتح سورة البقرة حيث هم متقون وكافرون ومنافقون، فالمتقون ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤)، والكافرون ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ

أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥)، والمنافقون ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٦)؛ ولكن هذه الأصناف الأربعة التي تكلم عليها ﷺ أنه وجدهم غير متقين، فمنهم من لا يجد في نفسه القدرة على الإمرة، وأمر بالتسلط على رقاب الناس، ومنافق يخادعهم، وعاجز يتزين بلباس الزهد، وقد كان كلامه عليه السلام عليهم في تفصيل أكثر بلحاظ سلوكهم وتصرفهم، وإدراك بواعث نفوسهم، وأن هؤلاء جميعا لا يعدّون من الأبرار؛ فهم كافرون ومنافقون.

وينهي كلامه ﷺ بالموعظة الحسنة ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٧).

سابعا - كشفه عن أخطاء في التفسير

وقد وجدته ﷺ يكشف عن أخطاء جسيمة وقعت في التفسير^(٨)، منها تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيَدْعُوكَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾^(٩)،

٥ - البقرة: ٦

٦ - البقرة: ٨

٧ - النور: ٣٤

٨ - مصدر سابق، ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٤٤-٥٢

٩ - القلم: ٤٢

١ - الإسراء: ٦٤

٢ - البقرة: ٨

٣ - الإسراء: ٥٧

٤ - البقرة: ٥



إليك فررت منك، ومن زياد ولم
أحسب دميلكم حلالاً

ومن تصرفه بالمعاني القرآنية:

قال أمير المؤمنين عليه السلام (٣):

«فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ، وَنَشَرَ الرِّيَّاحَ
بِرَحْمَتِهِ، وَوَتَّدَ بِالْصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ.»

تضمن النص الآيات الآتية:

قال الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ (٤)

وقال الله تعالى ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ
فَيُظِلَّنْ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٥)

وقال الله تعالى ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَايَ
أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَطْبَانًا لَعَلَّكُمْ
تَهْتَدُونَ﴾ (٦)

وقال الله تعالى ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ
لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٧)

وهي استعارة وكناية وقد أوضح عليه السلام تفسيرها وهو يتكلم عن الشدة والمحن والفتن، ولكن بعض المفسرين (١) قال: «ويأتي الله تعالى لفصل القضاء بين الخلائق، فيكشف عن ساقه الكريمة التي لا يشبهها شيء، قال عليه السلام: يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد في الدنيا؛ رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً، رواه البخاري ومسلم»، سبحان الله عما يصفون.

ثامنا - تصرفه بالمعاني القرآنية

وقد وجدته يتصرف بالتعبير اللغوي والمعاني القرآنية نحو قوله عليه السلام «فروا من الله إلى الله»؛ إذ ذكر الفرار بمعنى الهروب من قوله تعالى ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢) وفي مواضع أخرى، وقد قيده (من الله إلى الله) ليكون بمعنى: أنه لا بد من اللجوء إلى رحمة الله فرارا وهروبا من عذابه؛

فهو تصرف لغوي بليغ، وذكر ابن أبي الحديد: «قد نظر الفرزدق إلى هذا فقال:

٣- مصدر سابق، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٤١

٤- الفرقان: ٤٨

٥- الشورى: ٣٣

٦- النحل: ١٥

٧- الأنعام: ٧٩

١- التفسير الميسر، الموسوعة القرآنية الشاملة، ج ١، ص ٥٣١٢.
٢- الأحزاب: ١٦

وفق ما قال الجرجاني هي توحي معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم:

«فكما أنك ترى الرجل قد تهدي في الأصباغ التي عمل منها الصورة والنقش في ثوبه الذي نسج إلى ضرب من التخيّر والتدبّر في أنفاس الأصباغ وفي مواقعها ومقاديرها وكيفية مزجه لها وترتيبه إيّاها إلى ما لم يهتد إليه صاحبه فجاء نقشه من أجل ذلك أعجب وصورته أغرب كذلك حال الكاتب والشاعر في توحيهما معاني النحو ووجوهه التي علمت أنها محصول النظم» فهو ﷺ قد وضعه، ونحا نحوه من جاء بعده.

وعندما نبحث في معرفته علم النحو حتى صار ينسب إليه لا بدّ أن ثمة مباني استند إليها، وأساساً أقام عليها القواعد النحوية، وقد اكتشفنا أنها ترجع إلى معرفته بـ (علم المنطق) هو أحد العلوم الفلسفية الذي تعصم مراعاة قواعده الفكر عن الخطأ، وقد اختار من قواعده وقضاياه (قضية مانعة الخلو) وهذا يعني إحاطته بهذا العلم ليختار القاعدة التي تؤسس لعلم النحو، والذي عليه البحث في المنطق أنّ القضية الشرطية متصلة، ومنفصلة، وأن المنفصلة هي: ما حكم فيها بالتنافي بين قضيتين أو عدم التنافي بينهما.

وقد تصرف في جمع هذه المعاني الثلاثة ليصوغ لنا (متلازمة سلوكية قدرة وما ينبغي لها)؛ فثمة قدرة تعالى، وتصرف إيجابي (برحمته)؛ فهو قادر على تفعيلها بلحاظ الغرض مثل نشر الرياح رحمة ﴿أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾، كما هو قادر على تثبيت حركة الأرض وعدم ميدانها أو اضطرابها بالجبال والصخور ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾. وكذلك تصرفه بقدرته أن يسكن الرياح التي من شأنها الحركة؛ وللتقريب: فقد تمتلك أنت القدرة ولا تحسن التصرف بها، فلا يحسن الشجاع مثلاً القدرة على التصرف إلا بالرأي الصائب؛ فالرأي قبل شجاعة الشجاعان.

وهذه (المتلازمة السلوكية) تتسع لمصاديق سلوكية وتربوية أخرى، نحو: متلازمة الحب والاحترام، ومتلازمة العواطف والتبادي بها، ومتلازمة كسب المال والجشع أو الكسب غير المشروع، وغيرها.

تاسعا - وضع النحو والإحاطة بعلم المنطق

إنّ المزية البلاغية في نهج البلاغة لا بدّ أن تبنى على معرفة نحوية؛ فالبلاغة على



ثم إن المنفصلة ثلاثة أقسام:

- ١- مانعة جمع وخلو.
- ٢- مانعة جمع فقط.
- ٣- مانعة خلو فقط.

والذي ليس له معنى هو (الحرف)،
والذي له معنى إمّا له زمن معيّن، وهو
(الفعل)، أو ليس له زمن معيّن، وهو
(الاسم)، ثم قال لأبي الأسود الدؤلي أميره
وقاضيه على البصرة (انح هذا النحو)،
وهكذا كانت تسمية هذا العلم (النحو)
على خلاف جميع أسامي الفنون والعلوم
التي يشتق اسمها ويصطلح عليه من
معناه اللغوي، فالفقه مثلاً من الفهم،
وعندئذ تكون تسميته بـ (النحو) تؤكد
نشأته وتأسيس قواعده وتشريع الباب
الأول منه للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام،
وإنّ وضع قواعده على أساس منطقي
عقلي ينفي تأثر النحو عامة، وكونه من
وضع قواعد النحو للإمام عليه السلام غير متأثر
بمن سبقه من الرومان أو السريان.

وهكذا يتضح لنا أنّ فكر الإمام عليه السلام
قد أحاط معرفة بثلاثة علوم هي المنطق
والنحو والبلاغة.

فمانعة الجمع والخلو هي:
ما يمتنع فيها اجتماع طرفيها
وارتفاعهما معاً، أو يمكن ذلك.
فقولنا (ما يمتنع فيها اجتماع
طرفيها وارتفاعهما معاً) هذا تعريف
مانعة الجمع والخلو الموجبة.
وقولنا (أو يمكن ذلك) أي يجوز أن
يجتمعا ويجوز أن يرتفعا وهذا تعريف
مانعة الجمع والخلو السالبة فمفهوم
السالبة بالضد من مفهوم الموجبة.

مثال مانعة الجمع والخلو الموجبة:
إمّا أن يكون العدد زوجاً أو فرداً.
فطرفاهما هما المقدم (العدد زوج)
والتالي وهو (العدد فرد)، وهما لا
يجتمعان فيستحيل أن يكون العدد
الواحد زوجاً وفرداً معاً، ولا يرتفعان
أي لا يخلو العدد منهما فيستحيل أن
يوجد عدد وهو ليس بزوج أو فرد.

وفي ضوء هذه القضية المنطقية عمد
الإمام عليه السلام إلى الكلام العربي، فوجد ألفاظه:
إمّا أن يكون له معنى أو ليس له معنى،



القسم الثاني - سيرته في زمن خلافته

أولاً - عهده لأمرائه

تتضح سيرة الإمام عليه السلام في زمن خلافته في عهده للأشتر النخعي رضي الله عنه لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن^(١):

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين عليه السلام مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها وعمارة بلادها. أمره بتقوى الله وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه من فرائضه وسننه التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها وأن ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه، فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه. وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات وينزعها عند الجمحات، فإن النفس أماراة بالسوء إلا ما رحم الله.

١ - مصدر سابق، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٧ - ٣٠ وما بعده.

ثم اعلم يا مالك اني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاية قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك فإن الشح بالنفس الانصاف منها فيما أحبت أو كرهت.

والذي يلفت النظر تكريماً أن الأمم المتحدة أصدرت في العام ٢٠٠٢، تقريراً باللغة الإنكليزية بمائة وتسعة وستين صفحة، أعده برنامج الأمم المتحدة الإنمائي الخاص بحقوق الإنسان وتحسين البيئة والمعيشة والتعليم، حيث تم فيه اتخاذ الإمام علي عليه السلام من قبل المجتمع الدولي شخصية متميزة، ومثلاً أعلى في إشاعة العدالة، والرأي الآخر، واحترام حقوق الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين، وتطوير المعرفة والعلوم، وتأسيس الدولة على أسس التسامح والخير والتعددية، وعدم خنق الحريات العامة.

وقد تضمن التقرير مقتطفات من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام الموجودة في نهج





البلاغة، التي يوصي بها عماله، وقادة جنده، حيث يذكر التقرير أن هذه الوصايا الرائعة تعد مفخرة لنشر العدالة، وتطوير المعرفة، واحترام حقوق الإنسان.

وشدد التقرير الدولي على أن تأخذ الدول بهذه الوصايا في برامجها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية، لأنها (لا تزال بعيدة عن عالم الديمقراطية، ومنع تمثيل السكان، وعدم مشاركة المرأة في شؤون الحياة، وبعيدة عن التطور وأساليب المعرفة.

والملاحظ أن التقرير المذكور قد وزع على جميع دول الأمم المتحدة، حيث اشتمل على منهجية امير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب عليه السلام في السياسة والحكم، وإدارة البلاد، والمشورة بين الحاكم والمحكوم، ومحاربة الفساد الإداري والمالي، وتحقيق مصالح الناس، وعدم الاعتداء على حقوقهم المشروعة^(١).

ثانيا - المساواة في توزيع الأموال

قال امير المؤمنين عليه السلام (٢):

«ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ص يرى أن الفضل له على من سواه لصحبته، فإن الفضل النير غدا عند الله، وثوابه وأجره على الله، وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتئا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده.

فأنتم عباد الله و المال مال الله يقسم بينكم بالسوية؛ لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غدا أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجرا ولا ثوابا، وما عند الله خير للأبرار، وإذا كان غدا إن شاء الله فاغدوا علينا؛ فإن عندنا مالا نقسمه فيكم، ولا يتخلفن أحد منكم عربي ولا عجمي كان من أهل العطاء أو لم يكن إلا حضر إذا كان مسلما حرا.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

ثالثا - زهده وعدله

وفي خطبة له عليه السلام في عدله وزهده.

١- تقرير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي (undp) لعام ٢٠٠٢م، ص ٨٢-١٠٧.

٢- مصدر سابق، ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٣٦-٣٧



قال امير المؤمنين عليه السلام (١):

تكلّم أمير المؤمنين عليه السلام عن سيرته بالعدل، والحق، وكيفية بذل الأموال، والتصرف بها، فهو عليه السلام يخاف الله تعالى في التقصير بالعدل، وقد أيقن أن ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٢)، ومثله قوله تعالى ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ (٣)، وقد جعل عليه السلام خشيته يوم القيامة هي دأبه زاهدا في دنيا زائلة، وأما بذل المال لاصطناع الرجال، فقد كان لا يعطي أكثر من الحق غير معني بكثرة الرجال وعددهم لتحقيق النصر ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤).

رابعا - مواعظه

قال امير المؤمنين عليه السلام (٥):

«أما بعد فإن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة أو نقصان، فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن له فتنه... إمام داعي الله

«أما ما ذكرت من عملنا وسيرتنا بالعدل، فإن الله عز وجل يقول: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٢) وأنا من أن أكون مقصرا فيما ذكرت أخوف.

وأما ما ذكرت من أن الحق ثقل عليهم ففارقونا لذلك، فقد علم الله أنهم لم يفارقونا من جور، ولا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل، ولم يلتمسوا إلا دنيا زائلة عنهم كان قد فارقوها، وليسألن يوم القيامة: ألدنيا أرادوا أم الله عملوا.

وأما ما ذكرت من بذل الأموال واصطناع الرجال، فإنه لا يسعنا أن نؤتي أمرا من الفئ أكثر من حقه، وقد قال الله سبحانه وتعالى وقوله الحق ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٣).

وقد بعث الله محمدا ﷺ وحده، فكثره بعد القلة، وأعزّ فتنه بعد الذلة، وإن يرد الله أن يولينا هذا الأمر يذل لنا صعبه، ويسهل لنا حزنه، وأنا قابل من رأيك ما كان لله عز وجل رضا، وأنت من آمن الناس عندي، وأنصحهم لي، وأوثقهم في نفسي إن شاء الله.

٤ - فصلت: ٤٦

٥ - الروم: ٤٤

٦ - البقرة: ٢٤٩

٧ - مصدر سابق، ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣١٢

- ٣١٣.

١ - مصدر سابق، ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٩٨

٢ - فصلت: ٤٦

٣ - البقرة: ٢٤٩





فما عند الله خير له، وإما رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه.

إِنَّ الْمَالَ وَالْبَنِينَ حَرْثُ الدُّنْيَا وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ حَرْثُ الْآخِرَةِ، وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا اللَّهُ لِأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنْ اللَّهِ مَا حَذَرَكَمُ مِنْ نَفْسِهِ. وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ.

واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له. نسأل الله منازل الشهداء. ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء.

أيها الناس إنه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألستهم وهم أعظم الناس حيلة من ورائه وألمهم لشعثه وأعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به؛ ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره

ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه. ومن يقبض يده عن عشيرته فإنما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيد كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودة».

تطبيقاً لمنهاج الإسلام؛ فقد يذكر عليه السلام بعض الآيات نصاً، أو ما يأتي منها في ثنايا كلامه، وعلى الوجه الآتي: [الحشر: ٩]

■ تناول موضوع الحسد فيمن أنزل الله تعالى عليه رزقه من السماء جمّاً غفيراً؛ فقال عليه السلام «فلا تكوننّ له فتنة» أي: فتنة تفضي إلى الحسد مذكراً بقوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فَقَدْ ءَاتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا^(١)، وقال الله تعالى ﴿وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٢)؛ فالحسد من أقبح الأخلاق المذمومة، وهو تمنّي زوال النعمة عن المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها، وأنواعه: ١- كراهة للنعمة على المحسود مطلقاً وهذا هو الحسد المذموم. ٢- أو أن يكره فضل ذلك الشخص عليه، فيحبّ أن يكون مثله أو أفضل منه وهذا الغبطة.

■ حسن التصرف بالمال على وجه ليس فيه تعذير بمعنى التقصير، و المعنى: إذا فعل أحد فعلاً من باب الخوف فخشيته خشية تعذير وخشية كراهية، وإن رضي به فخشيته خشية رضي

١- النساء: ٥٤

٢- الفلق: ٥

أو خشية محبة، وعلى وجهليس في تصرف المال رياء ولا طلب سمعة؛ لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى.

قال تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١)، فسرّه عليه السلام: المال والبنون حرث الدنيا، ويريد به قوله تعالى ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ^ط وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾^(٢) داعياً لخشيته تعالى ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾^(٣)

- إقامة العلاقات مع المجتمع عامة والعشيرة والقراية خاصة ناصحاً بلسان الصدق من قوله تعالى ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(٤)، وداعياً للإيثار ولو كان بنا خصاصة وحاجة من قوله تعالى ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفِيسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٥).



البواب المعرفية

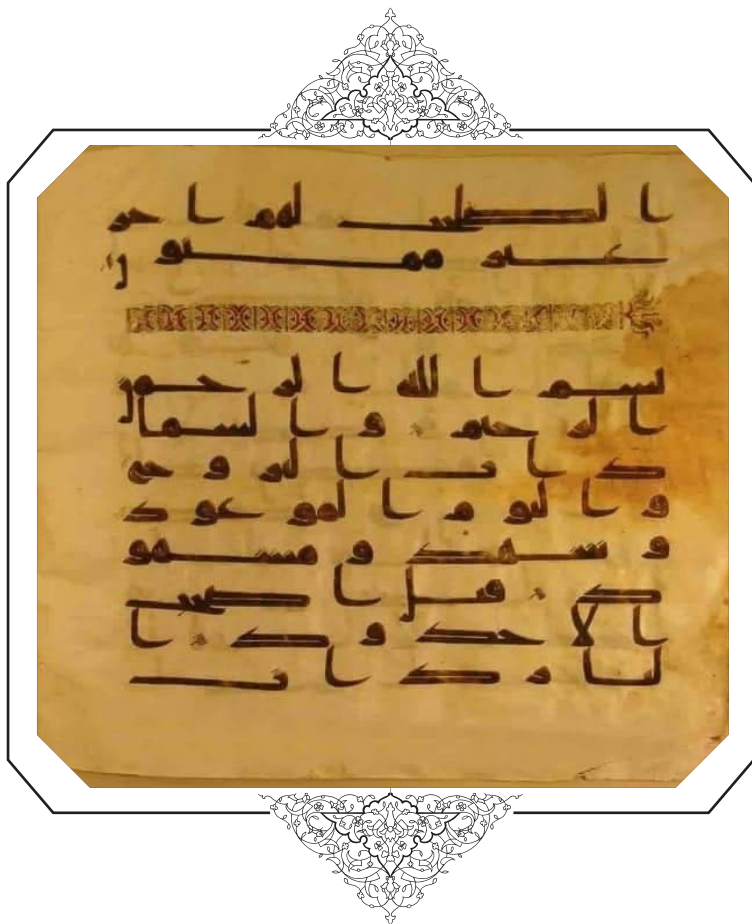
١- الكهف: ٤٦

٢- الشورى: ٢٠

٣- المائدة: ٣

٤- الشعراء: ٨٤

٥- الحشر: ٩



أَبْوَابُ الْمُحَرَّفَاتِ



الابعاد الدينية والعملية والاجتماعية

لمدينة النجف الاشرف في رحلة

ابن بطوطة عام ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م

الاستاذ المتمرس

حسن عيسى الحكيم



رئيس جامعة الكوفة سابقا





مقدمة

يعد القرن الثامن الهجري، الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي عصر ازدهار علمي وفكري واجتماعي واقتصادي لمدينة النجف الاشرف، وقد وقف الرحالة ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواني الطنجي، المعروف بابن بطوطة على معالم مدينة النجف الاشرف عام ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م، ووصفها بكتابه (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) وبعد قراءة علمية متفحصة لنصوصه التي اوردها في كتابه، وجدنا بعضها بحاجة الى نقد وتحليل، وفق رؤية تاريخية محايدة ومقارنة نصوص الكتاب بالمصادر والمراجع التي ادرجت لمدينة النجف الاشرف، منذ بروز المرقد الحيدري الشريف في العصر العباسي، حتى العصر المغولي الايلخاني الذي عاصره الرحالة ابن بطوطة، ولمساحة هذه الحقبة التاريخية، والمعالم الاثرية التي وقف عندها ابن بطوطة.

توزع بحثنا على الابواب الاتية:

اولا: الطرق والمواصلات التي تربط بها مدينة النجف الاشرف

اخترق الرحالة ابن بطوطة طريق البادية

الذي يربط النجف الاشرف بالأراضي المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وقد وقف على الابار التي بنيت على طول الطريق بمساعي السيدة زبيدة بن جعفر العباسي، وزوجة هارون الرشيد، المتوفى عام ١٩٣هـ / ٨٠٩م، وأشار المؤرخ الطبري، المتوفى عام ٣١٠هـ / ٩٢٣م، الى ان السيدة زبيدة قد ادت فريضة الحج عام ١٧٦هـ / ٧٩٨م، ومن المحتمل انها سلكت هذا الطريق، واطلعت على ما فيه من ابار وبرك مائية، تقف عندها قوافل الحجاج للاستراحة والارواء، وقد اطلقت المصادر التاريخية على (طريق الحجاج) الذي يربط النجف الاشرف بالأراضي المقدسة ثلاث مسميات:

١- طريق الحجاج

٢- درب زبيدة

٣- الطريقة السلطانية

وقد وصف الرحالة ابن جبير الحسن بن احمد الكناني المتوفى عام ٦١٤هـ / ١٢٣٦م، في رحلته عام ٥٨٠هـ / ١٢٠٢م، بقوله: (والمياه فيها بحمد الله موجودة في مصانع كثيرة)^(١)، وقد التقى الرحالة ابن بطوطة في وصفه الطريق الحاج بالرحالة ابن جبير الذي سبقه بحوالي





قرن ونصف، ومن المحتمل اطلاق (الطريق السلطانية) لكثرة من سلكه من الحكام والقادة والسلاطين والامراء في العصر العباسي وما بعده، ففي عام ٤٨٠هـ / ١١٠١م، قام السلطان ملكشاه السلجوقي، المتوفى ٤٨٥هـ / ١١٠٦م، بتوديع الحاج في منطقة (السيبي) وبني منارة فيها عرفت باسم (منارة القرون)^(١)، ويقول السيد ابن طاووس غياث الدين عبد الكريم، المتوفى عام ٦٩٣هـ / ١٣١٥م، كان الحكام العباسيون يودعون الحجاج بانفسهم عند مدينة النجف الاشرف^(٢). وكان الرحالة ابن بطوط سلك جزءا من طريق الحج في سبيل الوصول الى مدينة النجف الاشرف، وقد وقف على ابواب القادسية وقد وصفها بقوله: (القادسية عظيمة افتتحها سعد رضي الله عنه، وخربت فلم يبق منها الا مقدار قرية كبير في حدائق النخل، وبها مشروع ماء الفرات)^(٣)، واراد الرحالة ابن بطوط الاشارة الى معركة القادسية عام ١٥هـ / ٦٣٧م، التي وقعت بين المسلمين والفرس ولم تبعد القادسية عن النجف الاشرف الا بضعة اميال، وقد حدد موقعها القائد سعد بن

١- ظهر الحيرة، ويقصد به منطقة النجف الاشرف

٢- خندق سابور، او خندق الكوفة

٣- بحر النجف

٤- قصر الخورنق

ولا شك ان الرحالة ابن بطوط قد اخترق هذا المواقع الجغرافية وهو في طريقه الى مدينة النجف الاشرف، وعند زيارته للمرقد الحيدري اتجه نحو مدينة البصرة فانه نزل في (قصر الخورنق)، ويقول: (وخرجنا من مشهد علي عليه السلام فنزلنا الخورنق موقع سكن النعمان بن المنذر وابائه من ملوك بني ماء السماء، وبه عمارة وبقايا قباب ضخمة في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات)^(٥)،

١- حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ٤/ ٥٦٠

٢- ابن طاووس، فرحة الغري، ص ١١٠، ص ١٣٠

٣- ابن بطوط: الرحلة ٣/ ١٠٩

٤- الطبري: التاريخ ٣/ ٤٩٢

٥- ابن بطوط، الرحلة ١/ ١١٣



١- باب السلام الكبير

٢- باب عبد الحميد النقيب بن اسامة

ومن المحتمل ان ابن بطوطة استعاض عن بناء السور ومتانته بقوله: (ان النجف الاشرف (مدينة حسنة) و(اتقنها بناء) و(من احسن مدن العراق)، لان السور يعطي للنجف الاشرف بعدا حضاريا ومعماريا، وشكلا دائريا^(٣). وتوافد الزائرين عليها، واستشهد بمناسبة (ليلة المحيا) التي يقصدها الناس من كل مكان.

ثالثا: الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في مدينة النجف الاشرف.

التقى ابن بطوطة بسكان النجف الاشرف عند زيارته لها، كما التقى بعضهم في رحلاته، ويقول: (واهلها تجار يسافرون في الاقطار، وهم اهل شجاعة وكرم ولا يظلم جارهم، صحبتهم في الاسفار فحمدت صحبتهم)^(٤)، قد تجمعت الصفات الحميدة بالنجفيين والتي تلمسها ابن بطوطة وحددها بما يلي:

١- التجارة الخارجية

٢- الشجاعة والبسالة

٣- المظفر: مدينة النجف الكبرى ص ٥٨

٤- ابن بطوطة: الرحلة ١ / ١١٠

وتحدد كتب التاريخ والبلدان موقع قصر الخورنق على ضفاف (بحر النجف) او على (متن النجف).

ثانيا: الوصف الجغرافي والحضاري لابن بطوطة لمدينة النجف الاشرف.

لقد نالت مدينة النجف الاشرف في تخطيطها العمراني، والبعد الحضاري لسكانها بقوله: (فتزلنا مدينة مشهد علي بن ابي طالب رضي الله عنه بالنجف، وهي مدينة حسنة في ارضي فسيحة صلبة من احسن مدن والعراق، واكثرها ناسا واتقنها بناء)^(١) ومن المحتمل انه شاهد المباني في المرقد الحيدري الشريف، واسواق النجف الاشرف، والتقى بهم، ولكنه لم يشير الى السور الذي يحيط بالنجف الاشرف، وما فيه من قلاع وابواب، ويعود الى عام ٤٠٠هـ، وبأمر من ابي محمد الحسين بن فضل بن سهلان، وقد تولى ابو اسحاق الارجاني بناء السور والاشراف عليه^(٢). وقد وصف السيد غياث الدين بن طاووس، المتوفى عام ٦٩٣هـ، سور النجف الاشرف ٥٧٥هـ، وكان له بابان هما:

١- ابن بطوطة: الرحلة، ١ / ١٠٩

٢- ابن الاثير: الكامل في التاريخ ٩ / ٢١٩، ابن كثير: البداية والنهاية ١١ / ٣٤٢، ابن الوردي: التاريخ ١ / ٤٤٦، ابو الفدا: المختصر في احوال البشر ٢ / ١٣٩





٣- الكرم والسخاء

٤- الشهامة

٥- الخلق الرفيع

وقد اشارت المصادر الى الحركة التجارية في الفترة التي عاصرها ابن بطوطة، فقد كان تجار (البندقية وجنوة) يقصدون بغداد والبصرة والنجف الاشرف^(١). وحدد استاذي الكبير الدكتور جعفر حسين خصباك تركيز تجارة العراق في العهد المغولي الايليخاني في المدن التالية:

١- بغداد

٢- البصرة

٣- الموصل

٤- واسط

٥- النجف

ويقول الاستاذ جعفر الخياط: ان الطرق التجارية تبدأ من سوريا الى بغداد ثم الى مدينة النجف الاشرف ومنها الى البصرة^(٢). وهذا مما جعل اسواق النجف عامر وقد وصفها ابن بطوطة بقوله: (ولها اسواق حسنة نظيفة دخلناها من

١- لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ١٢-١٣

٢- الخياط: النجف في المراجع، موسوعة العتبات المقدسة/ قسم النجف الاشرف /١

باب الحضرة، فاستقبلنا سوق البقالين والطباخين والجزارين، ثم سوق الفاكهة، ثم سوق الخياطين والقياسرة ثم سوق العطارين^(٣). ويعود التخصص المهني في مدينة النجف الاشرف الى العصر يسبق دخول ابن بطوطة للنجف، وهذا يشير الى ظاهرة حضارية لها سماتها التجارية، وهذه الاسواق هي:

١- سوق البقالين

٢- سوق الطباخين

٣- سوق الجنازين

٤- سوق الفاكهة

٥- سوق الخاطين

٦- القيارية

٧- سوق العطارين

وان المقصود بالقيارية هي عبارة عن مجموعة حوانيت في منطقة واسعة، ويقصد بسوق العطارين، وهو متخصص لبيع الاعشار والعقاقير الطبية، ولما نجد في القرن الثامن الهجري، الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي، قد تخصصت اسواقها بمهن معينة، وقد انفردت مدينة النجف الاشرف بهذه الظاهرة الحضارية

٣- ابن بطوطة: الرحلة ١/ ١٠٩



رابعاً: البعد الديني والفكري والعقائدي

تشرفت مدينة النجف الاشرف بقدسيته الدينية والعقائدية منذ ان احتضن تراها مرقد امير المؤمنين عليه السلام ومجاورة الامامية مرقد الطاهر وهو احياء واموات، ويتوافد على المرقد الشريف اعداد غفيرة في جميع ايام السنة، وفي مناسبات متخصصة، وقد توسع الرحالة ابن بطوطة هذا الجانب العقائدي، وازضاف الى دور الحوزة العلمية في رعاية العلم والفكر والادب، وقد ابتدأ في وصف المرقد الحيدري الشريف بقوله: (ثم الحضرة حيث القبر الذي يزعمون انه قبر علي عليه السلام)^(١)، ومن الغرابة ان ابن بطوطة قد احاطته الشكوك بالمرقد الشريف بلفظه (يزعمون)، وكنا قد ازلنا ما ذهب اليه ابن بطوطة بكتب وبحوث علمية وهي:

١- الجزء الاول من موسوعتنا

(المفصل في تاريخ النجف الاشرف)

٢- الغري واطواره التاريخية

٣- الثوية موقعها وتاريخها

وقد خلط بعض المؤرخين والباحثين بين الغري والثوية، وهما موقعان يقعان

في منطقة (ظهر الكوفة)، ومن المحتمل ان ابن بطوطة قد ارتكز على رأي الخطيب البغدادي، المتوفى ٦٣ هـ الذاهب الى ان مرقد الامام علي عليه السلام يقع في (الثوية)^(٢)، وان الحقيقة التاريخية تشير ان مرقد الامام علي عليه السلام في منطقة (الغري).

وتحدث ابن بطوطة عن المرقد الشريف والمناسبات الدينية، وفي مقدمته ليلة المبعث النبوي الشريف بقوله: (وهذه الروضة لها كرامات بما عندهم ان بها قبر علي رضي الله عنه، فمنها: ان ليلة السابع والعشرين من رجب تسمى عندهم ليلة المحيا يؤتى الى تلك الروضة لكل مقصد من العراقيين وخراسان وبلاد فارس والروم، فيجتمع منهم الثلاثون والاربعون ونحو ذلك، فان كان بعد العشاء الاخرى جعلوا عند الضريح المقدس، والناس ينتظرون قيامهم وهم ما بين مصل وذاكر وتال ومشاهد للروضة، فاذا مضى من الليل نصفه او ثلثاه او نحو ذلك قام الجميع اصحاء من غير سوء وهم يقولون: لا اله الا الله، محمد رسول الله، عليا ولي الله، وهذا امر مستفيض عندهم سمعته من الثقة، ولك احضر تلك الليلة لكن رأيت بمدرسة الضاييف ثلاث من الرجال: احدهم من ارض الروم، والثاني



من اصبهان، والثالث من خراسان، وهم مقعدون فاستجرتهم عن شأنهم فاخبروني انهم لم يدركوا ليلة المحيا وانهم منتظرون او انها عام اخر^(١)، وان هذه الليلة التي اشار اليها ابن بطوطة هي (ليلة المبعث النبوي الشريف) ويطلق عليها الاماميون (ليلة المحيا)، ويقول السيد ابن طاووس: (من عمل ليلة سبع وعشرين من رجب اعلم انه من افضل الاعمال فيها زيارة مولانا علي امير المؤمنين عليه السلام)^(٢)، ويتوافد الناس على مدينة النجف الاشرف لأداء مراسيم الزيارة، وتنتعش الحركة التجارية في المدينة وقد اشاد ابن بطوطة الى هذا الجانب الاقتصادي بقوله: (وهذه الليلة التي يجتمع بها الناس من البلاد وقيموون سوقا عظيمة مدة عشرة ايام)^(٣).

وتطرق الرحالة ابن بطوطة الى اثاث المرقد العلوي الشريف ومحتوياته بقوله: (ثم يدخل القبة وهي مفروشة بأنواع البسط من الحرير وسواره وبها قناديل الذهب والفضة منها الكبار والصغار، وفي وسط القبة مسطبة مكسوة بالخشب عليها صفائح الذهب المنقوشة المحكمة العمل، مسمرة بمسامير الفضة وقد غلبت على الخشب بحيث لا يظهر منه

شيء وارتفاعها دون القامة، وفوقها ثلاثة من القبور ويزعمون احدهما قبر ادم عليه السلام، والثاني قبر نوح عليه السلام، والثالث قبر علي رضي الله عنه)^(٤)، ويحصى ابن بطوطة في الوصف بقوله: (وبين القبور طسوت ذهب وفضة فيها ماء الورد والحسن وانواع الطيب يغمس الزائر يده في ذلك، ويدهن به وجهه تبركا)^(٥)، ومن الملاحظ ان بطوطة كرر لفظ (يزعمون) عند حديثه عن قبوري ادم ونوح عليه السلام فكان الاخرى به الرجوع الى المصادر القديمة التي ارخت هذه النصوص التي تشير الى ان الامام علي عليه السلام يقع قبره الشريف بينهما كما ورد في الزيارة: (السلام عليك، وعلى ضجيعيك ادم ونوح)^(٦)، وكان وصف ابن بطوطة لأثاث المرقد الشريف وقناديله فإنها تعود الى القرن الرابع الهجري، الموافق للقرن العاشر الميلادي فقد كان في عهد السلطان عضد الدولة البويهى، المتوفى عام ٣٧٢هـ، وتحدث ابن بطوطة عن (ابواب المرقد الحيدري) و(المساجد القريبة منه) فيقول: (وللقبة باب اخر عتبته ايضا من الفضة وعليه ستور الحرير الملون بفضتين الى المسجد مفروش بالبسط الحسان، مستور حيطانه وسقفه بستور الحرير،

٤- ابن بطوطة، الرحلة ١/ ١١٠

٥- المصدر نفسه

٦- الشرقي: الاحلام ص ٥٣

١- ابن بطوطة: الرحلة ١/ ١١٠

٢- ابن طاووس: اقبال الاعمال ص ٦٧٠، ص ٦٧٤

٣- ابن بطوطة، الرحلة ١/ ١١٠



وله اربعة ابواب عتباتها فضة وعليها ستور الحرير^(١)، ومن المحتمل ان المراد هنا بالمسجد هو مسجد عمران ابن شاهين الخفاجي، مؤسس الدولة الشاهينية في بطائح العراق في القرن الرابع الهجري، وكان ملاصقا للمرقد الشريف.

عند مجيء الرحالة ابن بطوطة لمدينة النجف الاشرف، وعند توسع الصحن الحيدري الشريف ازيل جزء منه، ولا زالت بقيته قائمة في الوقت الحاضر، ويدعى (مسجد عمران)، وعليه صخرة مخرمة ومنقوشة يعود تاريخها الى عام ٧٧٦هـ^(٢).

وتحدث الرحالة ابن بطوطة عن الحركة العلمية في مدينة النجف الاشرف ووقف على المؤسسات الثقافية، ومواقعها الجغرافية، ووصف بعض المدارس بانها (عظيمة) وان بعضها يرتبط بالصوفية الذي اثروا مجاورة المرقد الحيدري الشريف، فيقول: (وبإزائه - ويقصد المرقد الحيدري - المدارس والزوايا والخوانق، معمورة احسن عمارة، وحيطانها بالقاشاني، وهو شبه الزليج عندنا لكن لونه اشرق، ونقشه احسن)^(٣).

ومن المحتمل ان هذه الابنية الرائعة انها تعود الى القرن الرابع الهجري، وفي عصر السلطان عضد الدولة البويهى، المتوفى عام ٣٧٢هـ، الذي بنى الرواق الحيدري واصبح مأوى لطلاب العلم^(٤). ومن الملاحظ ان (الزوايا والخوانق) كانت مخصصة للصوفية، وهي اماكن للعبادة واطعام الطعام، وأشار ابن بطوطة، الى ذلك بقوله: (ويدخل من باب الحضرة الى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة ايام من الخبز واللحم والتمر مرتين في اليوم، ومن تلك المدرسة باب القبلة وعليها الحجاب والنقباء والطواشية، فعندما يصل الزائر يقول اليه احدهم او اجمعهم وذلك على قدر الزائر فيقفون معه على العتبة ويستأذنون له، ويقولون عن امركم يا امير المؤمنين هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله الروضة العلية فان اذنتم له والا رجع، وان لن لم يكن اهلا بذلك فانتهم اهل المكارم والستر، ثم يأمرونه بتقيل العتبة وهي من فضة وكذلك العضادتان)^(٥). ومن الملاحظ ان مراسيم الزيارة التي ذكرها ابن بطوطة لم تكن مألوفة في العتبات المقدسة، ولم تشر اليها المصادر،

١- ابن عتبة: عمدة الطالب ص ٤٨

٢- الشرقي: الاحلام ص ٥٣

٣- ابن بطوطة، الرحلة ١/ ١٠٩

٤- الحكيم، الشيخ الطوسي ص ٩٨

٥- ابن بطوطة، الرحلة ١/ ١٠٩ - ١١٠



- وتبقى العهدة في عاتق الرحالة ابن بطوطة ٢- رباط للصوفية
- بصفته مشاهد له، وكانت مهمة العاملين ٣- زاوية
- في الروضة الحيدرية، تقديم الخدمات ٤- خانقاه
- للزائرين، وحرية العبادة للجميع، ٥- تكية
- وان كانوا من الامامية او من المذاهب ٦- دار السيادة
- الاسلامية الاخرى، ويبدو ان تأسس
- الزوايا والاربطة في مدينة النجف الاشرف،

وبقرها من المرقد الحيدري الشريف يعود الى العصر المغولي الايلخاني، اي بعد سقوط الدولة العباسية ٦٥٦هـ، وقد انشأ عطا ملك جويني صاحب الديوان في

العراق رباطا للصوفية عام ٦٦٦هـ وقيل عام ٦٧٦هـ^(١)، وقد اشار اليه السيد ابن طاووس، وجعله من حسنات صاحب

عطا ملك بن محمد الجويني^(٢). ويقول ابن الفوطي: ان لهذا الرباط موقوفات كثيرة، وعطايات لمن يسكنه وما يحتاج اليه^(٣). وتشير المصادر كانت في مدينة

النجف الاشرف في الفترة التي زارها الرجال ابن جبير، والرحالة ابن بطوطة مؤسسة علمية وخدمية وهي:

- ١- مدرسة لطلبة العلم
- ٢- الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن ابراهيم العتائقي، وقد ارست مؤلفاته على اربعين كتابا.
- ٣- السيد حسن بن السيد تاج الدين الاوي، نقيب العلويين

١- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٣٥٨، تلخيص مجمع الاداب ٤/ القسم الاول/ ص ١٠٣٥، العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ١/ ٢٦٣، الادب العربي ١/ ٣١٥، التعريف بالمؤرخين ١١٠/ ١

٢- ابن طاووس: فرحة الغري ص ١١٥

٣- ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ص ٣٥٨

٤- محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٤٦

٥- الخياباني: ريجانة الادب ٦/ ٨١، الامين: اعيان الشيعة ٢٩/ ٢٦، محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٤٦، القمي: الفوائد الرضوية ص ٢٢٧، الكنى واللقاب ١/ ٣٤٨، شمس الدينك حديث الجامعة النجفية ص ٢٨



٤- السيد محمد بن السيد علي طباط

وكنا قد اشرنا الى اعلام المدرسة النجفية في عصر الرحالة ابن بطوطة وفي القرن الثامن الهجري في موسوعتنا (المفصل في تاريخ النجف الاشرف) ومما يؤخذ على ابن بطوطة قوله: (واهل هذه المدينة كلهم رافضية)^(١).

ونجد في عبارته هذه نزعة سلفية وطائفية، وانه لم يشر في رحلته الى مضايقات مذهبية في مدينة النجف الاشرف اثناء مكوثه فيها.

وقد كان معقد لجميع مذاهب المسلمين، ومن اعلام العلم والفكر والادب ومنهم^(٢):

١- صدر الدين ابراهيم بن محمد بن المؤيد بن حمويه الجويني الشافعي، المتوفى عام ٧٢٢هـ

٢- تاج الدين علي بن عبد الله بن ابي الحسن الاردبيلي الشافعي المتوفى عام ٧٤٦هـ

ولم يقدم الرحالة ابن بطوطة دلائل واثباتات على التعصب المذهب لسكان مدينة النجف الاشرف قد تلسمه اثناء

١- ابن بطوطة: الرحلة ١/ ١١٠.

٢- ابن حجر: الدرر الكامنة ١/ ٣٠٦٩/ ١٤٥-

وجوده فيها، وربما شاهد توافد الزائرين على المرقد الحيدري الشريف، وازدحام النجف الاشرف في المناسبات الدينية جعله يقول: (لكنهم غلوا في علي رضي الله عنه)^(٣).

وهذا وهم لا صحة له، فليس في الفكر الامامي غلو، بلي فيه ولاء للائمة عليهم السلام، ومحبة لآل بيت النبوة سلام الله عليهم، ومن المحتمل انه جعل الشعائر الدينية التي شاهدها غلوا وتطرفا، ولكن الحقيقة تشير الى الولاء، وانه قد شاهد بنفسه احياء (ليلة المحيا) في السابع والعشرين من شهر رجب، وهي ليلة المبعث النبوي الشريف، فهل بعد هذا غلوا في الامام علي عليه السلام كما اشار اليه، وانما هي احياء لرسالة رسول الانسانية محمد ﷺ وكان الاولى بابن بطوطة وغيره من الاعلام الباحثين الابتعاد عن الفاظ التعصب المذهبي المقتية، والدعوة للتآخي والوحدة الاسلامية.

خامسا: الحكومة والادارة في مدينة النجف الاشرف

وقف الرحالة ابن بطوطة على حكومة النجف الاشرف بعد سقوط الدولة العباسية عام ٦٥٦هـ، وهيمنة المغول على زمام الحكم، ولم تجد مدينة النجف الاشرف

٣- ابن بطوطة: الرحلة ١/ ١١٩





وان النص الذي اورده ابن بطوطة له جذر تاريخ للروضة الحيدرية الشريفة، ولما مرض ابو محمد الحسن بن الفضل بن سهلان، نذر ان عوفي من مرضه يكمل السور المحيط لمشهد امير المؤمنين (عليه السلام)، ونذر عمران بن شاهين ببناء الرواق العلوي ان عفا عنه السلطان عضد الدولة البويهري (٦).

وحدد الرحالة ابن بطوطة صلاحيات نقيب الاشراف الادارية في النجف الاشرف بقوله: (ونقيب الاشراف مقدم من ملك العراق ومكانه عززه مكين، ومنزلته رفيعة، وله ترتيب الامراء الكبار في سفره، وله الاعلام والاطبال، وتضرب الطبلخانة عند بابه مساءا وصباحا، واليه حكم المدينة، ولا واله بها سواه، ولا مغرم فيها لسلطان ولا لغيره) (٧). وكان نقيب الاشراف عند دخول ابن بطوطة مدينة النجف الاشرف نظام الدين حسين بن تاج الدين الاوي (٨). وقد تقلد السيد الاوي نقابة العلويين عام ٧٢٥هـ، اي قبل

مضايقة او ترهيب من الحاكمين المغول الايلخانيين، بل ان قائدهم هولاءكو عند سيطرته على بغداد ارسل مائة جندي لحماية مرقد الامام علي (عليه السلام)، والسكان القاطنين حوله (١)، وكان لنقيب العلويين دور بارز في الادارة ورعاية المرقد الشريف، وقد تلمس ابن بطوطة هذا الجانب بقوله: (وليس بهذه المدينة فحرم ولا مكاس ولا وال، وانما يحكم عليها الاشراف) (٢)، وكان حكومة الاشراف تمتد الى منطقة واسعة فتشمل كربلاء والكوفة والحلة (٣). وكان نقيب الاشراف يجمع في شخصيته النسب العلوي. والموقع الاجتماعي، والعمل الاداري، وان اشرافه على ادارة المرقد الحيدري الشريف، وخزائنه الكبيرة في مقدمة واجباته الادارية، وقد اشار الرحالة ابن بطوطة الى ذلك بقوله: (ومن الناس في بلاد العراق وغيرها من يصيبه المرض فينذر للروضة نذرا اذا برئ، ومنهم من يمرض راسه فيصنع من ذهب او فضة ويأتي به الى الروضة، فيجعل النقيب في الخزانة، وكذلك اليد والرجل وغيرها من الاعضاء، وخزانة الروضة عظيمة فيها من الاموال وما لا ضبط لكثرتة) (٤).

٥- ابن كثير: البداية والنهاية ١١ / ٣٤٢

٦- محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١ / ٢٢٩،

البراقي: الدرر المضية ص ٨٢

٧- ابن بطوطة: الرحالة ١ / ١١١

٨- المصدر نفسه.

١- رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ ٢ / ٢٩٦

٢- ابن بطوطة: الرحلة ١ / ١١٠

٣- ابن عتبة: عمدة الطالب ص ٣١٦-٣١٧، عبد

الرزاق كمنونة: موارد الانحاف ٢ / ٤٩، ١٠٧

٤- ابن بطوطة الرحالة: ١ / ١١٠



وصول الرحالة ابن بطوطة لمدينة النجف الاشرف بستتين^(١).

واشار الى النقيب شمس الدين محمد الابهري، وذكره بلفظ (الاهوري)^(٢) ولم يعط ابن بطوطة النقباء العلويين في النجف الاشرف حياتهم العلمية والإدارية.

وتطرق ابن بطوطة لمدينة الكوفة بصور مقتضبة، وانه لم يبق فيها طويلا، وأوضح مكانتها التاريخية والعلمية بقوله: (احدى امهات البلاد العراقية المتميزة فيها بفضل المزية مثوى الصحابة والتابعين، ومنزل العلماء والصالحين وحضرة علي بن ابي طالب امير المؤمنين)^(٣)، ووقف على معالم الكوفة التاريخية وقد اصابها الخراب فيقول: (الا ان الخراب قد استولى عليها بسبب ايادي العدوان التي امتدت اليها، وفسادها من عرب خفاجة المجاورين لها، فانهم يقطعون طريقها)^(٤)، واعطى ابن بطوطة سبب اقتحام مدينة الكوفة لأنها (لا سور عليها)، وقد وصف اسواقها بقوله: (وبناؤها بالآجر، واسواقها حسان، واكثر ما يباع فيها التمر والسمك)^(٥) وجاء وصفه لجامع الكوفة دقيقا بقوله:

(وجامعها الاعظم جامع كبير شريف، بلاطاته سبعة قائمة على سوارى حجارة ضخمة منحوتة قد صنعت قطعاً، ووضع بعضها على بعض وافرغت بالرصاص، وهي مفرطة الطول، وبهذا المسجد اثار كرية منها بيت ازاء المحراب عن يمين مستقبل القبلة يقال ان الخليل صلوات الله عليه كان له مصلى بذلك الموضع، وعلى مقربة منه محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع وهو محراب علي بن ابي طالب رضي الله عنه، وهناك ضربه الشقي ابن ملجم، والناس يقصدونه للصلاة، وفي الزاوية من هذا البلاط مسجد صغير محلق ايضا بأعواد الساج، يذكر انه الموضع الذي فار منه التنور حي طوفان نوح عليه السلام)^(٦)، وعند تحديد المواقع خارج مسجد الكوفة، استخدم لفظ (يزعمون) بقوله: (خارج المسجد بيت يزعمون انه بيت نوح عليه السلام، وازاءه بيت يزعمون انه متعبد ادريس عليه السلام)^(٧)، وأشار ابن بطوطة الى المعالم الاتية، الموجودة خارج مسجد الكوفة، وهي^(٨):

١- دار الامام علي عليه السلام

٢- البيت الذي غسل فيها الامام عليه السلام

١- محبوبة: ماضي النجف وحاضرها ١/ ٣٠٤

٢- ابن بطوطة: الرحالة

٣- ابن بطوطة الرحلة: ١/ ١٣٧

٤- المصدر نفسه

٥- المصدر نفسه

٦- ابن بطوطة: الرحلة ١/ ١٣٧-١٣٨

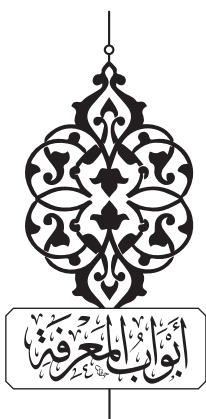
٧- المصدر نفسه: ١/ ١٣٨

٨- المصدر نفسه



النخل الملتفة المتصل بعضها ببعض^(٣).

ومن الجدير بالذكر ان الرحالة ابن بطوطة في وصفه لمدينتي النجف الاشرف والكوفة كان جوالا في معالمها التاريخية والدينية والتجارية، دون الخوض في العصور القديمة، وتعد الرحلة مصدر مهما لأحداث القرن الثامن الهجري، الموافق الرابع عشر الميلادي.



٣- بيت نبي الله نوح عليه السلام

٤- قبر مسلم بن عقيل

٥- قبر عائشة بن الامام الحسين عليه السلام

٦- قبر سكينه بن الامام الحسين عليه السلام

وعند الوقوف على المصادر التاريخية والبلدانية فلم نجد اشارة لقبري عائشة وسكينه، ولا ندري من أي استمد ابن بطوطة هذه المعلومة، وعند حديثه عن (قصر الامارة) وصفه بقوله: (واما قصر الامارة بالكوفة الذي بناه سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه فلم يبق الا اساسه)^(١)، وتحدث ابن بطوطة عن قبري ابن ملجم والمختار الثقفي بقوله: (ورأيت بقبري جبانة الكوفة موضعا مسودا شديد السواد في بسيط ابيض فأخبرت انه قبر الشقي ابن ملجم، وان اهل الكوفة يأتون في كل سنة بالخطب الكثير فيوقدون النار على موضع قبره سبعة ايام، وعلى قرب منه قبة خربت انه قبر المختار بن ابي عبيد)^(٢). وأشار ابن بطوطة الى نهر الفرات وبساتين الكوفة بقوله: (والفرات من الكوفة على مسافة نصف فرسخ في الجانب الشرقي منها، وهو منتظم بحدائق





المصادر والمراجع:

- ١- ابن الاثير: عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ)
- الكامل في التاريخ: المطبعة الازهرية، المصرية، الطبعة الاولى ١٣٠١هـ.
- ٢- الامين: السدي محسن الحسيني العاملي (ت ١٣٧١هـ)
- اعيان الشيعة، مطابع الانتان والانصاف، بيروت، ومطابع ابن زيدون والنرقي، دمشق
- ٣- البراقي: السيد حسين (ت ١٣٢٢هـ)
- الدرّة المضيّة في ذكر الحنّانة والثّوبة، تحقيق الدكتور حسن الحكيم.
- ٤- ابن بطوطة: ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللوتي الطنجي (ت ٧٧٩هـ)
- الرحلة (تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.
- ٥- ابن جبير: ابو الحسن محمد بن احمد الكناي الاندلسي (ت ٦١٤هـ)
- الرحلة: تحقيق الدكتور حسين نصار، دار مصر للطباعة،
- ٦- ابن حجر: شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)
- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد المولى، مطبعة المدني، القاهرة ١٩٦٦م.
- ٧- حسن ابراهيم حسن (الدكتور)
- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٤م.
- ٨- الحكيم: حسن عيسى (الدكتور)
- الشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- ٩- العراقي في عهد المغول الايلخانيين، مطبعة العاني، بغداد، الطبعة الاولى ١٩٦٨م
- ١٠- الخطيب البغدادي: ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)
- تاريخ بغداد او مدينة السلام، مطبعة العادة، مصر الطبعة الاولى ١٣٤٩هـ / ١٩٣١م
- ١١- الخياباني: محمد علي التبريزي المدرس
- ريجانة الادب في تراجم المعروفين





- بالكنية واللقاب، مطبعة شركة سامي،
المطبعة العلمية ١٣٦٨-١٣٧٣ م
- ١٧- ابن طاووس: السيد رضي الدين
ابو القاسم علي بن موسى (ت ٦٦٤هـ)
- ١٢- الخياط: جعفر
- اقبال الاعمال، طبع عام ١٣١٢هـ
- النجف في المراجع، موسوعة
العتبات المقدسة، قسم النجف، دار
التعارف، بغداد
- ١٣- رشيد الدين الهمداني، فضل الله
- جامع التواريخ، ترجمة محمد صادق
نشأت، دار احياء الكتب العربية
- ١٤- الشرقي: الشيخ علي
- الاحلام، شركة الطبع والنشر
الاهلية، بغداد، الطبعة الاولى ١٣٨٣هـ /
١٩٦٣ م
- ١٥- شمس الدين: الشيخ محمد رضا
- حديث الجامعة النجفية، المطبعة
العلمية، النجف الاشرف ١٣٧٣هـ /
١٩٦٣ م
- ١٦- ابن طاووس: السيد غياث الدين
عبد الكريم (ت ٦٩٣هـ)
- فرحة الغري في تعيين قبر امير
المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في النجف،
المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة
الثانية ١٣٦٨هـ
- ٢٠- ابن عنبه: جمال الدين احمد بن
علي الراوي الحسني (ت ٨٢٨هـ)
- عمدة الطالب في انساب ال ابي
طالب، المطبعة الحيدرية/ النجف الاشرف
- ٢١- ابو الفدا: عماد الدين اسماعيل
(ت ٧٣٢هـ)





- المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية الحصرية، الطبعة الاولى ١٣٢٥ هـ. المعارف، بغداد ١٩٦٨ م.
- ٢٢- ابن الفوطي: كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين الشيباني الحنبلي (ت ٧٢٣ هـ)
- تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقب، تحقيق الدكتور مصطفى جواد القمي: عباس (ت ٣٩٥ هـ)
- الفوائد الرضوية، في احوال علماء المذهب الجعفرية، مطبعة مركزي طهران ١٣٢٧ هـ
- الكنى والالقب، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م.
- ٢٤- كمونة: السيد عبد الحسين موارد الاتحاف في نقباء الاشراف، مطبعة الاداب/ النجف الاشرف ١٩٦٨ م.
- ٢٥- المظفر: محسن عبد الصاحب (الدكتور)
- مدينة النجف الكبرى دراسة في نشاتها وعلاقتها الاقليمية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٢ م.
- ٢٦- لونكريك: ستيفن هجملي
- اربعة قرون في تاريخ العراق









الإمام علي عليه السلام وجغرافية الجريمة

القاضي:
فاضل عباس الملا



قاضي في محاكم التحقيق، وتدرسي في الكلية الاسلامية
الجامعة سابقا





الذي يشكل إحدى فروع الجغرافية لكن رجال علم الفيزياء هم أيضاً تدارسوا تلك العوامل تحت عنوان (فيزياء الأرض) باعتبار ان الأرض تضم اليابسة والمياه والغلاف الجوي وهي في حقيقتها ظواهر فيزيائية وتؤثر على الحياة وسلوك الانسان بشكل اوبآخر تتغير بتغير الموقع الجغرافي.

كما تناول دراسة تلك الظواهر علماء الإجرام في باب العوامل الخارجية المسببة للأجرام.

وذكر الكتاب أن مصطلح (جغرافية الجريمة) ظهر حديثاً في كتابات الغربيين وان أول من طرح فكرته هو الأمريكي أو هن عام ١٩٤١ في مقالة له بنفس العنوان نشرت له العدد (١٧) من مجلة حوليات للعلوم السياسية الأمريكية كما ظهرت دراسة عام ١٩٦٧ عن التجمعات المبعثرة لمرتكبي الجرائم في مدن الصفيح حيث عبر دراسة أجراها هربرت عام ١٩٧٦ ان بعض مناطق مدينة كارييف في ويلز تسهم في زيادة معدلات الجريمة بشكل واضح وقد ألف كتابه (جغرافية الجريمة الحضرية) الذي ترجمته الدكتورة «ليلى زعزوع» إلى العربية ونشر عام ٢٠٠١ في ١٢٤ صفحة والذي عده ذوي الاختصاص مهماً في مجال جغرافية الجريمة.

المعلوم أن للظواهر والعوامل الطبيعية وتباين البيئة السكانية أثرها في مسار سلوك الإنسان وتوجهاته فالحرارة والبرودة ثم ان التربة الصحراوية والجبلية كما ان شدة الرياح والرطوبة والظلام كل هذه العوامل تتغير من موقع جغرافي إلى آخر مما له تأثير بشكل اوبآخر على سلوك الانسان واتجاهاته باختلاف الجومثلاً وتخلخل المناخ برودة وحرارة رطوبة وجفاف له أثره على حالة الانسان النفوس فينعكس ذلك بالنتيجة على سلوكه وتصرفاته وما قد يصدر عنه من انحراف ومغريات مشجعة على ارتكاب الجريمة كالظلام مثلاً

كما ان اختلاف بيئة التجمعات السكنية هي الأخرى لها أثرها في هذا الخصوص لذلك ليس من الصدف ان يقول العالم البلجيكي (كوتيليه) في: (ان المجتمع يحمل في رحمه كل جرم يقترف) لأن المنحرفين أساساً هم كالحشرات القدرة لا تعيش في جونغظيف وطاهر.

وقد أثبت الدراسات في أمريكا ان الدرجات الحرارية العالية المصاحبة للرطوبة لها دورها في زيادة معدلات الجريمة بأشكالها وأنواعها المختلفة.

وما تلك العوامل سوى الحقل الذي ينصب عليه مصطلح (جغرافية الجريمة)





أي الطين المائل لونه الى السواد وقد اثبتت الدراسات المعاصرة ان جسم الانسان هو فعلاً مكون من ذات العناصر التي يتكون منها تراب او طين الارض .

ثم إن (فَتَأْمُ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ) لأن البدانة وكثرة الشحوم في جسم الإنسان دلالة على تدني وعي صاحبه وما قد تسفر عن بعض تصرفاته من عامل مساعد للسلوك الإجرامي وهنا يحضرنا المثل الشعبي (كل طويل محنة وكل قصير فتنة) الذي ينطق عليه قوله عليه السلام (وماد - أي طويل - القامة قصير الهمة .. وقريب القعر - أي القصير - بعي السبر) وهكذا في بقية فقرات كلامه البهي الذي يحتاج ان تؤلف فيه كتاباً ونكتفي بها إلى هذا الحد تماشياً مع حجم هذه المجلة الغراء .

فليس من الصدف ان يقول فيه الأديب العربي المسيحي جورج جرداق (ان علياً في قومه عبقرياً غريباً أحبهم فأذكروهم وعلمهم فلم يفهموه) وقد تابعه في هذا الاتجاه المسعودي في مروجه وابن خلدون في مقدمته وصاعد الأندلسي في كتابه (طبقات الأمم) وإخوان الصفا في الرسائل وإضرابهم من اعلام العرب المسلمين .

والحق ان الموضوعات التي تنصب عليها فكرة جغرافية الجريمة يجد المتتبع ان لها جذورها البهية والعميقة في تراثنا العربي الإسلامي وأن من نبه لها هو الإمام علي عليه السلام بشكل متفرد حيث ورد في نهج البلاغة قوله بصدد سر اختلاف الناس في سلوكهم ووعيمهم وتصرفاتهم بل وحتى في أشكالهم ومدى تألفهم واتباعهم بسبب اختلاف الموقع الجغرافي جاء فيه : (إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلَقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذِيبٍ وَحَزْنِ تَرْبَةٍ وَسَهْلٍهَا فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَفَارَبُونَ وَعَلَى قَدَرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ فَتَأْمُ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ وَمَادُ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهَمَّةِ وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمُنْظَرِ وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ وَمَعْرُوفُ الضَّرْبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيلَةِ وَتَائِهَ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ)

فهذا الكلام العلوي بعمقه العلمي الذي مضى عليه أكثر من أربعة عشر قرناً يشيرنا إلى أثر اختلاف التربة في نشأة الإنسان لان تربة الارض لم تكن متشابهة الأوجه ولا اللون كما إن سعة كثافتها ومدى تماسكها متفاوت فقد تكون طينة ﴿خَلْقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ او صلبة يابسة ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ﴾ و﴿مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾

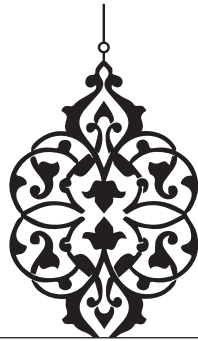


إلا ان الذي تجدر ملاحظته ان مداليل قول الأمام بفقراته المذكورة جاءت بشكل عام دون ان تشملها صفة الإطلاق فطليق اللسان لا بد وأن تفلت من لسانه شطحات الا أنه يمكن ان يكون (حديد الجنان) مما يقع في طائفة المدح لا الذم على حد تعبير ابن أبي الحديد في شرحه لنهج.

وقوله عليه السلام (وزاكي العمل قبيح المنظر) هذا الوصف يشكل أيضاً قاعدة عامة ان نضرب لها مثلاً الجاحظ فقد كان قبيح المنظر الا أن علمه ومخلفاته العلمية لها قيمتها وعلوها الحضاري ولكن هنالك من يتتابه النقص فيندفع لسد مثل هذا الشعور بتصرفات قد تنحرف

عن مسارها الطبيعي وتنزلق عبرها الى مستنقعات الأجرام.

ومجمل القول فإن علياً فقد كان له سبقاً رائعاً في توضيح الظواهر الطبيعية التي لا يد للإنسان في احداثها في مسار السلوك الإنساني وكونها تشكل مساعداً مشجعاً على الاجرام فناقص العقل كثيراً ما يكون هو الضحية في الجريمة فتركه لسيارته في الطريق العام دون سحب المفتاح المحرك يغري السارق في سرقته ومن لم ينور واجهه منزلة بالإنارة المطلوبة فأن الظلام يسهل ويغري ذوي النفوس المريضة في سرقته وهكذا نمثل اولئك الضحايا تكون تصرفاتهم مساعدة على حصول الجرائم ضدهم.







اطلالة على المخط الكوفي

الباحث الخطاط
علي حيدر الحساني



النجف الاشرف





اطلالة على الخط الكوفي



الاسلام واليه تنتهي سلسلة الخطاطين وايام حكومته العادلة في الكوفة اسس اول مدرسة في الخط العربي وقد تحف العالم الاسلامي بانموذج رائع الا وهو الخط الكوفي، وقد ساعد مركز الكوفة السياسي والعلمي في عهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على ازدهار هذا النوع وانتشاره واصبح في زمنه مقرر الضوابط وثابت الاسس وان تسمية الخط بـ "الكوفي" ترجع بادئ ذي بدء إلى مألوف العرب الأوائل في تسمية الخطوط التي انتهت إليهم بأسماء المدن التي وردت منها، فكما عرف الخط عند عرب الحجاز قبل عصر الكوفة بالنبطي والحيري والانباري، لأنه أتى من بلاد النبط والحيرة والانبار، ثم بالمكي والمدني، لأنه شاع في أنحاء شبه الجزيرة من هذين الواسطين، عرف الخط العربي في وقت من الأوقات باسم "الكوفي" لأنه انتشر من الكوفة إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي مصاحبا لانتشار الإسلام، وللإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كلمات في طريقة تجويده وتحسينه، فقد ورد عنه (الخط الحسن يزيد الحق وضوحا).

وقال عليه السلام لكاظمه عبيد الله بن أبي رافع: أَلِقْ دَوَاتَكَ، وَأَطْلُ جِلْفَةَ قَلَمِكَ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ، وَفَرِّمِ بَيْنَ الْحُرُوفِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ^(١).

وروي عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام

الخط العربي نور أضاء في هذا الوجود وأشرق في هذا الكون فهو الممثل لكل لوازم الإنسانية والمعبر عن مشاعرها والممثل لمعانيتها والمسدد لتعبيراتها والمؤكد لحقوقها والموضح لمرادها أينما ظهر بهر وأينما زرع أثمر، ويعتبر فن الخط العربي اللسان الناطق للغة العربية لغة القرآن الكريم وهو غذاء الروح ويعد فن الفنون ويكتسب أهميته هذه في تدوين القرآن الكريم والتراث الاسلامي ودواوين الشعر والمؤلفات منذ صدر الاسلام الى وقتنا الحاضر وكما للغة العربية ميزات بلاغية وبصرية كذلك فن الخط العربي الذي يعكس صورة هذه اللغة العظيمة عبر الاعمال الفنية التي ابدعتها انامل الخطاط المسلم عبر مر العصور ويعد الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام المعلم الاول لفن الخط العربي وهذا ماوردته المؤرخون والباحثون على اختلاف مذاهبهم مشاربهم فهو كاتب الوحي والخطاط الاول في





قال ابن سيرين: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه الى المدينة فلم أقدر عليه^(٥).

كما انه ﷺ كتب عدة مصاحف موزعة في المتاحف وخزانات المكتبات الإسلامية، منها مصحف في خزانة مخطوطات الحضرة العلوية المقدسة، وآخر في خزانة مخطوطات مكتبة الامام امير المؤمنين ﷺ العامة في النجف الاشرف ومصحف في مكتبة الاستانة الرضوية المقدسة في مشهد الامام الرضا ﷺ بإيران وغيرها من مكتبات العالم وعلى يد تلميذه أبي الأسود الدؤلي كان تشكيله ووضع الحركات عليه لأول مرة أيضاً وقد تناوله أهل الكوفة بالتهذيب والتنسيق وقد استخدم في كتابة المصاحف والنقش على العملة وعلى جدران المساجد وعلى شواهد القبور، فلا يختلج ريب في صدر كل معني في شؤون الخط العربي حريص على مد جسور التواصل بين ماضيه وحاضره، مالمخط الكوفي من قيمة تراثية وسمة جمالية لا يدرك كنهه الا المختصون في هذا المجال، ولقد مهر جمهرة من الخطاطين على مرّ العصور ببراعة الخط وجماله، وكتبوا المصاحف الخاصّة والعامة، وكان الغالب في كتابة المصاحف الخطّ الكوفيّ حتى القرن الخامس الهجري، ثم كتبت بخط الثلث حتى القرن التاسع الهجري، ثم استقرّت كتابتها بخط النسخ إلى هذا الزمن.

ان امير المؤمنين ﷺ كتب الى عماله: أدقوا اقلامكم وقاربوا بين سطوركم واحذفوا عني فضولكم واقصدوا قصد المعاني واياكم والاكثر فان اموال المسلمين لا تحمل الإضرار^(٢).

بسم الله الرحمن الرحيم
أما وألكم الله ورسوله
والذين آمنوا الذين
يعلمون الصلوة ويؤدّون
الزكاة وهم زكوة

إنّ أول مَنْ تصدى لجمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، وبوصية منه هو الإمام علي بن أبي طالب ﷺ حيث قعد في بيته مشغلاً بجمع القرآن وترتيبه على ما نزل^(٣).

قال ابن النديم - بسند يذكره - : أن علياً ﷺ رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ فأقسم أن لا يضع رداءه حتى يجمع القرآن^(٤).

وروى محمد بن سيرين عن عكرمة، قال: لما كان بدء خلافة أبي بكر قعد علي بن أبي طالب ﷺ في بيته يجمع القرآن. قال: قلت لعكرمة: هل كان تأليف غيره كما أنزل الأول فالأول؟

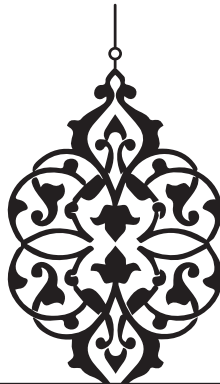
قال: لو اجتمعت الإنس والجن على أن يُألّفوه هذا التأليف ما استطاعوه.





المصادر:

- ١- نهج البلاغة حكم ٣١٥
- ٢- الخصال ص ٣١٠
- ٣- راجع تفسير القمي: ٧٤٥، بحار الأنوار: ٤٨/٩٢ ح ٥
- ٤- المناقب: ج ٢/ ص ٤٠
- ٥- الاتقان: ٥٧/١، وراجع الطبقات: ١٠١/٢، الاستيعاب بهامش الاصابة: ٢٥٣/٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ٤/١، بحار الأنوار: ٨٨/٩٢ ح ٢٧، آلاء الرحمن: ١٨ / ١



ابواب المعرفة



